



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التّوطين: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه (L.M.D)

في إطار مشروع: "الدراسات النقدية"، تخصّص: "النقد والدراسات الأدبية"
الموسومة بـ:

أَدَبِيَّةُ السَّرْدِ الْقَصَصِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "قِصَصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُمُودَجًا"

إشراف الأستاذ:

أ.د منقور صلاح الدين

إعداد الطالب:

يوسف سنوسي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة الأصلية
01	أ.د بن يمينه رشيد	أستاذ ت.ع	رئيسا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
02	أ.د منقور صلاح الدين	أستاذ ت.ع	مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
03	أ.د بلعجين سفيان	أستاذ ت.ع	مساعد المقرر	جامعة ابن خلدون - تيارت -
04	د. يعقوب الزهرة	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
05	أ.د بوفادينة مصطفى	أستاذ ت.ع	ممتحنا	جامعة مصطفى إسمطبولي - معسكر -
06	د. لخداري محمد	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	المركز الجامعي الشريف بوشوشة - آفلو -

السنة الجامعية: 2025-2026 م / 1446-1447 هـ



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التّوطين: مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (L.M.D)

في إطار مشروع: "الدراسات النقدية"، تخصّص: "النقد والدراسات الأدبية"
الموسومة بـ:

أَدَبِيَّةُ السَّرْدِ الْقَصَصِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "قِصَصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَمُودَجًا"

إشراف الأستاذ:

أ.د منقور صلاح الدين

إعداد الطالب:

يوسف سنوسي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة الأصلية
01	أ.د بن يمينه رشيد	أستاذ ت.ع	رئيسا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
02	أ.د منقور صلاح الدين	أستاذ ت.ع	مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
03	أ.د بلعجين سفيان	أستاذ ت.ع	مساعد المقرر	جامعة ابن خلدون - تيارت -
04	د. يعقوب الزهرة	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
05	أ.د بوفادينة مصطفى	أستاذ ت.ع	ممتحنا	جامعة مصطفى إسماعيل - معسكر -
06	د. لخداري محمد	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	المركز الجامعي الشريف بوشوشة - آفلو -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والنَّقصُ في أصلِ الطَّبيعةِ كامنٌ

فَبَنُوا الطَّبيعةَ نَقَصَهُمْ لَا يُجَحِّدُ

-أحمد بن المأمون البلغيثي-

إهداء

أهدي عملي هذا
إلى الوالدين الكريمين
نفعني الله بدعائهما.

يوسف السوي

كلمة شكر

﴿وَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (11) - سورة الضحى -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذين الفاضلين:

"أ.د صلاح الدين منقور" و"أ.د سفيان بلعجين" على قبولهما الإشراف على هذا العمل وعلى توجيهاتهما ومساعدتهما القيمة في إنجاز هذا البحث.

وشكري موصول

إلى جامعة ابن خلدون - تيارت - وأخص بالذكر قسم اللغة

والأدب العربي، وإلى كافة الأساتذة والمشايخ الذين أحاطوني بالعلم

والاهتمام خلال مساري العلمي.

جدول الرموز المختصرة

في هامش البحث

الرمز المختصر	المعنى	الرمز المختصر	المعنى
تح	تحقيق	ع	العدد
ط	الطبعة	س	السنة
ص	الصفحة	تع	تعليق
د.ط	دون طبعة	تعر	تعريب
د.ت	دون تاريخ	تر	ترجمة
إش	إشراف	تق	تقديم
ج	الجزء	قر	قراءة
مج	المجلد		



مقدمة البحث

الحمد لله ربّ العالمين، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أحمدُه بكلِّ المحامد على فضله وإكرامه، وفتحِه وإنعامه. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبينا محمد خاتم المرسلين، وسيدِّ الأولين والآخرين، الذي اصطفاه ربّه وأنزل عليه القرآن المجيد، وقصّ عليه أحسن القصص ليثبت فؤاده ويدحض خصومه وأعداءه، وجعله المعجزة الخالدة في مبانیه ومعانيه، لا تفنى أعاجيبه، ولا يخلق على كثرة الردّ.

وبعد:

القرآن الكريم كلام الله المعجز تشعّ آياته نورا وتحتزن طاقة تعبيرية عجيبة الإمتاع والإقناع، هو كتاب العربية الأكبر، يحوج البشر دوماً إلى قراءته والتفاعل معه، غير أنه -على حدّ تعبير مصطفى ناصف- لا ينال إلا بحياء وإحساس بالمشقة والإكبار.

ولقد أمرنا الله تعالى بتدبر القرآن الكريم، في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ -سورة النساء: 82-، ولا بدّ لذلك من التزود بالعلوم الضرورية لفهمه فهما لا يخرج عن مراد الله سبحانه، فلا يجوز أن يقال في كتاب الله قول من غير علم، أو تحميل آياته معان لا تتحملها.

ولعلّ واحداً من أهمّ وجوه إعجاز القرآن الكريم هو أدبيّة سرده القصصي وبلاغته، وقد بحث فيه العلماء طلباً لخصوصيته وتفرّده عن سائر السرد ضمن سياق الخطاب القرآني المعجز، وكشفاً عن الأثر المعنوي لأسلوبه وتراكيبه، بناء على أنّ بلاغة السرد القصصي في القرآن هي بلاغة معنى لا بلاغة مبنى فحسب، وأن المعنى قد يتنوع سرده ولكل سرد مقصد خاص به. لكنهم كثيراً ما يعتذرون عن تقصيرهم أو خطئهم في تلكم الدّراسة، وليس ذلك من باب تواضعهم بقدر ما هو إحساس حقيقي بنوع من العجز أو التقصير في فهم أسرار النور الربّانيّ،

وحسب المرء أن يجتهد في دراسة السرد القصصي في القرآن الكريم ويكشف عن أدبيته ما دام يستشرف نبل المقصد.

والسرد القرآني يشغل ثلث القرآن إن لم يزد قليلا، ولا عجب من ذلك لأن القصة في القرآن الكريم تخدم أهدافا تربوية وروحية تضمن للإنسان أحسن السبل حتى لا يزيغ إلى سبل الغواية والشيطان. هذا السرد استأثر اهتمام الدارسين على اختلاف مشاربهم، كل يسعى إلى اقتناص السمات المميزة لهذا البيان الرباني المعجز، فمنهم من اهتم بعناصره الفنيّة، من شخصيات وزمان ومكان وأحداث، ومنهم من ركز على أساليبه البلاغية من روعة التصوير، وبراعة التناسق والانسجام، ومنهم من ركز على مقاصده وأبعاده التربوية...

والذي يشد القارئ عند قراءته السرد القرآني هو أدبيته التي تخرجه إخراجا فنياً يدخل ضمن حدود بلاغة الإمتاع والإقناع، للوصول إلى المعرفة بالله سبحانه التي هي ألدّ المعارف، ولذلك سيكون مفهوم الأدبية على اتساعه وزئبقيته وبحسب الدلالة التي سنخصّصه بها، إطارا نظريا وتطبيقيا للتدليل على خصوصية السرد القرآني لقصص بني إسرائيل، من حيث استشفاف مكنوناته اللغوية والأسلوبية التي جمعت بين جمال المبنى وشرف المعنى، ولا نبعد النجعة إذا قلنا إن تجلّيات أدبيّة الخطاب القرآني تزداد جلاء وبيانا في آيات السرد القصصي.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا لجزء مهم من القرآن الكريم هو امتثالها بإبراز "أدبية السرد القرآني لقصص بني إسرائيل" من خلال بيان بعض أسرار تراكيبه وصياغته، وتكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن البعدين: الجمالي والبلاغي لكثير من الظواهر اللغوية المستفيضة في هذا السرد، فكان عنوان البحث موسوماً بـ:

أَدَبِيَّةُ السَّرْدِ الْقَصَصِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

"قِصَصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَمُودَجًا"

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هي خدمة القرآن الكريم باعتباره مصدر البلاغة الأول، ثم بيان أدبيّة السرد القرآني لقصص بني إسرائيل باعتبارهم أهل عناد وجدال وإنكار. ويعود سبب اختيارنا لهذا القصص من السرد القرآني وفرة أبعاده السردية المشهديّة، ودقة مظاهره الفنية نظرا لنفسية بني إسرائيل.

تتمحور إشكالية البحث حول مفهوم الأدبيّة ومدى تحليلها في سرد القرآن لقصص بني إسرائيل، وقد صيغت على النحو التالي:

أين تتجلى الأدبيّة في سرد القرآن لقصص بني إسرائيل؟

وتتخلل هذه الإشكالية جملة من التساؤلات أهمها:

- ما مفهوم الأدبيّة؟
 - ما خصائص السرد القرآني لقصص بني إسرائيل؟
 - ما الفرق بين (بني إسرائيل) و(اليهود) في الاستعمال القرآني؟
- وفي سبيل الإجابة عن هذه الإشكاليّة والتساؤلات، احتوى هذا البحث على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول ثمّ خاتمة.

- **مدخل البحث؛** عرضنا فيه بيانا لكلمات العنوان بدءا بمفهوم الأدبية فالسرد ثم القصة.
- **أما الفصل الأول:** وسماه بـ: **تجليات القصة في القرآن الكريم**، انطوت تحته سبعة مباحث معنونة كالتالي:

- **مفهوم القصة القرآنية:** عرضنا فيه مفهوم القصة القرآنية والفرق بينها وبين الأساطير، هذا المصطلح الذي نعت به المشركون أخبار الأوّلين التي جاء بها سيّدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكذا الفرق بين القصة القرآنية وبين المثل الذي يعدّ من أساليب القرآن في حجاج المعاندين.

- عناصر القصة في القرآن الكريم: بيّنا فيه أهمّ عناصر القصة في القرآن الكريم من: الأحداث، الشخصيات، الحوار، الصراع، الزمان، المكان، وما يتعلّق بها، موضّحين خصائص التوظيف السرد القرآني لكل عنصر مع التمثيل من آي القرآن الكريم.
- أنواع القصص في القرآن الكريم: عرضنا فيه أقوال بعض الدارسين لأنواع القصة في القرآن الكريم، وذكرنا أن مرد اختلافهم في التقسيم راجع إلى أن القرآن الكريم ليس كتاب فن وإنما هو كتاب دعوة دينية والقصة إحدى وسائل تلّكم الدعوة.
- أبعاد القصة في القرآن الكريم: اقتصرنا فيه على الأبعاد الرئيسية والتي يمكن أن تدخل ضمنها أبعاد أخرى تابعة أو مكملّة لها.
- الخصائص الذاتية للقصة في القرآن الكريم: عددنا فيه الخصائص الذاتية للقصة في القرآن الكريم وهي: مصدرها الرباني، الاختيار من القصة ما يناسب العبرة والعظة، الإنسان هو موضوع القصة، احتواؤها على المعجزات، القصة من أنباء الغيب، بث العظات الإلهية في ثنايا القصة.
- الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي (الفني): وفيه عرضنا أوجه التشابه والاختلاف بين القصصين.
- ثمّ أردفنا هذا الفصل بفصل ثانٍ عنوانه -: بنية السرد القصصيّ وبلاغته في القرآن الكريم، اندرجت تحته أربعة مباحث معنونة كالتالي:
- مفهوم البنية السردية: عرضنا فيه مفهوم البنية وخصائصها، وأشرنا إلى بعض المصطلحات التي تتقاطع مع مفهوم البنية في النقد العربي القديم، ثم ذكرنا مفهوم البنية السردية وأهم الاتجاهات التي عيّنت بتعريفها.

– الخصائص الفنيّة للقصة في القرآن الكريم: تطرقنا إلى مسألة نعت القرآن وآياته با(الفنية) وأقوال العلماء فيها، ثم ذكرنا جملة الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم مع التمثيل لكل خاصية.

– بلاغة اللّغة السّردية في القصص القرآنيّ: بيّنا فيه أبرز أوجه إعجاز اللغة السردية في القصص القرآني وبلاغتها، كالحذف، والتقديم والتأخير، والالتفات، وأوردنا نماذج لها من آيات القصص في القرآن بالتحليل والدراسة لرصدها وبيان بلاغتها.

– بلاغة تكرار السرد القصصي وأسواره في القرآن الكريم: وضّحنا فيه بعض الأسرار من تكرار السرد القصصي في القرآن الكريم، ومثلنا له بمشاهد من قصة سيدنا موسى –عليه السلام– في القرآن.

ثمّ انتقلنا إلى الفصل الثالث الذي عنون بـ: أدبية السرد القصصي في مشاهد قصص بني إسرائيل، انطوت تحته أربعة مباحث معنونة كالتالي:

– التعريف ببني إسرائيل: عرّفنا فيه ببني إسرائيل.

– مواضع قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم: ذكرنا فيه مواضع سرد مشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم، وحكمة مخاطبة الله لهم بـ (بني إسرائيل) دون (بني يعقوب).

– بحث الأدبية في درس الإعجاز القرآني: تطرقنا فيه إلى حديث العلماء عن أدبية الخطاب القرآني وركزنا الأمثلة على آيات السرد القرآني، انطلاقاً من أنه لا يمكن الحديث عن السرد القصصي في القرآن الكريم بمعزل عن الخطاب القرآني عامة.

– البنية الأسلوبية لمشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم: وهو المبحث التطبيقي، وهنا عرّفنا بمنهجنا في الدراسة والتحليل انطلاقاً من تعريف المشهد لغة واصطلاحاً، ثمّ قسمنا قصص بني إسرائيل إلى ستة مشاهد، وفق تسلسلها التاريخي لا وفق ترتيب سور القرآن، وبيّنا مظاهر

الأدبية في كل مشهد على مستوى الأفراد والتركيب. ثم تطرّفنا من خلاله إلى: بلاغة الحوار، والرؤية السردية في مشاهد قصص بني إسرائيل.

بعد ذلك كلّ انتهى المطاف بخاتمة تضمّنت ما وصلنا إليه من ثمرات هذا البحث.

واعتمدنا في عرض مادّة البحث على المنهج الاستقرائي في الإطار الوصفي وقضاياه، لأنّنا اهتمنا بالجانب النظري والتطبيقي.

وحقيقة لقد وجدنا ميدان دراسة أدبيّة السرد القرآني لقصص بني إسرائيل ميدانا رحبا واسعا بكرا لم يطرق بابه أحد -في حدود اطلاعنا- باستثناء ما وقفنا عليه في أطروحة دكتوراه بعنوان: أدبيّة السرد القرآني "مقاربة من منظور علم السرد"، للطالب: رياض بن يوسف، ناقشها بجامعة منتوري قسنطينة/ الجزائر، عام 2009-2010م، إلّا أنّ هذه الأطروحة لم تتخذها مصدرا في بحثي، لاختلاف خطّة البحث بينهما جملة وتفصيلا؛ فالطالب رياض قد طبّق في أطروحته ما توصّل إليه علم السرد عند الغرب على السرد القرآني، خاصّة التحليل الوظيفي لـ "فلاديمير بروب"، والتحليل العاملي لـ "غريماس"، وتحليل "جيرار جينيت" لقضايا الزمن والصيغة.

ورسالة ماجستير تحت عنوان: لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل "دراسة دلالية أسلوبية" للطالب: لافي محمد محمود زقوت، ناقشها بجامعة النجاح الوطنية في نابلس/ فلسطين، عام 2010م، التي درست الآيات القرآنية في خطاب بني إسرائيل عامة، وأشار صاحبها بكثير من الإيجاز إلى قصصهم -حوالي 16 صفحة- في معرض حديثه عن أشكال التصوير الفني في لغة الخطاب لبني إسرائيل، فذكر: التصوير من خلال اللفظ، التصوير من خلال التشبيه، التصوير من خلال الاستعارة، التصوير من خلال الكناية، التصوير من خلال القصة، التصوير من خلال الحقيقة.

وكتاب: أدبية النص القرآني "بحث في نظرية التفسير" لـ: عمر حسن القيّام، عرض فيه جهود بعض الدارسين المحدثين للنص القرآني بدءاً بمحمد عبده وأمين الخولي مروراً بعائشة عبد الرحمن وشكري عياد وانتهاءً إلى محمد أركون ونصر حامد أبو زيد.

وكتاب: السيدة مريم في القرآن "قراءة أدبية" -الذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه باللغة الإنجليزية- لـ: حسن عبود، استحضر لها الكاتب -كما صرّح في الصفحة 35- نظريات متعددة لفهم بناء العلاقات الداخلية للنص القرآني الذي نزل في مريم -عليها السلام-.

أمّا مصادر البحث ومراجعته فقد توزعت بين كتب النقد والبلاغة والتفسير، كان أهمّها:

- مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع: لتوفيق الزبيدي
- أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث: لزروقي عبد القادر.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف: لعبد الكريم الخطيب.
- من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني "دراسة في منهاج الإعجاز السردى":
لمحمد الأمين بن محمد خلادي.
- تصريف القول في القصص القرآني "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام": لأمحمد محمد صافي المستغامي.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري.

- تفسير التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور.

هذا ولما كان كلّ بحث لا يخلو من الصّعوبات فقد واجهتني بعض المشاقّ في مقدّماتها وفرة المادة العلمية في الجانب النظري وشحّها في الشقّ التطبيقي، لكن توكلّي على الله وتوجيهات المشرف كانا نبراساً أنار لي متشعبات البحث.

وفي ختام هذه المقدّمة لا بدّ من إعطاء كلّ ذي حقّ حقه، فأنا أدنو من أساتذتي كلّهم على استحياء، ومن أستاذي المشرف تخصيصاً على تواضع، فليّ الله الحمد أن منّ عليّ بمشرف فاضل الأستاذ: "صلاح الدين منقور" الذي كانت توجيهاته السّديدة نبراساً استنار بها البحث نحو الأفضل، كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري الجزيل إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذا البحث وإثرائه بتوجيهاتهم الطيبة.

هذا جهد المقلّ أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن لا يحرمانا أجر المجتهدين المخطئين، فما في هذا البحث من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما فيه من خطأ فمن نفسي وتقصيري.

وَبِاللّهِ حَوْلِي وَعَتَصَامِي وَقُوَّتِي وَمَا لِي إِلَّا سِتْرُهُ مُتَجَلِّلاً
فَيَارَبَّ أَنْتَ اللَّهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلاً¹

الطّالب: يوسف سنوسي

تبارت يوم: الجمعة 02 ربيع الأول 1446هـ

الموافق لـ 06 سبتمبر 2024م.

¹ - البيتان 93، 94 من مقدمة متن الشاطبية.

مدخل البحث

1- مفهوم الأدبيّة

2- مفهوم السّرد

3- مفهوم القصّة

المصطلحات مفاتيح العلوم، بما يحصل الفهم السليم، والتّحصيل السّديد، وهي الألفاظ التي تحمل معاني خاصة، فهي ليست كسائر الألفاظ، كثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى المعنى اللّغويّ لتعكس خلاصة الأفكار والنّظريّات المعرفيّة في النّسق المعرفيّ الذي تعود إليه وتنتمي إلى بنائه الفكريّ.

والجدير بالذّكر "أنّ المصطلح يشكّل إحدى العتبات والمداخل الأساسيّة للنّصّ (...). وبامتلاكه يمتلك المتلقّي المفتاح الحقيقيّ للدّخول إلى عالمه وفهم مكانته"¹. فلو لا المصطلح ما استطاع المتلقّي التّواصل مع النّصّ، ذلك أنّ المصطلح يمثّل "نقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النّصّ حينما تتشابك خيوط الظّلام، وبدونه يغدو الفكر كرجل أعمى في حجرة مظلمة، يبحث عن قطة سوداء لا وجود لها"².

ومن ثمّ كان لزاما على دارس الأدب أن يلمّ بجملة من المصطلحات والمفاهيم الإجرائيّة في مجال الدّراسة والتحليل ليتّصل بالموّلف ويتمكّن من تفكيك شفرات النّصّ، وقد قيل "إنّ فهم المصطلحات نصف العلم، لأنّ المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم، والمعرفة مجموعة من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة"³، والمصطلح ضرورة لازمة إذ لا معرفة بدون مصطلح، ومن خلاله يمكن للباحث "أن يتناول موضوعه بالدرس والتحليل وهو مطمئن إلى النتائج التي يصل إليها تحليله"⁴. وعليه فإنّ المصطلح يضمن وضوح الرؤيا ودقة الحكم واستقرار المفاهيم، فيبتعد بذلك الخطاب النّقديّ عن الغموض وسوء الفهم والإفهام.

¹ - عبد الرزاق جعنيّد: المصطلح النّقديّ "قضايا وإشكالات"، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 2011، ص: 11.

² - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص: 43.

³ - علي القاسمي: علم المصطلح "أسسه النظرية وتطبيقاته العلميّة"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 265.

⁴ - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2010، ج1، ص: 11.

ولأهمية المصطلح ارتأينا تفكيك مصطلحات عنوان البحث وسعينا إلى تقريب تعريفاته ومعانيه.

1- مفهوم الأدبية: *Lalittéarité*

الأدبية من المصطلحات التي استقطبت النقاد في طبيعة الرؤية إلى الخطاب الأدبي، وعلى الرغم من تعدد زوايا الرؤية والمقاربات وكثرة المناهج التحليلية إلا أن توجههم الخالص للخطاب الأدبي وهدفهم "ينحصر في إدراك كنه ما يسمّى اليوم بالأدبية"¹ مع الإشارة إلى أن مفهوم مصطلح الأدبية "ظلّ غامضاً على وضوحه النسبي، بحيث توقف نشاط البحث فيه أوكاد، منذ المدرسة الشكلانية* الروسية"² مع جاكبسون الذي كتب سنة 1921م أن الغاية من الدراسة الأدبية ليست هي الأدب وإنما هي الأدبية أي ما يجعل منه عملاً أدبياً. "وهو ما حدا بتميّز الدراسة الأدبية من خلال استقلالها بتحديد ماهيتها وموضوعها"³ الذي ليس هو "العمل ولا هو الأدب بصفته مجموعة أعمال، وإنما هو الأدبية *La littéarité* أي الخاصية

¹ - بسام بركة وماتيو قويدر وهاشم الأيوبي: مبادئ تحليل النصوص الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، القاهرة، مصر، د.ط، 2002، ص: 15.

* - الشكلائية (**Formalisme**): تطلق على تيار تنظيري أدبي، ظهر ما بين 1915 و1930م، كان من أبرز أعلامه: باختين، أوبرك، إخنباوم، فلاديمير بروب، تينيانوف، شخولوفسكي، فينو غرادوف. وتعتمد في تحليلها على الوصفية/الشبه = إحصائية تراكيب الأعمال الشعريّة/ بنيات العمل. (ينظر: سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "عرض وتقديم وترجمة"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 129).

² - عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1992، ص: 15.

³ - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014، ص: 39.

المجرّدة التي تجعل من عمل ما عملاً أدبيّاً¹. وهذا التعريف نفسه نقف عليه عند عبد السلام المسدي حين يعتبر أنّ "الأدبيّة من الأدبيّ، والأدبيّ من الأدب، فيكون لفظ الأدبيّة في منطلقه كأنّه التّعت القائم مقام منعوته، وهذا المنعوت المنحجب والمقدّر تقديرًا هو "السّمة" فكأنّما قلنا في البدء "السّمة الأدبيّة" التي إذا توفّر عليها الكلام أصبح كلاماً فنيّاً، أي أدبيّاً²، هذا عن الأدبيّة من وجهة نظر نقدية أمّا بالنّسبة للقارئ العادي فهي "مجرّد تلقّي شعور ما بالجمال يمتنع النفس، ويغذّي القلب"³، وهو ما عرفه توفيق الزّيدي بـ "التّلذذ الأدبي"، من هنا ينبع إشكال يضفي نوعاً من الغموض على مفهوم الأدبيّة يصل إلى حدّ الحيرة، بوصفها -الأدبيّة- حالة "الاندهاش بعجائبيّة النّصّ من حيث هي ليست في الصّيّغة، ولا في اللّغة المختارة، وإنّما هي في كلّ مكوّنات الكتابة"⁴، ليكون البحث بعد ذلك "عناصر مشكلاتها، ومكوّنات التّأثير فيها، ثمّ مكوّنات التّأثير فيها من بعد ذلك. فليست أدبيّة الأدب مجرد شيء ما نلمحه في النّصّ ثمّ لا شيء؛ بل أنّ هذه الأدبيّة يجب أن تنصرف إلى مظاهر أخراة هي التماس علّة تأثيرها، وسرّ استبدادها بالإعجاب"⁵، وهنا ينبغي على النّصّ الأدبي "أنّ يشير إلى شيء مختلف عن محتواه، وعن شكله الفرديّ، وهذا الشّيء "سياحه" الخاصّ به. وبه -حصراً- يفرض نفسه على اعتباره

¹ - جان-ماريك لينكينبرغ: من الأسلوبية إلى الشعريّة، تق وترج: فريدة الكتاني، مجلة نوافذ، ع:9، سبتمبر 1999، المملكة العربية السعودية، ص: 35.

² - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، 1994، ص: 115. نقلاً عن: زروقي عبد القادر: المرجع السابق، ص: 45.

³ - عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ص: 17.

⁴ - عميش عبد القادر: أدبيّة النّصّ في كتابات أبي حيان التّوحيدي "الخصائص النصية والتنظيمية"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. سليمان عشراقي، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2000-2001، ص: 109.

⁵ - عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ص: 17.

أدبا"¹. وفي إشارة رولان بارت هاته تلميح إلى "الخصوصية التي من الضروري أن تميز الخطاب عامة لكي تجعل منه الأدب واللاأدب"² ذلك أن الأدبية لا تظهر إلا من خلال التوظيف الفني للغة فهي "تقع في معظم الأحوال داخل نظام اللغة التي تجعل الأدب متميزاً عن اللغة المستخدمة لأغراض أخرى"³ لذا توجب إعطاء أهمية لأدبية الأدب كونها تنبع من مستويات لغوية فنية جمالية، بعيداً عن المناهج السياقية التي تميل في نقد النصوص الأدبية إلى علم الاجتماع أو التاريخ أو علم النفس، أكثر من اهتمامها بالعمل الفني ذاته، إذ لا يمكن الحكم على أدبية النص إلا من داخله لا من خارجه، وهو ما رمى إليه الشكلايون، فقد "كان هدف هؤلاء أن يبحثوا في الخصائص التي تجعل من الأدب أدباً بالفعل، ولخصوا هذه الخصائص في مصطلح واحد سموه الأدبية La littérature، وقد دفعهم التركيز على الأدبية إلى الدراسة المحيطة للنصوص الإبداعية دون النظر إلى علاقتها مع ما هو خارجي عنها كحياة الأديب، والواقع الاجتماعي والاقتصادي"⁴، ولا يعني ذلك أنهم يعتبرون أن ما هو خارج عن النصوص الأدبية لا صلة له بها، ولكنهم يعتبرون البحث فيه بعيد عن اختصاصهم، من جهة أن "علاقة الأدب بصاحبه من اختصاص علماء النفس، وعلاقة الأدب بالمجتمع من اختصاص علماء الاجتماع"⁵، وبذلك يبدو اهتمام الشكلايين ببنية النص الأدبي وإدراك طبيعة تركيبه الداخلي هو الذي "أفضى إلى

¹ - رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002، ص: 05، 06.

² - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 47.

³ - جوناثان كولر: مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 47.

⁴ - حميد حمداني: بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص: 11.

⁵ - حميد حمداني: بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، ص: 11.

التنبّه إلى الخصائص اللّغويّة التي تمنح الخطاب وظيفته التّأثيريّة والجماليّة¹، وقد أسهم هذا الاهتمام ببنية النّصّ وعزله عن السّياقات الخارجيّة في الكشف عن الخصائص العلائقيّة التي تشيّد الخطابات التّأثيريّة وتميّز بين نصّ وآخر، ولم يعد الوصول إلى الوظيفة التّأثيرية عن طريق علاقة النّصّ بالسّياقات الخارجيّة. كون الجمال في النّصّ يعود إلى بنية العناصر المتفاعلة، وأخذوا يطرحون أسئلتهم عن الـ (كيف) لا عن الـ (ماذا) الكيفيّة التي يتمّ بها المعنى، والكيفيّة التي تتحقّق بها اللّذة وتمنح النّصّ الفرادة الأدبيّة، "وقد خلص الشّكلانيون الرّوس إلى أنّ النّصّ الأدبي ليس أدبيّاً بمعناه أو فحواه، وأنّه ليس كذلك من حيث نشأته وما عمل فيها من مؤثّرات، وإنّما هو أدبيّ بحكم صياغته وأسلوبه، وطريقته، ووظيفة اللّغة الفنّيّة فيه"²، لكنّ هذا أثار إشكالا أشار إليه توفيق الزّيدي يخصّ الجانب الإجرائي "للأدبيّة"، لأنّ إخضاع النّصّ للعمليّة التّقديّة لا يتمّ إلّا بواسطة ما وراء النّصّ، وما نقوله عنه إنّما هو نصّ ثان، وفي صهر النّصّين يكمن الاستعصاء.³ "وقد تظهر المشكلة بينهما حيناً ولكن سرعان ما تختفي العلاقة وينحلّ الوصل... هو السّرّاب... هي "الرّبقيّة"... هكذا الأدبيّة"⁴، ولعلّ هذه الرّبقيّة كانت سببا كي "يساء فهم الأدبيّة على نحو يثير اللّبس (...). ما دفع بالمصطلحات أن تتفرّع من الأدبيّة مثل الشّعريّة وسواها*. لتكون الأدبيّة من بين الحقول الموازيّة للشّعريّة، وهي الأكثر قربا

¹ - بشرى موسى صالح: المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، مج:10، ع:40، المملكة العربيّة السعوديّة، جوان 2001، ص: 285.

² - عبد الناصر حسن محمد: نظرية التّوصيل وقراءة النّص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د.ط، 1999، ص: 25.

³ - ينظر: توفيق الزّيدي: مفهوم الأدبيّة في التراث النّقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص: 04.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 04.

* - من المصطلحات التي تتقاطع مع الأدبيّة انطلاقا من مفهومها في التّقند الحديث: الجماليّة، والأسلوبيّة، وعلم الأدب. غير أنّ مصطلح الأدبيّة لم يجد الرّواج الكافي لينتشر ويتبنّى.

لها، لكنّها الأسبق في الظهور في عالم النظريّة النّقدية الحديثة من الشّعريّة¹. بل إنّ نظرة دقيقة لاستراتيجية الشّعريّة، تظهر أنّ الأدبيّة هي موضوعها الأكيد، فالشّعريّة تستنبط الخصائص التي تضيف على الخطاب أدبيّته، وبهذا تكون علاقة الشّعريّة بالأدبيّة علاقة المنهج بالموضوع على التّوالي.

ومّا لا جدال فيه أنّ النّقد العربي القديم قد لامس مصطلح "الأدبيّة" بمفهومه الحديث بمصطلحات حامت حوله، نذكر منها: الديباجة، والرّونق، والطّلاوة، والماء الشّعريّ، والحلاوة. ومجمل القول في الأدبيّة أنّها مفهوم حدائيّ نسبياً نشأ في أجواء الشّكلانيّة الرّوسية يتقاطع مع مفاهيم في النّقد الحديث كالشّعريّة والأسلوبية، وله ما يلامسه في النّقد العربيّ القديم، يحيل على مجموعة العناصر التعبيريّة والتأثيريّة النّصيّة، والتي تحقّق للنّصّ قيمته وفرادته الأدبيّة، ووجودها رهين بركنين لا يقوم أحدهما بدون الآخر: الإمتاع والإقناع.

ويظلّ البحث عن مفهوم الأدبيّة مستمرّاً لأنّه "قد لا حظنا أنّ معاظم النّقاد والمحلّلين الغربيين حيث يتحدّثون عن مفهوم الأدبيّة لا يأتون إلّا بمقولة ياكبسون التي أثارت مشكلة ولم تحلّها، حيث إنّها لم تستطع تحديد عناصر هذه الأدبيّة ومعاييرها التي يمكن الاحتكام إليها لدى الحاجة، والتي تتيح لنا أن نعدّ عملاً ما أدباً، ولا نعدّ عملاً ما آخر أدباً"²، لكن هذا لم يمنعنا من الاجتهاد في البحث عن مستويات تحليل النّصّ الأدبي في ضوء الأدبيّة.

1-1- مستويات تحليل النّصّ الأدبي في ضوء الأدبيّة*

¹ - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 48.

² - عبد الملك مرتاض: الكتابة من موقع العدم "مساءلات حول نظريّة الكتابة"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، د.ت، ص: 232.

* - نقصد بالأدبيّة في هذا العنوان الآلية التي يراد منها البحث عن البعد الأدبي للنص.

كان البحث في أصول تحليل النصوص الإبداعية وتداولها داخل دوائر ثلاثة كبرى تؤلف جسم الظاهرة الأدبية وهي:

"-الذات المبدعة ومقصديتها الظاهرة والمضمرة (حركية الذات).

-النص الإبداعي من خلال مكوناته اللسانية (حركية النص).

-التلقي وما يطرحه من إشكالات التأويل"¹.

تحليل النص في ضوء الأدبية يتم داخل التضافر الحاصل بين العناصر المكونة لكل دائرة من هذه الدوائر الثلاثة وكل ذلك يتم داخل بنية النص الأدبي التي تتألف من مستويين رئيسيين: البنية السطحية والبنية العميقة، ويظل التواصل التفاعلي هو الدائرة الأكبر المحددة لأدبية النص الإبداعي.

و"إنَّ أوَّل من استعمل مصطلحي البنية السطحية (surface structure) والبنية العميقة (deep structure) هو تشارلز هوكيت (Charles Hockett) في مؤلفه الشهير: (محاضرة في اللسانيات الحديثة). ولأن هذين المصطلحين لم يظهرهما عند تشومسكي بطريقة جلية إلا في (مظاهر النظرية التركيبية) (1965). وملخص القول: إن لكل جملة بنيتين: بنية عميقة وبنية سطحية. أما البنية العميقة فهي شكل تجريدي (abstract) داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تُشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية. وأما البنية السطحية فتُمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز. وحسب التحويليين فإن هاتين الجملتين: (كتبَ أحمدُ الرسالة) و (كُتبتَ الرسالةُ من قبل أحمد) لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية؛ أي

¹ - محمد زايد: أدبية النص الصوفي بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،

على مستوى البنية السطحية، ولكنهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً - إن لم نقل متطابقتان - على مستوى البنية العميقة.¹

وسنقف مع المصطلحات المكوّنة للدوائر الثلاثة التي يتخذ منها المحلل آليات لمقاربة النصوص الإبداعية والتي تمّ التعبير بواسطتها عن مفهوم الأدبية.

1-1-أ/ الذات المبدعة ومقصديّتها الظاهرة والمضمرة

ترتبط مقصديّة الخطاب بالذات المبدعة وهي التي تجعل النصّ يبرز في صفة خاصّة، إذ "لم تخل كتابة (...) من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصديّة"، ومما يفيد هذا المعنى؛ فالباحثون جميعهم يجعلون المميّز الأساسيّ بين لغة الإنسان وغيره هي المقصديّة² وهي تعني "أنّ كلّ جملة لغويّة (أو نصّ) وراءها مقصديّة أولى تتجلى في بعض الحالات تمثل الاعتقاد والخوف والتّمني والرغبة والحبّ والكراهية، وثانويّة هي ما يعرفه المتلقّي من مقاصد المتكلّم والحالات التي وراءها، وتوضيح ذلك: أنّ الفعل الكلاميّ "اقرأ" يلبي مقصداً أوّلياً يظهر في رغبة المرسل سماع القراءة"³. وأبعاد القصد خمسة في اللغة: قصد للمواضعة من حيث هي مبدأ وقانون شامل للظاهرة اللغويّة إطلاقاً، وقصد لمواضعة مخصوصة بلغة معيّنة، وقصد للمخاطبة لغرض تواصل، وقصد للفائدة تتمثّل في إيصال شحنة دلالية لتحقيق عملية الإخبار، وقصد للمتقبّل بما أنّ المتكلّم لا يبثّ خبره إلاّ وهو مرسل إيّاه لمن يتّجه به إليه سواء انحصر عدداً أم اتّسع أم استعصى

¹- أحمد مومن: اللسانيات "النشأة والتطور"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص: 212.

*- يشترك المصطلحان: القصدية والمقصديّة في الجذر اللغوي (قَ صَ دَ)، لكنّ بعض الدارسين فرّق بينهما في الاستعمال فجعل القصدية تتعلق بالنصّ والمقصديّة نشاط ذاتي يتعلق بالذات المبدعة؛ وهو المعنى الذي أراده الكاتب من بين المعاني. في حين رأى بعضهم أنّ القصدية والمقصديّة متساويان ولا يمكن فهم قصديّة المؤلّف بعيداً عن قصديّة النصّ.

²- محمد مفتاح: دينامية النص "تنظير وإنجاز"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص: 38.

³- المرجع نفسه، ص: 50.

على الحصر¹. ويفهم من هذا أنّ عملية التواصل تنطلق من الذات المبدعة التي تنتج النص بمقصديّة معيّنة يفهمها المتلقّي من خلاله (النصّ).

وقد أشار إلى هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس"²، وليس الغرض عنده بنظم الكلم أن تتوالى ألفاظه في النطق، بل أن تتناسق دلالتها وتتلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، فـ"إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها ترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"³. ومن ثمّ يمرّ البحث عن أدبيّة الإبداع الأدبيّ بالبحث عن مقصديّة الذات الإبداعية سواء أكانت مباشرة شفافة في النصّ أو خارجه أو خفية متوارية، أو كانت ناتجة عن وعي أو عن غير وعي، وهو ما يستدعي بناء استراتيجية خاصّة تقوم على جملة من الافتراضات التي تشكّل جوهر المعنى، وممكن تنشيط الدلالات؛ لأنّ النصّ لا يقوم بلا مقصديّة واعية، والتي تكفل نجاح عمليّات التّأويل الذي يقوم على اكتناه روح النصّ بالوقوف على مقاصده الخفية، ولأنّ النصّ يتّخذ أبعاداً متعدّدة سيكون من العسير حصر مقاصده لكن سيكون من الضّروري خلق

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص: 147.

² - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، قر وت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 49.

³ - المصدر نفسه، ص: 54.

استراتيجية تساهم في تفعيل مسار الرؤية النصية¹. فليس من الممكن فصل النص عن صاحبه الذي كان وراء وجوده وإلا فقد خصوصيته البلاغية والإقناعية.

1-1-ب/ النص الإبداعي من خلال مكوناته اللسانية

اهتم العلماء بالنص منذ القديم فأدى ذلك إلى ظهور علوم ونظريات تهتم بدراسته، وكان من نتائجها تنوع الدلالات وتعدد التأويلات، كما مكن من الوعي بمقوماته النصية وعناصره اللسانية التي تحقق فرادته الأدبية إمتاعا وإقناعا. ومن المكونات اللسانية التي اهتموا بها في ذلك:

● **اللغة:** من العناصر اللسانية التي تتشكل منها أدبية النص، وهي تحيل إلى الدلالة التي يحملها النص والمعنى الذي يرمي إليه مؤلفه، وذلك من خلال ضبط ثلاثة أمور: "بنية الجملة من الناحية النحوية، ومعنى هذه الجملة من خلال تضافر دلالة مكوناتها المعجمية، وربط ذلك بالسياق ومنه المقصدية"²، فالمعجم اللغوي في ارتباطه بالتركيب يكون حقلًا دلاليًا ويرشد إلى هوية النص "بناء على التسليم بأن لكل خطاب معجمه الخاص به (...) فالمعجم لهذا وسيلة للتمييز بين أنواع الخطابات"³، و "اللفظ الرشيق الأنيق يؤثر في القلوب والعقول تأثيرا شديدا، وكأنه يزيد في حقائق المعاني وأقدارها"⁴. ولعل ذلك التضافر بين بنية الجملة ودلالاتها هو الذي

¹ - ينظر: وسام مرزوقي، قوتال فضيلة: القصيدة وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، مج:08، ع: 01، 2019، ص: 175، 176.

² - محمد زايد: أدبية النص الصوفي بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني، ص: 84.

³ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص:

58.

⁴ - شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، د.ت، ص: 162.

أسس له عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم*، تضاف إليها مساهمة علماء الأصول حين اهتموا باللغة عامة، ودلالات الألفاظ وعلاقاتها بالمعاني بوجه خاص، كما اهتموا بوحدة النص، حيث اعتبروه وحدة دلالية متماسكة الأجزاء والأطراف، وقد "قسم الأصوليون الدلالة إلى أربعة أصناف: دلالة العبارة: وتعني المعنى المفهوم من ظاهر النص، ودلالة الإشارة: وهو المعنى المستفاد من نتيجة العبارة لا من ظاهرها، ودلالة النص: وهو المعنى الذي يثبته النص بمعنى اللغة لا بمعنى الاجتهاد، ودلالة الاقتضاء: وهي دلالة اللفظ على كل أمر لا يستقيم المعنى إلا بتقديره"¹. وهذا يدل على مساهمة الأصوليين وجهودهم في البحث اللغوي عامة والبحث في مقصدية النص خاصة.

وإذا جئنا إلى تحديد الأدبية في النصوص الإبداعية وجدناها لا ترتبط بالبنيات النصية اللغوية المباشرة وحدها، وإنما هي مشروطة "بالبات" وبشروط البت وبالعلاقات الرابطة بين البات والمتقبل من جهة وبين ما يدل عليه النص نفسه من جهة أخرى"²، ونشير في هذا المقام إلى الفرق بين اللغة والأسلوب فاللغة وظيفتها الدلالة الإجمالية (...) بينما الأسلوب، ذلك الطابع المتفرد المتسم وجوبا بالجمال الذي يطبع اللغة في انتساجها (...) فكأن الأسلوب مرتبط بكتابة الخطاب كله، بالنص في شموليته واتساعه واتساقه"³، فلا ترتبط اللغة بالجمال أو تتصف به، في

* - نظرية النظم: نظرية لغوية عربية اكتملت على يد الإمام عبد القادر الجرجاني وإليه تنسب وقد قال في تعريف النظم: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهتج فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخل بشيء منها". (عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 81).

¹ - محمد زايد: أدبية النص الصوفي بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني، ص: 86.

² - توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ط، 1984، ص: 124.

³ - عبد الملك مرتاض: الكتابة من موقع العدم "مساءلات حول نظرية الكتابة"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، د.ت، ص: 90.

حين يرتبط الأسلوب بذلك ويتّصف به. "من أجل هذا، لا يمكن النظر إليه (الخطاب القرآني) على أنّه مجرد أوعية لفظيّة محمّلة بدلالات لغويّة فحسب، وإنّما لها أبعاد نفسيّة، وأخرى فكريّة... أعمق من ذلك وأجدر بالعناية والملاحظة والتّتبّع والبحث. فلا يمكن فهم هذا الخطاب القرآنيّ واستنباط الأحكام منه إلّا في ظلّ تكامل الإمام بالأسرار اللّغويّة، والقيم الثقافيّة، والمفاهيم العلميّة والفكريّة، والممارسات الاجتماعيّة، والخبرات الإنسانيّة"¹، فدلالة النّصّ تتحقّق وفق شرطين: داخل النّصّ في إطار العلاقات السّياقيّة بين مكوّناته اللّسانيّة، وخارج النّصّ في إطار العلاقات الإحاليّة.

● الإيقاع: يعتبر الإيقاع من العناصر التي يبحث فيها النّقاد للحكم على أدبيّة النّصّ، ولم يعد حكرًا على الشعر وحده بل انتقل مع الدّرس النّقديّ الحديث إلى النّثر، وتكمن أهمّيّته في قدرته الصّوتية والتركيبيّة والمعجميّة على إضفاء النّغم الصّادر عن الخطاب اللّغويّ، وبواسطته يتحقّق الأثر الجماليّ والفنّيّ للنّصّ وذلك من خلال حسن سبك أصواته وألفاظه وعباراته وجودة تقديم مضمونه. فأصوات الحروف، وتركيب المقاطع المتوازنة، وتناغم الحركات والسّكنات، والعلاقات الوطيدة بين مخارج الحروف ومعانيها وتناسبها في مسافات مرسومة، يضيف على النّصوص إيقاعًا موسيقيًا ثريًا. بل هي دعامة من دعائم الإيقاع، و"لما كان الصّوت كذلك اهتمّ العرب بالزّخرف اللفظي، وأوجدوا آليات أسلوبيّة معتمدة على البنية البديعيّة، لتلعب دورًا مهمّا في تحقيق أدبيّة النّصّ"² في جميع عناصره ومقوّماته، بدءًا باختيار اللفظ والمعنى الذي يحمله، وانتهاء بنظم الكلم بعضه إلى بعض، على اعتبار البعد الإيقاعي في النّصّ "نوعًا من

¹ - لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النصّ القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرّؤية وآليات التكوين"، مؤسسة

المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص: 96.

² - زروقي عبد القادر: أدبية النصّ عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 250.

العدول عن الطرائق المألوفة في نظم الكلم وبنائه"¹. فآلية الإيقاع بهذا المفهوم لا تقف عند الصوت أو الكلمة، وإنما تتعداهما إلى النصّ كلّ شعره ونثره، فالتّقاد وإن كانوا يصرون على الإقرار بأنّ الشعر قائم على الإيقاع، "غير أنّهم يقرّون أيضا بأنّ الإيقاع محمود في النثر"²، بل هو خاصّ بالشعر والنثر معا، فهو "يتعدّى حدود الجنس الأدبيّ ليصبح طاقة تحرّك فنون القول عامّة. وما تلك الحدود إلّا مؤشّرات لهذه الطّاقة"³، في حين نجد الوزن والموسيقى خاصّ بالشعر وحده، فمفهوم الإيقاع يختلف عن مفهوم الوزن. الأول هو "وحدة النغمة التي تتكرّر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسّكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام"⁴ وهو في الشعر تمثله التّفعيلة لأنّ المقصود من التّفعيلة مقابلة الحركات والسّكنات فيها بنظيرتها في الكلمات في البيت. أمّا الوزن "هو مجموع التّفعيلات التي يتألّف منها البيت. وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقيّة للقصيدة العربيّة"⁵، ومن ثمّ كان الوزن هو الحدّ الفاصل بين الشعر والنثر.

والإيقاع هو الذي يحقق شعريّة الشعر أو بالأحرى أدبيّة الأدب، وحضوره في النصّ ضروريّ، "وهو ما يدفع بالكلام الأدبي عند العرب يأخذ صورة المعادلة التّالية:

$$\text{الكلام الأدبي} = \text{قول} + \text{شعريّة} + \text{إيقاع}^6.$$

¹ - محمد لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية "الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه"، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ط، 1992، ص: 82.

² - المرجع نفسه، ص: 78.

³ - توفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، ص: 138.

⁴ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1997، ص: 435.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 436.

⁶ - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 255.

لكن تجدر الإشارة هنا إلى أنه لا ينبغي اعتبار الإيقاع سلسلة أصوات وظيفتها في النصّ رصد النعمة الموسيقية، "وإنما هي نوع من التوازي الصوتي الدلالي يتوافر في النثر والشعر على حدّ سواء، وبفضله تكون أدبيّة النصّ"¹، بعدما تتظافر الأصوات مع دلالاتها فينبعث المعنى، ولا تتحقّق الأدبيّة إلّا إذا وقع التناسب بين البنية الصوتية الإيقاعية والبنية الدلالية.

وقد عدّ النّقد الأدبيّ الحديث للإيقاع أنواعاً*، لعلّ أجدرها بالذّكر:

- الإيقاع التركيبيّ: هو الإيقاع العامّ الذي يهيمن على الخطاب الأدبيّ بوجه عامّ فيميّزه تمييزاً.
 - الإيقاع الداخليّ: ويتحقّق على مستوى الصياغة الداخليّة للخطاب الأدبيّ، فيتّخذ مظاهر إيقاعية تتلاءم فيما بينها داخليّاً، لتظاهر الإيقاع الخارجيّ وتنسجم معه.
 - الإيقاع الخارجيّ: وهو غالباً ما ينصرف إلى القافية والوزن، وما ينجم عنهما من التلذّذ.
- وبهذا يكون الإيقاع أحد المكونات الأساسية لأدبيّة النصّ، وتبظافر أنواعه يرقى الخطاب الأدبيّ إلى مستوى الفنيّة، ويحقّق فرادته الأدبيّة.

● **الصورة الفنيّة:** تُعدّ الصورة الفنيّة عنصراً مهماً في بناء النصّ الأدبيّ، الذي يبدأ من البنية الصوتية ومروراً بالبنى الصرفية والمعجميّة والتركيبيّة؛ ولذلك كانت دراستها في النصّ الأدبيّ من الأهمية بمكان. باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بألفاظها ليتفاعل المتلقّي للنصّ الأدبيّ نحو السّير وراء الصّورة في استكناه العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى، ويكون

¹ - المرجع نفسه، ص: 255.

* - من أنواع الإيقاع: الإيقاع الصوتي، الإيقاع اللفظي، الإيقاع الدلالي، الإيقاع البنائي، الإيقاع العروضي، الإيقاع البديعي، وهذا الأخير أكثر أهميّة من الإيقاع العروضي، بل يميّز عنه بفضل تزامنه بالإنتاج الصباغي، وينضاف إلى ذلك دوره الأساسي في إنتاج المعنى بجانب وظيفته الإيقاعية، بيد أن الإيقاع العروضي سابق للصياغة، وخارج عن إطار الدلالة تماماً. ومن عناصر الإيقاع البديعي: التكرار، التردد، الجناس، التصدير، التصريع. (ينظر للتوسّع في ذلك: زروقي عبد القادر: أدبيّة النص عند ابن رشيق في ضوء النّقد الأدبي الحديث، ص: 262-292)

طرق كشف هذه العلاقات هو التَّنَقُّل في استنباط المعاني من سبل صياغتها¹، ونجاح مؤلّف النصّ وفشله مرهون "بمدى قدراته التّصويريّة على نقل التّجربة والإحساس بفعل ملكة الخيال"²، ويبدو أنّ هناك إجماعاً من الباحثين، أو يكاد على صعوبة إيجاد تعريف جامع مانع لمصطلح الصّورة الفنّية، ومن مظاهر هذه الصّعوبة تعدّد التّراكيب الوصفية لهذا المصطلح وتنوّعها، فهناك إلى جانب الفنّية نجد مصطلحات: الصّورة الأدبيّة والشّعريّة والبيانيّة والمجازيّة والخياليّة أو يُكتفى بمصطلح الصورة وحده عارياً عن أي وصف من هذه الأوصاف. ومهما يكن من اختلاف في مصطلح الصّورة إلّا أنّ قيمتها لا تخرج عن كونها "تحرّر اللّغة من العلاقات العقلية التقليدية التي تربط بين مفرداتها، وتولد بينها علاقات جديدة"³، فتكسب اللّغة بذلك معاني جديدة، وتمنحها دلالات غير معروفة عامّة النّاس.

وقد ركّز عليها الأدباء باعتبارها مكوّناً جوهريّاً من مكوّنات النصّ الإبداعيّ، ليس جمالياً فحسب، بل إنّ مكوّن لا يخلو من إيقاع لا يقلّ أهميّة عن الإيقاع الموسيقيّ، يسمّيه الدّكتور عزّ الدين إسماعيل (التّشكيل المكاني) الذي يعني "إخضاع الطّبيعة لحركة النّفس وحاجتها"⁴ من خلال التّلاعب بصورها ومفرداتها في التّعبير عن نفسه، فالصّورة هي الوسيلة التي "يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قُرّائه وسامعيه"⁵، محدثاً بها جسراً من جسور التّواصل الذي

¹ - ينظر: محمد حسين علي الصغير: الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1981، ص: 11.

² - عبد الله التطاوي: الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2002، ص: 08.

³ - مشهور فواز: الصورة الشعرية وظاهرة التمرد في الشعر العربي الحديث، مجلة: إبداع، الهيئة المصرية العامة لكتاب، مصر، ع: 2، س: 18، مارس 2000، ص: 91.

⁴ - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر "فضايه وظواهره الفنية والمعنوية"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط: 3، د.ت، ص: 126.

⁵ - أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط: 10، 1994، ص: 242.

يمتدّ إلى إمتاعهم بالنصّ الإبداعي، فالخيال ممثلاً في الصّورة الفنّية يضاعف متعتنا بالنصّ ومن ثمّ "يصرفنا إلى عالم روحي يلذّ القلوب والأفئدة"¹، لأنّ "لغة الفنّ لغة انفعاليّة، والانفعال لا يتوسّل بالكلمة وإنما يتوسّل بوحدة تركيبية معقّدة حيويّة لا تقبل الاختصار نطلق عليها اسم (الصّورة)"²، فهي جوهر النصّ ووحدة بنائه.

إنّ كل ما سبق من حديث عن أهميّة الصّورة الشعريّة ووظيفتها في النصّ يقترب بنا من مفهومها، لأنّها لا تكتسب فاعليتها من كونها صورة، وإنّما تكتسبها من كونها ترسم انفعالا يحاول المؤلّف أن يوصله إلى المتلقّي عن طريق الصّيغة اللّغوية المكتملة الملامح والقسمات، والموظفة لكل العناصر اللّغوية فيما تقوم به من إبداع؛ ولذلك كان من بين تعريفات الصّورة الفنّية أنّها: الشّكل الفنّي الذي تتّخذ الألفاظ والعبارات بعد نظمها في سياق بيانيّ خاصّ، باستخدام طاقات اللّغة وإمكاناتها في الدّلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتّرادف والتّضادّ، والمقابلة والتّجانس وغيرها من وسائل التّعبير الفنّي³.

والمبدع حين يتعامل مع لغة الصّورة "عليه أن يجسّدها ويترك فيها ثغرات للتّخيّل اللامرئيّ حتّى لا يحرمها من ثراء الإيحاء، (...) وخلاصة تجربته الجماليّة في فنون الكلام"⁴، ليخرج من أسر الألفاظ والمفردات إلى آفاق جديدة من العلاقات بين أركان صوره، تتبلور فيها أدبيّة النصّ وجماليّته من جهة، ويتوصّل بها إلى الإقناع والتّأثير على المتلقّي من جهة أخرى.

1-1-ج/ التلقّي وما يطرحه من إشكالات التّأويل

¹ - شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ص: 172.

² - نعيم الباني: مقدمة لدراسة الصّورة الفنّية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1982، ص: 39.

³ - ينظر: عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، 1988، ص: 391.

⁴ - صلاح فضل: قراءة الصّورة وصور القراءة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص: 12.

النصّ الإبداعيّ يكسر القواعد النحوية والقوانين التقديّة وذلك بحرقه للعلاقة العقلية بين الدّوال ومدلولاتها، لأنّه فجر في اللّغة مستوياتها العميقة ومناطقها المحرّمة، ولقد تحدّث النّقاد عن علاقة المتلقّي بالنّصّ، بل قامت نظريّات معاصرة تبحث في هذه العلاقة التي غيّبتها المناهج البنيويّة. إذ "النّصّ نظام يستدعي القراءة وينعكس فيها" (...) وبالقارئ يكون النّصّ، وبه يتحقّق حضوره، وفيه تعرف هويّته ويزول الإبهام عنه¹، فالقارئ يحرك عناصر النّصّ ونظامه، ويفجّر لغته.

والبناء اللّغوي للنّصّ يمارس إغراءه على المتلقّي ويثيره ليتفاعل معه، فيفتح بذلك عالم جديد، إذ "تسعى اللّغة إلى فتح العالم الذي يحمل كلّ روابط الانتماء وغلقه على مستوى الكتابة حتّى يستجمع هذا العالم معناه ثمّ تضمين هذا المعنى حقيقة ما، فالمعنى الذي تدفعه اللّغة عبر تعبيريّتها هو معنى حاضر بنفسه، يتمظهر ليقول شيئاً ما، هذا الشّيء الكامن يقوله صمت اللّغة"²، هو المعنى المسكوت عنه يخلقه المتلقّي داخل أفق لغويّ جديد.

ووسيلته في ذلك التّأويل، هذا المصطلح الذي احتلّ مساحة كبيرة في النّقد الحديث خاصّة، وارتبط في الثّقافة الغربيّة بمصطلح الهيرومينوطيقا*، وهو الذي أعطى للمتلقّي مكانته الحقّة في تحديد آليّات القراءة وإجراءاتها المنهجية. فالتّأويل ولا شكّ مفتاح للمعنى الخفيّ وراء العبارات الظّاهرة، فهو "يمتدّ فيما وراء العمل الأدبيّ ليعرف العناصر التي ساهمت في الإنتاج وكيفية تلقّيها

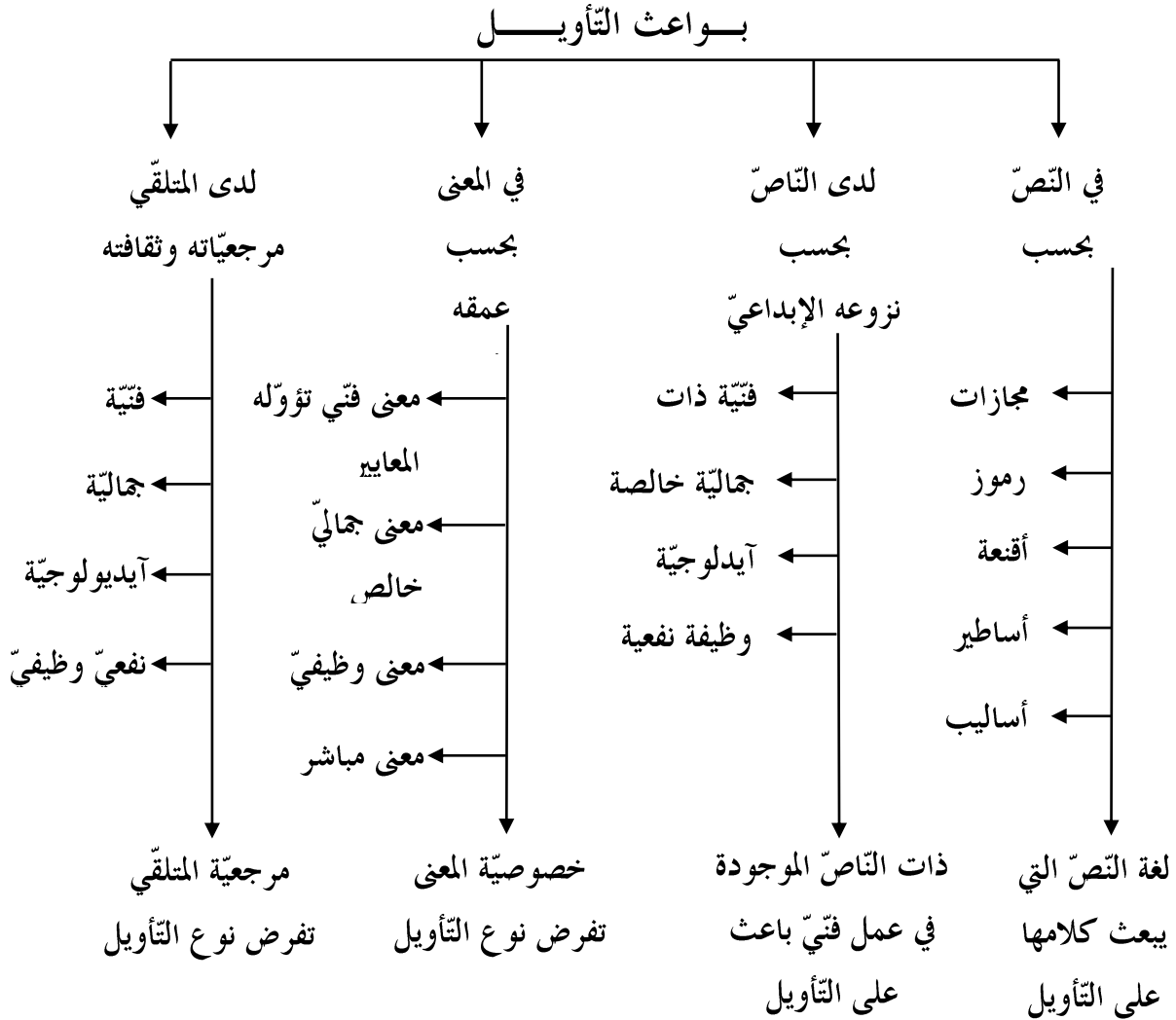
¹ - منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 11.

² - عمارة ناصر: اللغة والتّأويل "مقاربات في الهيرومينوطيقا الغربية والتّأويل العربي الإسلامي"، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2007، ص: 55.

* - الهيرومينوطيقا: هي "طريقة الاشتغال على النصوص بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية والمعرفية والبحث عن الحقائق المضمرّة في النصوص وربما المطموسة". (محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات "فصول في الفكر الغربي المعاصر"، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص: 31، 32).

لهذا العمل، عن طريق التعمق ومعرفة العناصر الخفية الكفيلة بتوليد المعنى¹، لأن النص لا يوح بكل مكنوناته ومخبوءاته ويحتاج إلى نشاط تأويلي يتعمق في البنى لكشف المعاني العميقة وفك الشفرات.

وللتأويل بواعث تصنعه، وضّحها "رحمان غركان" ووضع لها الخطاطة الآتية²:



الشكل رقم (01): بواعث التأويل.

¹ - لخزاري سعد: نظرية التأويل في النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر،

مج: 09، ع: 01، س: 2020، ص: 316.

² - رحمان غركان: في بواعث التأويل وآلياته، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، العراق، مج: 1، ع: 1 و2، أيلول

2012، ص: 170.

تبيّن الخطاطة أنّ بواعث التأويل تتعلّق بالعناصر الأربعة: النصّ، النصّ، المعنى والمتلقّي.

-بواعث التأويل في النصّ: عني النقد القديم والحديث بالنصّ وأدوات بنائه وأساليبه الفنيّة خاصّة المجازات، الرموز، الأقنعة، الأساطير، الأساليب والصّور الفنيّة عناية عالية لأنّ معانيها كامنة مخبوءة، وهي باعث النصّ على التأويل "الذي يعيد الحياة إلى لغته ويث الروح في مجازاتها بالقراءة وبالتأويل إبداعا للمعنى"¹، ليتحقّق وصوله إلى المتلقّي.

-بواعث التأويل لدى النصّ: وذلك ما يتعلّق بمقصديّته التي يعسر القبض عليها، يضاف إليها ما له صلة بالجماليّة والفنيّة أو الأيديولوجية حسب نزوع النصّ الإبداعيّ، ومن ثمّ فإنّ المعنى الصّادر عنه، لا يصل إليه المتلقّي من دون تأويل.

-بواعث التأويل في المعنى: المسكوت عنه في النصّ هو الدافع الذي يحفّز المتلقّي إلى البحث عنه، وخصوصية المعنى هي التي تفرض نوع التأويل، فقد يكون المعنى فنيّا أو أيديولوجيّاً على اعتبار "أنّ لكلّ خطاب أدبي خصوصيّات معنوية حسب مجال الكتابة، لأنّ اللّغة تتشكّل أشكالاً عديدة ويلتبس بعضها ببعض"²، وهنا يكون التأويل أداة معرفيّة قادرة عن الكشف عن المعنى.

-بواعث التأويل لدى المتلقّي: إذا كان النصّ هو الذي ينتج النصّ ويحمّله بمعان ظاهرة وخفيّة، فإنّ المتلقّي هو الذي سيستقبل هذا النصّ -إن لم يكن النصّ متلقّيًا له ناقدًا بعد حين-متسلّحًا بمراجعيات ثقافيّة (فنيّة، جماليّة، أيديولوجيّة، أو نفعيّة وظيفيّة)، وهي التي ستهمّن على بواعث التأويل لديه، "ولكن لا بدّ من التّفريق بين المعنى لدى المتلقّي وما يثبته المعنى نفسه فيه [المتلقّي]"³، لأنّ المعنى دافع للمتلقّي للكشف عن مكونات النصّ وإيجاءاته لكي يحقّق بها للنصّ وجودا وفهما.

¹ - رحمان غركان: في بواعث التأويل وآلياته، ص: 172.

² - لحداري سعد: نظرية التأويل في النقد المعاصر، ص: 318.

³ - المرجع السابق، ص: 187.

وانطلاقاً من كل تلك البواعث يصبح النصّ نصوصاً من خلال القراءة التأويلية، وقد تظهر تأويلات عديدة لنصّ واحد تبعاً لبواعث التأويل. فالنصّ ليس عناصر لسانية مجردة عن سياقها الخارجيّة فحسب، ولا يمكن فهمه بعيداً عن قصد الملقّي ولا أدواته التعبيرية ولا ثقافة المتلقّي.

2- مفهوم السرد: La Narration

يعتبر السرد أداة من أدوات التعبير الإنساني، وهو يعدّ من أهمّ القضايا النقديّة التي يشغل عليها النقد الأدبيّ المعاصر خاصّة، نظراً لفاعليّته وقيّمته الفنيّة في النصّ من خلال التّحام مكوّناته السردية من أزمنة وأمكنة وشخصيّات، والكشف عن الأدبيّة التي تتفرّد بها النصوص المسرودة، وبهذا يصبح السرد مكوّناً جوهريّاً لتلك النصوص له مميّزاته وخصائصه.

السرد لغة:

وردت كلمة (سرد) في المعاجم اللغويّة العربيّة في سياق معانٍ تفيد التّوالي والاتّصال والانتظام، فقد جاء في لسان العرب أنّ السرد "تقدّمة شيء إلى شيء تأتي به مُنسّقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً. سرد الحديث ونحوه يسرّده سرّداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرّداً إذا كان جيّد السيّاق له"¹، كما يطلق على "جودّة سيّاق الحديث..."²، وقد وردت كلمة (السرد) في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ إِيْعَمَلْ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ

وَأَعْمَلُوا صَليحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

¹ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1300هـ، مج: 03، مادة: (سرد)، ص: 115.

² - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط6، 1998، باب الدال، ص: 288.

³ - سورة سبأ، الآية: 11.

يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير (السرد) في هذه الآية: "والسرد: صُنع درع الحديد، أي تركيب حلقها ومساميرها التي تشدّ شقق الدرع بعضها ببعض فهي للحديد كالخياطة للثوب"¹، "ليكن ذلك مقدراً، لا يكون الثقب ضيقاً والمسار غليظاً، ولا يكون المسمار دقيقاً والثقب واسعاً، بل يكون على تقدير"².

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات المعجمية أنّ السرد في اللغة يعني النّسج والتّتابع، وهذا ما أشارت إليه الدراسات السّيميائية الحديثة، التي اعتبرت الخطاب الأدبيّ نسيجاً محكماً من العناصر المكوّنة له، مثل الحدث والشّخصيات والزّمن والمكان و في تتابع الأحداث تتابعا سببياً.

السرد اصطلاحاً:

يرتبط مفهوم السرد في الاصطلاح ارتباطاً شديداً بالمفهوم اللّغويّ، وله تعريفات شتى تلتقي في كونه طريقة تروى بها القصة، ويحسن بنا اعتماد تعريف جيرار جينيت* الذي تأصل

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج: 22، ص: 157.

² - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1979، ج: 3، ص: 157.

* - جيرار جينيت: ناقد بنيوي فرنسي ولد في باريس عام 1930م. كان أحد أهم المساهمين في التحليل البنيوي و(نظرية الأشكال الأدبية). عمل أستاذاً للأدب الفرنسي في جامعة السوربون في باريس. هو من جاء بمصطلح «السرديات-Narratology». كان معجباً جداً بفكرة الراوي في السرد، ذلك الشخص الذي يرى الأشياء من ارتفاع بعيد، ويعرف الكثير عن الشخصيات في النص. أسّس وترأس تحرير مجلة "بويتيك" (شعرية)، الصادرة عن سلسلة الدراسات بدار نشر "سوي". أول كتاب لجينيت أثار انتباه الأوساط الأدبية كان "وجوه" (1966)، لكنه سرعان ما فرض حضوره في =أعمال نقدية أخرى تنفرد ببعدها التصنيفي والاصطلاحي، وهي أبحاث قدّمت للدراسات الأدبية، عبر مراحل تطوّر فكره النقدي خصوصاً في المجال السردية، دراسة الأجناس، قضايا الجماليات العامة... الكثير من المفاهيم، والتعاريف والمصطلحات الضرورية من أجل مزيد من الدقة النظرية. (ينظر: الموقعين: www.al-jazirah.com و diffah.alaraby.co.uk. اطلع عليهما يوم: 2022/01/22، ساعة: 09:30.)

المصطلح على يديه، وقد عرّفه من خلال تمييزه "القصة (أي مجموع الأحداث المروية) من الحكاية (أي الخطاب الشفهي أو المكتوب الذي يرويها)، ومن السرد (أي الفعل الواقعي أو الخيالي الذي ينتج هذا الخطاب، أي واقعة روايتها بالذات)"¹. وهذا يفضي إلى أن السرد يقوم على إعادة تشكيل الواقعة أو الأحداث الحقيقية أو الخيالية، ونقلها من خلال مكونات اللغة الشفهية أو المكتوبة في عملية صياغة وعرض وفق نظام منسجم متتابع ضمن إطار زمني جديد.

وهذا ما ذهب إليه عز الدين إسماعيل حيث عرّف السرد بأنه "نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية"².

والمعروف أن تختلف طرائق توصيل القصة ومن خلال هذا الاختلاف تتباين الطرائق التي أعاد فيها السارد ترتيب الحكاية، وفيها تكمن أدبية ساردها من خلال اختيار وإتقان أسلوب سرد ونقل هذه الحكاية.

ويذهب سعيد يقطين إلى أن "السرد فعل لا حدود له. يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، بيدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان"³. فهو قد وسّع مجال السرد وجعله شاملاً للخطابات الفنية وغير الفنية.

وقد ارتبط السرد ارتباطاً وثيقاً بمصطلحات كان بينها تقارب كبير منها (الحكي، علم السرد)، وإذ نروم في هذا البحث توخي الدقة في اجترار المصطلحات لذا كان الوقوف على أهمّ الفروق الدلالية بين المصطلحات كفيلاً بتحديد المعنى الدقيق الذي يستخدم فيه المصطلح،

¹ - جبرار جنيت: عودة إلى خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص: 13.

² - عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط6، 1976، ص: 187.

³ - سعيد يقطين: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص:

لأنّ السرد هو محطّ اهتمام الدّراسة، وحتّى لا يلتبس مع غيره من المفاهيم والمصطلحات المتداخلة أو المتقاربة.

1-2 السرد - الحكّي

بين المصطلحين تقارب مفهوميّ وربما نجد من يوافق بينهما، فيستخدم الحكّي قاصداً السرد، وذلك مرده أن الجامع بينهما أنّهما تجلّ للعمل الأدبيّ كتابةً أو شفاهيّةً، وإنّ الركون إلى تعريف شامل ودقيق لمصطلح السرد بوصفه جنساً أدبيّاً له مقوماته وملاحه وأنواعه، يسهم في إرساء أساس منهجيّ واضح، ويشكّل قاعدة انطلاق حقيقةً لعملية البحث اللاحق عن مظاهره وعناصره وتقنيّاته.

"والسرد مصطلح أدبيّ فنّيّ هو القصّ المباشر الذي يؤدّيه الكاتب أو الشّخصيّة في التّناج الفنّي، يهدف إلى تصوير الظروف التفصيليّة للأحداث والأزمات"¹. بينما "يقوم الحكّي على دعامتين أساسيتين:

أولاهما: أن يحتوي على قصّةٍ ما تضمّ أحداثاً معيّنة.

وثانيتهما: أن يُعيّن الطّريقة التي تُحكى بها تلك القصّة. وتسمّى هذه الطّريقة سرداً، ذلك أن قصّة واحدة يمكن أن تُحكى بطرق متعدّدة، ولهذا السّبب فإنّ السرد هو الذي يُعتمد عليه في تمييز أنماط الحكّي بشكل أساسي"²، فيبدو السرد هنا مكوناً من مكونات الحكّي، وقد عدّه بعض الباحثين جزءاً من مظاهر الحكّي.

وفي هذا السّياق نستحسن استخدام مصطلح (السرد) في إطار المفهوم الذي استخدمه فيه جيرار جنيت، ضمن التّموذج التّحليليّ الذي قدّمه، والتّحديد الدّقيق لأسس السرد الفني من

¹ - ميساء سليمان الإبراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،

سوريا، د.ط، 2011، ص: 15.

² - حميد الحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص: 45.

خلال دراسته لكلمة (قصة) في اللغات الأوربية مستخلصا ثلاثة معانٍ أوضحها وأقدمها هو: الملفوظ السردى مكتوبا أو شفهيًا، والثاني هو: المضمون السردى، والمعنى الثالث هو: الحدث. وفي ضوء هذا التمييز حدّد ثلاث حالات للسرد هي:

1- الحكاية وتطلق على المفهوم السردى أي على المدلول.

2- القصة وتطلق على النصّ السردى وهو الدال.

3- القصّ ويطلق على العملية المنتجة ذاتها، ومن ثمّ على مجموعة المواقف المتخيّلة للنصّ السردى¹.

2-2 السرد - السردية

إلى جانب مصطلح (الحكي) تفرّع عن مصطلح السرد narration مصطلحين آخرين هما: السرديات narratologie والسردية narrativité فرّق بينها الدارسون، "وإن كان الاختلاف بينها لا يؤدي إلى الشقاق النصّي أو الإبداعي، وإنما إلى إغناء المعجم الاصطلاحي"²، ذلك أننا نجد من يعبر عن السرد بالسردية أو السرديات،-خاصة في الدراسات العربية- ولعل ذلك راجع إلى الترجمة واختلافها بين الدارسين العرب مشرقا ومغربا، أكثر من كونها مشكلة في المفهوم، "حيث لا توجد نظرية سردية نتجت من استقراء منجزها السردى الذي يعتبر من أغنى السرديات في العالم"³، فالسردية هي "علم حديث النشأة نسبيا، تناوله الدارسون بعد

¹ - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 164، آب 1992، ص: 25.

² - دودية عبد القادر: قراءة في مصطلح السرد، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مج:2، ع:3، جوان 2020، ص: 269.

³ - عبد العليم محمد إسماعيل علي: السرد ونظرياته، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الجزيرة، السودان، مج: 11، ع: 02، 2014، ص: 195.

البنويّة، موضوعه السّرد، حيث أنّه يتناول الخطاب السّردّي أسلوباً وبناء ودلالة"¹، فهي تبحث في مكوّنات البنية السّردية للخطاب من راوٍ ومرويٍّ ومرويٍّ له، وتعنى بظواهر الخطاب السّردّي أسلوباً وبناء ودلالة.

وقد ترجم مصطلح السّردية إلى (علم السّرد، السّرديات) وكان محطّ عناية الشّكلايين في تحليل القصّة حيث اهتموا بدراسة الهياكل اللّغوية في المستوى التّركيبيّ، ليتّم بعد ذلك الوقوف على القيمة الدّلالية والإيحائيّة للخطاب، فالدّلالة كامنّة في العلائق اللّغوية للقصّة.

وبهذا يكون السّرد "نظم الكلام على نحو بارع تتلازم عناصره، فلا تنافر يخرّب اتساقها (...) وإيرادها بتركيب سليم معبرٍ عما يراد منها أن تؤدّيه"²، فعرض لحدث أو سلسلة أحداث بواسطة لغة سليمة بناء ودلالة يعدّ سرداً، كونه "فنّ تعبير الألفاظ عن الوقائع ليبيّن لنا الصورة المتخيلة إلى الصورة اللّغوية من خلال نقل الجزئيات مع الأحداث. ونعتبر السرد الأدوات الفنية للوصول إلى غاية القصّة وأهدافها"³.

¹ - عبد القادر سي أحمد: علم السرد، مجلة موازين، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج: 03، ع: 02، ديسمبر 2021، ص: 99.

² - عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2016، مج: 1، ص: 11.

³ - علي كنجيان ختاري وزهرا ياك نهاد: السرد واللغة في رواية "التلصص" لصنع الله إبراهيم، مجلة إضاءات نقدية، جامعة آزاد، إيران، السنة: 01، ع: 03، يوليو 2011، ص: 92.

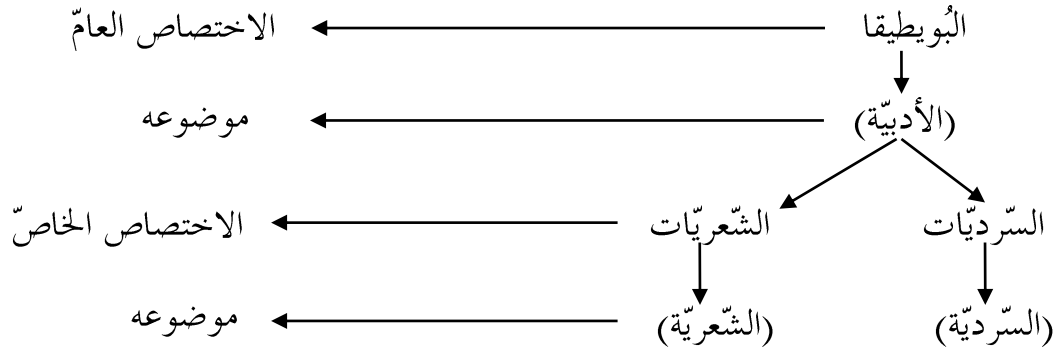
ونجد أبرز من تمثل هذه المنهجية ودعا إليها، هو تزفيتان تودوروف*، الذي يعود له الفضل في علمنة السرد، وهذا عندما "أصبح مصطلح (السرد) علما مستقلاً يعرف بـ (علم السرد) أو (السردية: Naratology)، حيث وقف عند وصف اللغة وسيورتها على كل مستوياتها الصوتية، والتركيبية والدلالية أوجدت تقنيات خاصة منحت الدرس الأدبي استقلالاً عن علوم النفس والاجتماع والأناسة والدين والسياسة، جعلت أدبيته تكمن في اللغة وتمظهراتها الحسية من خلال أنماط الكلام وبناء التركيبية"¹، فكانت اللغة ومستوياتها المختلفة هي موضوع الدراسة الأدبية لتحديد أدبية النص الأدبي.

ويرى "سعيد يقطين" أن السرديات تعد اختصاصاً جزئياً يهتم بـ (سردية) الخطاب السردية، تندرج ضمن علم كلي هو البويطيقا التي تهتم بـ (أدبية) الخطاب الأدبي بوجه عام. وهي بذلك تقترن بالشعريات التي تبحث في (شعرية) الخطاب الشعري على هذا النحو²:

* - تزفيتان تودوروف: هو من رواد التقيد النصائي، ومن المقرّبين من "رولان بارت" و "جيرار جينيت". وُلد "تودوروف" سنة 1939 في مدينة صوفيا ببلغاريا، واستقرّ نهائياً في فرنسا منذ 1963، وفيها اشتغل في أوّل أمره إلى جانب "رولان بارت" على الأشكال السردية في الأدب. في ذلك الوقت كان يرغب في تشييد نظرية علمية للأدب باحتذاء مزدوج للشكلايين الروس واللّسانيّات البنيويّة على نمط "ميخائيل باختين" و"رومان جاكوبسون"، وقد صارت كتبه مثل "مدخل إلى الأدب العجائي" (1970)، و"شعرية النثر" (1971) و"نظريات الرمز" (1977) من كلاسيكيات الدراسة الأدبية منذ صدورها. توفّي يوم الثلاثاء 7 فيفري 2017. (ينظر: سليمة لوكام: موت تزفيتان تودوروف "أحاديث مختارة"، مجلّة أبوليوس، جامعة سوق أهراس، الجزائر، ع:7، جوان 2017، ص: 37، 38).

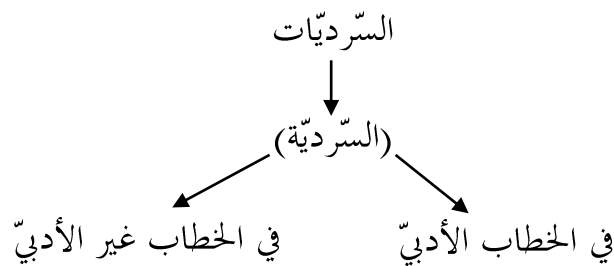
¹ - عبد القادر سي أحمد: علم السرد، ص: 103.

² - سعيد يقطين: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، ص: 23.



الشكل رقم (02): موقع السرديات وموضوعه.

هذا يعني أنّ كلّاً من السّرديّات والشّعريّات ينطلقان من الأسس الجوهرية للبويطيقا "La poétique" فهي تدرس من جهة شعريّة السرد ومن جهة أخرى شعريّة الشعر إلا أنّ هذين الفرعين انطلاقاً من تطوّرهما وتراكم تجاربهما قد حقّقا شيئاً من الاستقلال في المواضيع وطريقة دراستها، وهذا ما جعل السّرديّات تدريجياً تنأى عن جذورها الأدبيّة، وتحوّل بذلك من اختصاص جزئيّ أو خاصّ إلى اختصاص كلّيّ أو عامّ، إنّها من جهة خاصّة، عندما تبحث في سرديّة الخطاب الأدبيّ، وتصبح من جهة ثانية عامّة يتجاوز السّرديّة الأدبيّة إلى السّرديّة غير الأدبيّة. وهو ما يوضّحه الشكل الآتي¹:



الشكل رقم (03): جزئيّة السرديات وكلّيّتها.

¹ - سعيد يقطين: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، ص: 24.

فالسرديات بذلك لم تمنعها جذورها الأدبية من الانفتاح على مجالات أوسع تتحقق فيها السردية، هذه المجالات ليست بالضرورة لفظية، نظرا لطابع السرد الكلي الذي يمكن أن تشتغل به، بسبب نوعية الترابط الحاصل، وبهدف توسيع مجالات اهتمامها لتمكّن من التطوّر ذاتيا وموضوعيا، أفقيا وعموديا، وهي طبيعة أي اختصاص طموح ومنفتح كما يتصور سعيد يقطين¹.

2-3 بنية السرد

ويقصد بها الأركان الأساسية التي لا يمكن أن يوجد السرد بغير وجودها وهي:

الراوي (السارد) - المروي (المسرود) - المروي له (المسرود له).

أ- الراوي: هو "الشخص الذي يروي الحكاية، أويخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيّلة. ولا يشترط أن يكون الراوي اسما متعينا، فقد يكتفي بأن يتقن بصوت أو يستعين بنظير ما، يصوغ بواسطته المروي"². فالراوي هو كلّ من يقوم بنقل ما يحتويه المروي من أحداث.

ب- المروي: هو "كلّ ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموع من الأحداث تقترب بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان، وتعدّ (الحكاية) جوهر المروي، والمركز الذي تتفاعل عناصر المروي حوله، بوصفها مكوّنات له"³، والتي تشمل الأحداث، والشخصيات، ضمن إطار زمكاني. ونستطيع القول أنّ المروي هو مجموع المواقف والوقائع المروية في سرد ما.

¹ - ينظر: سعيد يقطين: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، ص: 24.

² - عبد الله إبراهيم، السردية العربية "بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص: 11.

³ - المرجع نفسه، ص: 12.

ج- المرويّ له: هو "الشخص الذي يُسرد له والمتوضّع أو المنطبع في السرد"¹، وهناك على الأقلّ مسرود له لكلّ سرد يتموقع على نفس المستوى الحكائيّ الذي يوجد فيه الراوي الذي يخاطبه ويمكن أن يوجد أكثر من مرويّ له يتمّ مخاطبة كلّ منهم بواسطة نفس الراوي أو بواسطة راوي آخر، وليس المرويّ له هو القارئ الحقيقيّ أو الضمنيّ، فالمرويّ له يتوسّط بين الراوي والقارئ، ويسهم في تأسيس هيكل السرد.

ويتميز السرد بمجموعة من الخصائص تميّزه عمّا ليس بسرد نذكر منها:

- التّجسيد: يتميّز السرد بسعيه إلى تجنّب التجريد، وذلك باعتماده الجمل المتواترة بدلا من غيرها، والتّركيز على الخاصّ في مقابل العامّ، وذلك باستعمال سلسلة تعتمد على مجموعة محدّدة من الجمل والأحداث والشخصيّات.

- التّركيب والتّداخل: فجميع أشكال السرد -حسب ما ذهب إليه تودوروف- مؤلّفة من تسلسل وتداخل لوحات صغرى، تحتوي كلّ وحدة منها على عناصر لا يستغنى عنها.

- التّتابعيّة والعلاقيّة: من الخصائص الجوهرية في السرد تتابع الموضوع واستمرارية، وذلك استنادا إلى علاقة واضحة تربط هذا التّتابع من البداية إلى النّهاية؛ وذلك عبر عمليّات الوصف الدّقيقة للتّغيّرات التي تحدث في المواقف المفترضة.

- التّوكيد: يتميّز السرد بالخاصيّة التّوكيديّة التي تتمّ من خلال صيغ ماضويّة قاطعة ومعلّلة في حالات التّرابط الذي لا يعتمد كثيرا على عنصر الزّمن.

- التّحديد: يقدّم السرد وبشكل قاطع الأسباب من خلال التّتائج، وذلك من خلال تحديد وظائف جميع العناصر والوحدات السردية وطبيعتها.

¹ جيرالد برنس: المصطلح السردى "معجم مصطلحات"، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 142.

- التفسير: هذه الخاصية أعطت السرد ميزة تفوق بها على غيره من الأجناس ذات الخاصية غير السردية، وذلك باعتباره الصيغة الأكثر شمولاً، والأكثر غوصاً في البنيات العميقة للأشخاص، ومشابكة العلاقات بين الأفراد والجماعات داخل النص السردى¹.

ولقد ميز الشكلاونيون الروس في باب السرد بين المتن الحكائي الذي يتضمن نص القصة في وجودها الأول، وبين المبنى الحكائي ويتضمن نص المحاكاة بما يشتمل عليه من هفوات وثغرات ليس من السهل اجتنبها، لأنه يتألف من نفس أحداث القصة ولكنه يراعي نظام ظهورها في الأثر الأدبي بصورة فنية، وهذا التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي في القصة يمثل مرتكزا أساسيا لا يمكن للتحليل السردى للقصص أن يقوم بدونه. من هنا يمكن القول: إن السرد القصصي يتفرع إلى قسمين كبيرين هما: " القصة (بمعنى المتن الحكائي) والسرد (بمعنى المبنى الحكائي) أما الأول فيتعلق بالأحداث والشخصيات، وأما الثاني فيتعلق بتنظيم تلك الأحداث في نسق خاص، بكيفية خاصة، من خلال سارد يتوجه به إلى مسرود له"². وقد حظي السرد القرآني بنصيب من ذلك كله.

¹ - ينظر: عبد العليم محمد إسماعيل علي: السرد ونظرياته، ص: 189، 190.

² - المرجع نفسه، ص: 13.

3- مفهوم القصة: L'histoire

حياة الإنسان الأدبية تشهد بمعرفته للفن القصصي، وإن لم تكن بالقلب أو الأسلوب القصصي الحديث، "وذلك لاختلاف القيم الشعورية والتعبيرية، تبعاً لاختلاف البيئات والثقافات"¹، ولسنا هنا في مجال الإفاضة في عرض تاريخ القصة عند الأمم والشعوب، وإنما حسبنا في ذلك أننا أشرنا إليه كونها قديمة النشأة ظهرت عند العرب ومن سبقهم من الأمم.

والقصة في مفهومها اللغوي تتلاقى مع المفهوم الاصطلاحي في أساسه، فهي مصطلح يضم معاني عدة جلتها لنا المعاجم اللغوية وبيئتها، فكان من أبرز معانيها ما يلي:

- تتبع الأثر: فالقصُّ والقَصَصُ تتبعُ الأثر، يقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، ومن قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾²، وقوله: ﴿وَقَالَتِ لَآخِئَتُهُ قُصِّيه﴾³، أي؛ اتبعني أثره.

والقاصُّ: من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها⁴.

- الحفظ: يقال: تقصص كلامه: أي؛ حفظه⁵.

¹ فوزية بنت عبد الله بن سند العصيمي: الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، رسالة ماجستير، إشراف:

أ.عبد العزيز أبو سريع ياسين، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420هـ، ص: 06.

² سورة الكهف، الآية: 64.

³ سورة القصص، الآية: 11.

⁴ ينظر: الحسين بن محمد المعروف بـ "الراغب الأصفهاني": مفردات غريب القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار

القلم، دمشق، سوريا، ط4، 2009، ج:2، ص: 522، 523. و ابن منظور: لسان العرب، مج:7، ص: 75، مادة

(قصص).

⁵ ابن منظور: لسان العرب، مج:7، ص: 74، مادة (قصص).

- البيان: فالقصة: البيان¹، ومنه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾²، أي نبين لك أحسن البيان.

- الخبر والأمر والحديث: فالقصة والقصة: الخبر المقصود، وقصّ عليه الخبر قصصاً: أعلمه به وأخبره، وتقصّص الخبر تتبّعه. والقصة: الأمر والحديث. واقتصصت الحديث: رويته على وجهه³.

"ومن كلمة قصّ يَقُصُّ بمعنى تتبّع الأثر شيئاً بعد شيء، خرج المعنى الاصطلاحي؛ قصّ يقصّ بمعنى: تتبّع الصحيح وأعلم عنه ببالغ الدقة والتحرّي والأمانة العلمية"⁴. فيلاحظ هنا تجرّد معنى (القصة) في الجذر اللغوي العربي، وفي استعماله الاصطلاحي من أيّ تخيل، أو تلفيق، أو تصوّر لما لم يقع.

وقد عرّفت القصة بأنها "ضرب من القول النثري أو الكتابة ينقل أحداثاً تخضع لمبدأي التابع والتحول (...). ولمصطلح قصة ثلاثة مفاهيم تداولها منظّروا القصص وهي:

- القصة ملفوظ قصصي بمعنى الخطاب القصصي ويكون شفوياً أو مكتوباً وينقل حدثاً أو سلسلة من الأحداث.

- القصة تكون بمعنى الحكاية التي تتمثل في المضمون القصصي الذي قوامه الأحداث واقعية كانت أو متخيلة.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مج:7، ص:74، مادة (قصص).

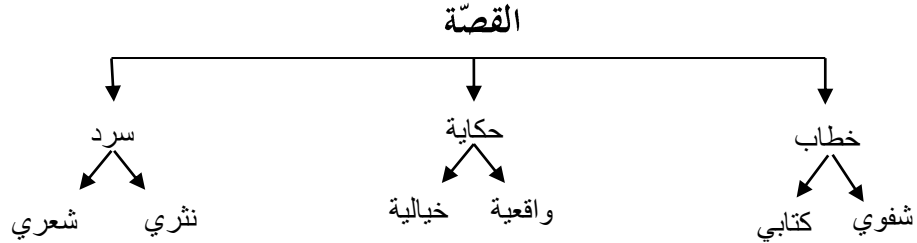
² - سورة يوسف، الآية: 03.

³ - ينظر: المصدر السابق، مج:7، ص:74، مادة (قصص).

⁴ - نورة بنت محمد بن فهد الرشيد: شخصية المرأة في القصص القرآني "دراسة أدبيّة تحليليّة"، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ، ص:28.

القصة فعل للقص في حد ذاته أو ما يسمى أيضا سرداً¹، "قد يكون نثراً أو شعراً يقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع أو التثقيف"².

فالتعريف أعطى للقصة مدلولات من حيث:



الشكل رقم (04): مدلولات القصة

أما في معجم مصطلحات الرواية فإن كلمة (قصة) تطلق "عموماً على سرد وقائع ماضية، متماسك من حيث المضمون، ومؤثر من حيث طريقة العرض الفنية. والقصة نظام سردي مؤلف من ثلاثة مستويات: الحكاية وهي الحدث، وفعل السرد وهو عمل الراوي، والخطاب وهو كلام الراوي (...). وعرف جيرار جينيت G.Genette القصة بأنها تمثل حدثاً أو سلسلة أحداث واقعية أو خيالية بواسطة اللغة، وتحديد اللغة المكتوبة"³، وهذا التعريف أضاف عن التعريف السابق: الجانب الفني في القصة من حيث مكوناتها، وأسقط (الشفوية) من القصة حين اقتصر على (اللغة المكتوبة).

فهو بذلك فنّ أدبيّ يعتمد على سرد أحداث تقوم بها شخصيات، يستطيع من خلالها الكاتب أو السارد إمتاع المستمعين. في حين يعتبر السرد القصصي "طريقة في الأداء يلجأ إليها المتكلم بغرض التشويق، وتحديد نشاط المستمعين، وجذب انتباههم، وليس بالضرورة أن يعبر

¹ - محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010، ص: 333.

² - عبد القادر بدلة: توظيف القصة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة يالوا، تركيا، 2017، ص: 05.

³ - لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية "عربي-إنكليزي-فرنسي"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص: 133.

عن ذلك بقصة مكتملة الأركان ومشملة على كافة العناصر الفنيّة من الناحية الأدبيّة، ولكنّه يقدّم خطابه، ويصوّر معانيه بأسلوب قصصيّ من خلال قصة أو ما يشبهها، مستوحاة من الماضي أو الحاضر، من الواقع أو من الخيال، شريطة أن تناسب فكر المخاطبين وأحوالهم¹. والحديث عن القصة من الناحية الأدبية يقتضي المرور بأنواع القصة، ومعرفة عناصرها الفنيّة، وقواعد كتابتها وعوامل نجاحها، وهو ما سنتطرق إليه.

3-1 أنواع القصة

تنوّع القصة من حيث قالب أو الشكل ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

- الرواية: أكبر الأشكال القصصيّة حجماً، وتعتمد على التفصيل والتّطويل، والإحاطة بالجزئيات، ووصف كل ما تقع عليه العين، وتحليل الدوافع والأحداث، وفيها يكثر عدد الشّخصيّات، التي يكشف الرّاي كلّ ما يتعلّق بها، "ولا تشعر فيها بالاضطراب أو القلق، بل تظل مشغولاً دائماً إلى معرفة ما يخفيه المستقبل وأنت تقرأ في بداية الأحداث"².
- القصة: أقلّ حجماً من الرواية، فهي تتوسّط بين الرواية والقصة القصيرة، تعتمد على الاهتمام بالجزئيات ووصف ما تقع عليه العين كالرواية، ولكن بحسب ما يحتمله حجمها.
- القصة القصيرة: سرد نثريّ موجز يدور حول أحداث محدودة تستغرق فترة قصيرة من الزّمن، "فهي مقيّدة بأن تتبع خط سير واحد حول حادثة بارزة، أو حالة شعورية معينة، أو شخصية خاصّة"³.

¹ - السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم: الأسلوب القصصي وتوظيفه في الخطاب الدعوي، دار لأندلس للطباعة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 10.

² - مصطفى علي عمر: القصة وتطورها في الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د.ت، ص: 26.

³ - سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط8، 2003، ص: 87.

هذا عن تقسيم القصة من ناحية قالب (الشكل)، أمّا من ناحية المصدر، فقد جاء في المعجم الوسيط أنّها "تُستمدّ من الخيال أو الواقع أو منهما معا"¹، وبناء على ذلك يمكن تقسيمها من ناحية المصدر إلى:

● القصة الواقعية: وهي المستمدة من الواقع، فهي تتناول فترة واقعة بالفعل، وحوادث تمت على هذه الأرض، وأشخاصا عاشوا هذه الحياة. "وليست هي الواقعية التي يشهد بصدقها المؤرخون، وتقوم الوثائق دليلا على صحتها، لكنها الواقعية التي تلقي في روع القارئ أنّها صحيحة"².

● القصة الخيالية: وهي المستمدة من الخيال، فهي "تتناول فترة ولدت في الخيال، وحوادث تمت في النفس، وأشخاصا عاشوا في الضمير"³، فهي عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته.

● القصة التي يمتزج فيها الواقع بالخيال: وهي التي لها أصل في الواقع يبيّن عليه الكاتب قصته ثمّ يضيف إليه من خياله.

ولا بدّ أن تهب القصة في نهايتها للمتلقّي متعة جمالية وأثرا يحسّ معه بواقعية الحياة، بغضّ النظر عن وجود منفعة مباشرة.

2-3 عناصر القصة

نقف في هذا المقام عند العناصر البنائية والعناصر الفنية للقصة، فالأولى عناصر أساسية لبناء القصة، والأخيرة عناصر فنية تزيد من جمالية وأدبية النصّ القصصي، فلا يمكن أن يهتمّ الكاتب

¹ - شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص: 740.

² - هنري بلكن تشارلتن: فنون الأدب، تع: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1945، ص: 140.

³ - المرجع نفسه، ص: 76.

بالبناء دون أن يكسُو قصّته ثوبا من الجمال. "كما أنّ تحليل القصة يعتمد بشكل أساسي على عناصر البناء ومدى اكتسابها للجوانب الفنيّة"¹.

3-2-1/ العناصر البنائية للقصة

"للقصّة عناصر تلتزمها، ولا تخلو منها قصّة هي: المكان، والحبكة، والحدث، والشخصيات، والحوار، ثم الأسلوب. ولا تنفصل هذه العناصر بطبيعة الحال بعضها عن بعض"².

-المكان*: يعدّ المكان من أهمّ الأركان التي تشكّل بنية النصّ الروائيّ لأنّ باقي العناصر لا يمكنها أن تقدّم إلّا بحضور مكان يجمعهم. و"هو البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والتي تعطيه الملامح الجسديّة والنفسية، وعلى الروائي أن يهتمّ برسم المكان وتحديدّه؛ لأنّه يعطي الحدث القصصي قدرا من المنطق والمعقولة"³.

¹ - هويدا حسن عثمان كنه: القصة في العصر العباسي مع العناية بأهم الأشكال السردية، رسالة ماجستير، إشراف: أ.فؤاد

شيخ الدين عطا، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2003، ص: 17.

² - محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة "أصولها، اتجاهاتها، أعلامها"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت، ص: 06.

* - للتّقاء آراء في مصطلحات (المكان، الفضاء، الحيز) للتوسّع في ذلك ينظر: زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء و المكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، الجزائر، العدد السادس، جانفي 2010، ص: 199-221. و دودية عبد القادر: إشكالية المصطلح "المكان، الفضاء، الحيز"، مجلة النقد و الدراسات الأدبية و اللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجليلي الياوس -سيدي بلعباس-، الجزائر، مج:06، ع: 01، 2018، ص: 100 - 106.

³ - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1989، ص: 39.

-الحبكة: مصطلح (حبكة) بكسر الحاء وتسكين الباء، مصدر للفعل (حَبَكَ) وهو الأصحّ من المصدر (حَبَكَة)¹، حيث استخدم مجازا للكناية عن شد أطراف العمل الأدبي وإحكام أنسجته والإجادة والإتقان في صنعه سواء في الرواية أو المسرحية أو القصة.

-الحدث: يعد أحد ضروريات الكتابة، وأساس الفعل فيها ومحور العملية الفنية، يتشكل ويتطور بامتداد الوقت إثر سلسلة من أفعال تترجم تحرك الشخصيات. فهو "مجموعة من المواقف والأوضاع الدرامية التي تشكل الوقائع التأسيسية من خلال ترابطها العضوي بالسببية وتطور الأحداث مقترن بما يصدر من الأفعال وردودها لدى الشخصيات، في تعاملها مع الموضوع بالتصوير الحي للحالات، والأوضاع السيكولوجية وما تكون عليه الشخصيات"².

-الشخصيات: "كائن ورقي، وعلة وجودها مشروطة بالكلمات الماثورة في صفحات الكتاب، وهي لا يمكن أن تشتغل إلا بالأفعال التي تسند لها. لا توجد شخصية خارج الفعل ولا فعل مستقل عن الشخصية"³. فهي العمود الفقري للنص السردي لأنها تحرك الحدث وتخلق المشهد السردى.

ويرى النقاد أن هناك فرقا بين الشخص *personne*، والشخصية *Personnage* ذلك أن "الشخصية هي الكائن الحركي الذي ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص (...). ويختلف الشخص عن الشخصية بأنه إنسان لا صورته التي تمثلها الشخصية في العمل السردى"⁴، فقد

¹ - محمد حميد الجبوري: البنية الداخلية للمسرحية "دراسات في الحبكة المسرحية عربيا وعالميا"، دار ضفاف للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 23.

² - عبد الكريم جدرى: التقنية المسرحية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، ط2، 2002، ص: 42.

³ - عبد العالي بشير: تحليل الخطاب السردى والشعري، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2002، ص: 47.

⁴ - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردى "معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995، ص: 126.

جاءت كلمة (شخص) مرتبطة بالحسّ في إشارتها للذات الموجودة وجوداً مادياً تدركه الحواس، في حين ارتبطت كلمة (شخصية) بالعنصر الذي يؤدي دوراً في العمل السردى ويحرك الأحداث.

-الحوار: هو الكلام الذي يجري بين الشخصيات في النص السردى، ويكون بين شخصيتين أو أكثر، وقد يكون حديث الشخصية وذاقتها، يساهم في رسم ملامح الشخصيات، وتطوير الأحداث.

- الأسلوب: عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه "الضرب من النظم والطريق فيه"¹، "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشكّ، أن لا نظم للكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"²، وذلك كلّه يكون البنية النوعية والفنية للنصّ السردى.

3-2-2/ العناصر الفنية للقصة

من أهمّ عناصر الفنّ في القصة: "الإقناع، الاختيار، الإيحاء، ثم الوحدة النصّية"³.
-الإقناع: "عملية اتصال تتضمن بعض المعلومات التي تؤدّي بالمستقبل إلى إعادة تقييم إدراكه لمحيطه أو إعادة النظر في حاجاته وطرق التقائها، أو علاقاته الاجتماعية، أو معتقداته، أو اتجاهاته"⁴ فهو بهذا يتعلق بقصدية المخاطب الذي يهدف إلى إحداث تغيير في الموقف التواصلى مع المتلقي، ومن ثمّ يتفاعل مع النصّ أو الخطاب.

¹ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل لإعجاز، ص: 469.

² - المصدر نفسه، ص: 55.

³ - هويدا حسن عثمان كنه: القصة في العصر العباسي مع العناية بأهم الأشكال السردية، ص: 17.

⁴ - جيهان أحمد رشدي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر، القاهرة، مصر، د.ط، 1978، ص: 171.

- الاختيار: هو "استعمال خاص للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانيات والاحتمالات المتاحة والتأكيد عليها في مقابل إمكانيات واحتمالات أخرى"¹، ويتّصل اتّصالاً وثيقاً بالذات المبدعة، فالمبدع هو الذي يختار ما يراه مناسباً لتحقيق الإمتاع والإقناع.

- الإيحاء: ضد التصريح وهو "تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتراكيب أجسامهم، وما ورثوه من آباءهم وأجدادهم"²، فاختلاف الأفراد لا يعوق عن التفاهم وتبادل وجهات النظر، لأنه خلاف في نسبة الوضوح لتلك الدلالة، فهي عند بعضهم أوضح منها عند آخرين.

- الوحدة النصّية: ليس كل ما يكتب يصدق عليه نصّاً أدبياً، بل لابدّ أن يكون منسجماً متماسكاً، ولذلك ينبغي الاهتمام بالنسيج النصي ومستوياته، لأنّ الوحدة النصّية هي "وجود علاقة بين أجزاء النص، أو جمل النص أو فقراته، لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيريّاً؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية"³.
وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه العناصر كلّها لا تنفصل عن بعضها في البناء القصصي، فهي تشكل مجتمعة نصّاً قصصيّاً يجمع بين متانة السّبك، وأدبيّة السّرد.

¹ - سعد مصلوح: الأسلوب "دراسة لغوية إحصائية"، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1992، ص: 33.

² - إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1976، ص: 107.

³ - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص:

الفصل الأول

تجليات القصة في القرآن الكريم

- 1- مفهوم القصة القرآنية
- 2- عناصر القصة في القرآن الكريم
- 3- أنواع القصص في القرآن الكريم
- 4- أبعاد القصة في القرآن الكريم
- 5- الخصائص الذاتية للقصة في القرآن الكريم
- 6- الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي (الفني)

للقصّة في القرآن الكريم نصيب كبير قارب الربع، تحمل في ثناياها أسلوباً راقياً وسرداً ممتعاً، يصل إلى قلب المتلقي فيؤثر فيه، وقد جمع القصص في القرآن بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني.

وفرق بين (القصص) بفتح القاف، و(القصص) بكسر القاف، فالقصص تعني: "الخبر المقصود"¹، أما القصص فتعني: "اسم جمع القصّة"².

وبناء على هذا رأى بعض الدارسين أن كلمة (القصص) بالفتح تشير إلى طريقة قص الأخبار وعرض الأحداث، أما (القصص) بالكسر فتشير إلى الأحداث والأخبار والأمور التي جمعتها القصّة وحوادثها، والقرآن الكريم لم يستعمل لفظ (القصص) إلا بالفتح؛ ولعل في ذلك إشارة إلى تفرّد سرد القرآن وبراعة أسلوبه في عرض الأحداث والوقائع التي تضمنتها قصصه.

1- مفهوم القصّة القرآنية

للدارسين في تعريفها أقوال منها أنها "الجزء الذي يقص آثار الغابرين، وبعض الأحداث؛ لتقدم منها ما ترى أنه يحقق الغاية ويفي بالمقصود في عرضه، فهي تشتمل على الأنباء الحقة التي لا زيف فيها"³.

وهذا يتفق مع ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب حين اعتبر "القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها زمن فهو -والأمر كذلك- وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق فيما جاء في من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مج: 7، ص: 74، مادة (قصص).

² - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص: 734.

³ - إبراهيم عوضين: البيان القصصي في القرآن الكريم، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1، 1977، ص: 14.

أمكنة وأزمنة"¹. ثم يقول: "هكذا أطلق القرآن على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسائل السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال بين مواكب النور وجحافل الظلام"².

وقيل بأنها "الأحداث التاريخية الماضية التي قص أحداثها القرآن الكريم، قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم للعبرة والعظة"³.

أما الشيخ الطاهر ابن عاشور فيعرفها بقوله: "هي الخبر* عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً، مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"⁴.

وعرفت بأنها "تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل، مع التركيز على مواطن العبارة والعظة"⁵.

¹ - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطق ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1975، ص: 39.

² - المرجع نفسه، ص: 40.

³ - شاهر ذيب أبوشريخ: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص: 14.

* - وظّف القرآن الكريم مفردتي (الخبر والنبأ) بمعنى التحدث عن الماضي، وفرّق بينهما في السياق الذي استعمل فيه، دلالة على إعجازه، فاستعمل (النبأ والأنباء) في الإخبار عن الأحداث البعيدة زماناً أو مكاناً، واستعمل (الخبر والأخبار) في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدتها ماثلة للعيون. (ينظر: عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص: 45، 46).

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 64.

⁵ - مريم عبد القادر عبد الله السباعي: القصّة في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد أحمد غلوش، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1404هـ، ص: 35.

و إذا كانت القصة تروي خبراً، فهذا لا يعني أن تكون كل الأخبار تمثّل قصصاً، بل يقتضي الأمر توفّر جملة من الخصائص الفنية التي تجعل من هذه الأخبار قصصاً.

في ضوء هذه التعريفات يمكن القول: إن القصة في القرآن الكريم هي سرد آثار وأخبار الأمم الماضية قبل بعثة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، سرداً حقاً لا زيف فيه، بأسلوب حسن مؤثر بهدف الاعتاظ والاعتبار.

وحين نأتي إلى القرآن الكريم فإن مشتقات جذر الكلمة (ق ص ص) جاء بعدة صيغ وهذا تفصيلها:

المفردة	عددتها	الصيغة
نقصّ	6	مع ضمير المتكلم في المضارع المسند إلى الله تعالى.
القَصَص	4	على صيغة المصدر.
قصصنا	2	مع ضمير جمع المتكلم في الماضي المسند إلى الله تعالى.
فاقصص	1	مع ضمير المخاطب المفرد في صيغة الأمر للرسول -صلى الله عليه وسلم-.
لا تقصص	1	مع ضمير المخاطب المفرد في المضارع المجزوم نفياً المسند إلى يوسف -عليه السلام-.
يقصّ	1	مع ضمير الغائب المفرد في المضارع المسند إلى القرآن الكريم.
قصّ	1	مع ضمير الغائب المفرد في الماضي المسند إلى موسى -عليه السلام-.
لم نقصص	1	مع ضمير جمع المتكلم في المضارع المجزوم نفياً المسند إلى الله تعالى.

وما يلفت الانتباه هنا في صيغ (نقصّ، قصصنا، لم نقصص) المخاطب هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك "ربط بين أحداث زمن القصة وأحداث زمن رواية القصة، إذ

يربط فيه المولى [عزّ وجلّ] أحداث الأمم السابقة بما يحدث في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم¹.

ومن هنا فإنّ القصص القرآني هو عرض أحداث ماضية واقعة، دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال.

والقصة في القرآن الكريم تشترك مع القصة في غير القرآن الكريم في العناصر من حيث الشخص والزمّن والمكان والحبكة؛ لكنها في الوقت ذاته تختلف القصة القرآنية عن غيرها، فإذا "كان الإمتاع الفني غرضاً من أغراضها المتعددة، فإن لها أغراضاً أخرى تعبر عن التصور الاعتقادي المتمثل في نظرة الإسلام الشاملة إلى الإنسان والحياة والكون وما فيه من كائنات حية وجمادات"²، أضف إلى ذلك أن القصص القرآني "لم يختلط به شيء من الخيال، ولم يدخل عليه شيء من الزيف (...). اشتمل على الإثارة والتشويق الأمر الذي لا نجده في غيره من القصص البشري"³، وسر هذا التشويق والإثارة "أن في القصة القرآنية من الخوارق المعجزة ما هو أعجب من الخيال المصطنع والتي لا تخفى على قارئ القرآن"⁴.

¹ - سليم سعداني: العدول الأسلوبي في القصة القرآنية، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد موساوي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2015_2016، ص: 20.

² - العرابي لخضر: أغراض القصص القرآني عند السيد قطب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2005، ص: 25.

³ - العرابي لخضر: مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2004، ص: 19.

⁴ - سليم سعداني: العدول الأسلوبي في القصة القرآنية، ص: 21.

1-أ/ بين القصة القرآنية والأساطير

لعلّ هذه الخوارق والأسلوبية السردية التي اتسمت بها القصة القرآنية فنيًا جعلت المشرّكين ينعثون ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قصص السابقين بـ (الأساطير)، وهو ما دفعنا إلى إمطة اللثام عن مفردة (أساطير) في التوظيف القرآني.

قد ورد ذكر مفردة (أساطير*) في القرآن جمع جمعٍ لكلمة (أسطار) وهي تعني: الأباطيل والأكاذيب والأحاديث التي لا نظام لها. وفسرها الزمخشري (ت 528هـ) في كشفه "خرافات وأكاذيب"¹.

وإذا ما عرجنا على الأسطورة لدى النقاد لوجدنا بعض الباحثين قد ظن أن الكلمة مقتبسة من اللغة اليونانية، يقول وديع بشور: "وكلمة (أسطورة) العربية مقتبسة من كلمة (استوريا) Historia اليونانية وتعني حكاية أو قصة، إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية أو على عكس الحقيقة، بينما الكلمة ذاتها Historia تعني تاريخ"²، فهي بهذا تحمل معنيين: الأول: حكاية أو قصة، والثاني: تاريخ.

وعرفها بعض الدارسين بأنها "القصة الشعرية المصنوفة زجلاً أو شعراً بحيث تحوي موضوعاً دينياً يتعلّق بالقوى العلوية والخفية، وتعبر عن معارف الإنسان الأول وأخلاقه ومستويات علومه

* - وردت مفردة (أساطير) في تسعة مواضع من القرآن الكريم هي: الأنعام، الآية: 25. الأنفال، الآية: 31. النحل، الآية: 24. المؤمنون، الآية: 83. الفرقان، الآية: 05. النمل، الآية: 68. الأحقاف، الآية: 17. القلم، الآية: 15. المطففين، الآية: 13.

¹ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص: 323.

² - وديع بشور: الميثولوجيا السورية "أساطير آرام"، ص: 09. نقلا عن: قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، الأسطورة..توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2009، ص: 21.

وتأملاته، وهي موضوعة في قالب ذي إيقاع شعري موسيقي يتضمن الحدث المراد تأريخه سواء كان من صنع الإنسان أو الطبيعة أو الرب، لأجل أن يتلى ويتداول ويؤدي دوره في تثقيف العقول وتحريك المشاعر¹.

فهي حسب هذا التعريف قصة مصاغة في قالب شعري، ضاربة في القدم تتعلق بالإنسان البدائي، تعالج موضوعاً دينياً، تحرك أحداثها كائنات خارقة، وهي تنتقل من جيل إلى جيل، وهذا ما يجعلها ذات صبغة جماعية، تحفظ الموروث الجمعي، من قيم وعادات وتقاليد وطقوس، وأخلاق... وأداة طيعة للتأثير على النفوس.

والأسطورة تقوم على أساسين: الأول: معالجة موضوع مقدس، والثاني: سردها في قالب شعري رمزي، إذ "ليس كل المسطور في التاريخ هو من الأساطير، ولا يقال عن المسطور أنه (أسطورة) إلا باعتبارات معينة أهمها مادتها العلمية ذات الطابع المقدس، وصياغتها في هيئة رمزية تضيف عليها طابعاً سحرياً قادراً على تحفيز وقيادة المشاعر والاتجاهات"².

ولعل ما تحمله الأساطير من قيم عقدية ودينية على وجه الخصوص هو الذي دفع المشركين إلى نعت ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه (أساطير)، فالقوم لم يقولوا عنها أقوال الأولين، وإنما استخدموا كلمة (أساطير) في الآيات التسع وهو ما يلفت النظر إلى علمهم بوجود مدونات وليس فقط أحاديث تنسب إلى الأولين، وهي معروفة بالأساطير لطابعها المتفرد المميز، وهو لفظ موروث من الأولين اختص بالمدونات الذخائر ذات الأصول العقائدية والعلمية المقدسة، فالأساطير عندهم ما بقي معناها نصاً قديماً مصفوفاً بعناية (شفوياً) كان أم نقشاً) إلى زمن بعثة محمد [صلى الله عليه وسلم] تعني تلك المأثورات التي تتغنى

¹ - قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، الأسطورة...توثيق حضاري، ص: 25، 26.

² - المرجع نفسه، ص: 26.

بالتوحيد وتحت على الإعداد للبعث والحساب، تبين ذلك في تكرار ذكرهم للأساطير في مواضيع التوحيد والبعث¹.

واستخدموا كلمة (الأوليين) التي تعني "الآباء القدامى في الأجيال العليا العتيقة لا القريبة، وهذا بالتمام ما أخبر به القرآن، فمع أنه ينفي أن ثمة رسولا قد أتى لقريش ولآبائهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾²، إلا أنه أكد أن آباءهم الأولين الغابرين أتاهم مثل ما أتى هذه الذراري المعاندة من تعاليم توحيد وعدل ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾³، فالقرآن يوجه الجموع القرشية للنظر فيما جاءهم لأنهم سيجدونه مطابقاً تماماً لما جاء آباءهم (الأوليين)، فعلام الصدود والإنكار ولماذا؟ وفي الحقيقة نظروا في تراث آبائهم الأولين ولم يدعوا رؤيتهم مشاهداً لما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما سَمَوْه (أساطير الأوليين)، فبهذا ندرك أن الذي أتى قديماً للآباء الأولين هو نفسه (مضمون) ما سَمَوْه أساطير الأوليين، سَمَوْه بذلك عناداً واستكباراً⁴، وفي ذلك كله اعتراف ضمني من المشركين بأصالة حديث عن التوحيد والقيم والفضائل، عرفه آبائهم الأولون قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

1-ب/ بين القصة القرآنية والمثل القرآني

من الأساليب البليغة في القرآن الكريم والتي لها شبه بالقصة القرآنية ما اصطلح عليه علماؤنا بالمثل القرآني، الذي نرى من الضروري الوقوف عنده للتفريق بينه وبين القصة القرآنية.

¹ - ينظر: قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، الأسطورة.. توثيق حضاري، ص: 124، 125.

² - سورة يس، الآية: 06.

³ - سورة المؤمنون، الآية: 68.

⁴ - المرجع السابق، ص: 123.

يتخذ المثل في اللغة معان عدة، حسب اشتقاقه اللغوي وتصاريفه المختلفة، فالمُثَلَّة العقوبة ومنه المثلات. ومثل قائما: انتصب مثولا. ومثله به: شَبَّهه، وتمثّل به: تشبّه به، ومُثِل الشيء بالشيء: سَوّاه به وقُدِّر تقديره. ويقال: مثّل التماثيل ومثّلها صوّرها. وأخذ المثل: القصاص¹. والمثّل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله... وهناك فرق بين بين المماثلة والمساواة ذلك أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين².

وجاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾³ "أي صفتهم"⁴، وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾⁵ "ومعنى قوله (مثلاً) عِبْرَةٌ يعتبر بها المتأخرون"⁶. وفي قوله تعالى في صفة سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾⁷ "أي آية تدل على نبوته"⁸.

¹ - ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص: 193.

² - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج: 11، ص: 610، 611، مادة (مثل).

³ - سورة الفتح، الآية: 29.

⁴ - المصدر السابق، مج: 11، ص: 612، مادة (مثل).

⁵ - سورة الزخرف، الآية: 56.

⁶ - المصدر السابق، مج: 11، ص: 612، مادة (مثل).

⁷ - سورة الزخرف، الآية: 59.

⁸ - المصدر السابق، مج: 11، ص: 612، مادة (مثل).

ومنه يكون (المثل) في اللغة بمعنى: الشّبّه و الشيء يضرب لشيء مثلاً، وبمعنى: الصّفة والعبرة والآية. "ثم نُقل منه إلى القول السّائر: أي الفاشي المثل مضروبه بمورده"¹.

أمّا المثل في الاصطلاح فهو: "التمثيل على عكس التشبيه مثلاً، لا يقيم تشابهاً بين عنصرين اثنين بل بين بنيتين اثنتين فليس التمثيل بقائم إذن على علاقة تشابه وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة أي أن التشابه فيه بين علاقيتين"². "ويعدّ من أمثال القرآن كل ما اشتمل على تمثيل حال شيء بحال آخر"³، "وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً"⁴.

ومثاله الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾⁵، ^{٤١} ﴿إِنَّا أَخَذْتُ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁶، حيث يكون التمثيل حاصلًا لا بين المشركين والعنكبوت فحسب، أو بين الأصنام وبيت العنكبوت فحسب وإنما هو حاصل بين المشركين في علاقتهم بالأصنام وبين العنكبوت في علاقتها ببيتها الواهي⁶.

¹ - محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تر: عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج2، ص: 1449.

² - عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 549.

³ - البخاري سباعي: المثل القصصي في القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والحضارة، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، مج: 1، ع: 1، 2012، ص: 300.

⁴ - شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1981، ص: 28.

⁵ - سورة العنكبوت، الآية: 41.

⁶ - ينظر: عبد الله صولة: المرجع السابق، ص: 550.

ويرد المثل لأغراض "التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير (...). ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير"¹.

والأمثال قسم من أقسام موضوعات القرآن الكريم الأساسية، وأسلوب من أساليب بيانه المعجز، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ، وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ"². يتبين من خلال الحديث الشريف أن المثل أسلوب من أساليب القرآن الرفيعة التي أوصينا بالاعتبار منها وبها لما فيها من عبر وحكم.

و لا يشترط في المثل القرآني أن يكون له مورد، كما لا يشترط أن يكون مجازاً مركباً، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضر بها بموردها، كما لا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما يأتي على طريق التشبيه الصريح، أو الضمني، ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة.

وقد جاءت الأمثال في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع³:

1/ الأمثال المصّرحة. 2/ الأمثال الكامنة. 3/ الأمثال المرسلة.

فالأمثال المصّرحة: هي ما صرّح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه. نحو قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

¹ - شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، ص: 20.

² - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2006، ص: 326.

³ - ينظر: صابر حسن محمد أبو سليمان: غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001، ص: 10، 11.

لَا يُبْصِرُونَ¹⁷ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ¹⁸ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءًا ذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ¹⁹ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ²⁰ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ¹.

وأما الأمثال الكامنة: هي التي لم يصرَّح فيها بلفظ المثل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ²﴾.

والأمثال المرسلّة: هي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، في آيات جارية مجرى أمثال، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ³﴾ يقولها أحد حين يأسف أسفا شديداً على نزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس.

وخلاصة الأمر هي أن القصة القرآنية سرد معجز لأحداث وقعت مع الأنبياء والرسل الذين سبقوا الدعوة المحمدية، لم يذكرها القرآن الكريم للتسلية أو كسر تاريخي، إنما ذكرها لأغراض دينية، بأسلوب فني يشتمل على عنصر الإثارة والتشويق.

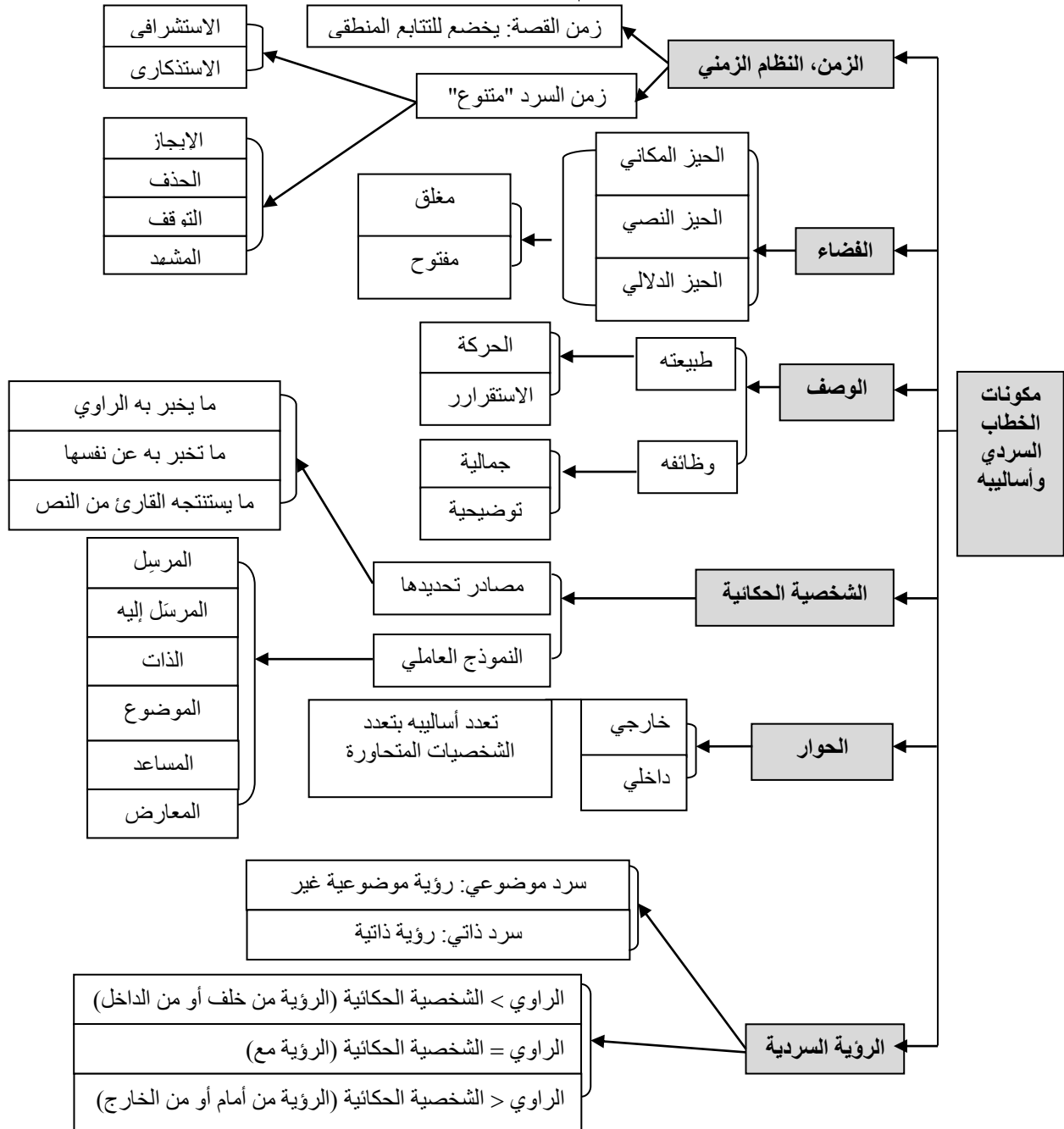
¹ - سورة البقرة، الآيات: 17 - 20.

² - سورة البقرة، الآية: 68.

³ - سورة النجم، الآية: 58.

2- عناصر القصّة في القرآن الكريم

قبل الحديث عن عناصر أو مكونات القصّة في القرآن الكريم، نرى أنه من باب الإيضاح عرض خطاطة¹ (الشّكل رقم: 05) تشمل مكونات الخطاب السردي في السرد البشري، وذلك لوجود بعضها داخل القصّة في القرآن الكريم.



الشكل رقم (05): خطاطة تشمل مكونات الخطاب السردى

¹ - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص: 205.

وإذا أردنا أن نسقط عناصر القصة الفنية التي اتفق عليها أعلام الفن القصصي* على القصة القرآنية "وجدنا معظمها- إن لم نقل جميعها- يخرج عن الحدود التي رسمها النقاد للقصة الفنية، وتتمرد عليها، و لا تندرج تحت لوائها. إن تعريف القصة- كما تواضع عليها كثير من رجال فنّها- لا ينطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية"¹. فالقصة في القرآن الكريم تختلف عن القصة الأدبية، في صدقها وواقعيتها، فهي بعيدة كل البعد عن الخيالات والأساطير، "حيث بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال، ولا يطرقها طارق منه"². إنها حقيقة واقعية، غير خيالية، ومن أصدق من الله قيلا.

لكن هذا لا يمنع أن تتفق عناصر بعض القصص في القرآن مع ما أقره نقاد القصة الفنية، وذلك لتحقيق أهدافه وغاياته السامية ومن أبرز هذه العناصر ما يمثله المخطط الآتي:



الشكل رقم (06): عناصر القصة في القرآن الكريم

2-1- الأحداث

الحدث هو ما يصدر عن الشخصية من قول أو فعل في القصة، وهو عنصر مهم من عناصرها، لأن فيه تتحرك الشخصيات، إذ لا يمكن أن تتصور شخصاً من غير أحداث تلم به

*- يفرض العلماء في القصة الفنية بمعناها العام وجود ثلاثة عناصر رئيسية هي: الموضوع، والشخصيات، والحوار. ويجعلون من قواعدها: الوحدة الفنية، التلميح، رسم الشخصيات، تحمل مغزى، التشويق، أسلوبها الطبيعي. (ينظر: بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1973، ص: 214).

¹ - بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، ص: 214.

² - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص: 40.

أو تقع علي، وفيه تنمو المواقف، كما يمثل الحدث " لقطة إيحائية رامزة، لها أبعادها المختلفة، ودورها في تصعيد اللحظة الشعورية وبلورتها وتعميقها، ويعتني بتصوير الشخصية"¹، وذلك ما يؤدي إلى تعميق أحاسيس ومشاعر المروي له والتأثير فيه.

و"قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية إلى الأحداث دون الشخصيات، فيختار القرآن منها أو من عناصر الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسة، ويخلق الجو النفسي الملائم من إجلال أو رهبة، أو خوف، ونفور أو رغبة"².

والتأمل في أحداث القصة في القرآن الكريم يجد طبيعتها مختلفة، فهناك الأحداث العادية البسيطة، وهناك الأحداث الطويلة المركبة والحدث الذي يأتي نتيجة القضاء والقدر في القصة، أو الناشئ من المعجزات، كلها تجري وفق حركة بديعة متناسقة، تجعل المشاهد في القصة حية، والمواقف متفاعلة. تلك الحركة التي كثيرا ما يستعين القرآن على إبرازها بثلاثة أمور تختص بها أحداث القصص القرآني.

2-1-أ/ خصائص أحداث القصة في القرآن الكريم

لأحداث القصة في القرآن الكريم خصائص تميزها منها:

-الوصف الدقيق المصور: كوصف نوح لإعراض قومه عن دعوته، في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي

كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

بِسْتِكْبَارًا ۚ﴾³.

¹ - محمد كريم الكوازي: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، د. دار النشر، د. ط، د. ت، ص: 91.

² - التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د. ط، 1974، ص: 349.

³ - سورة نوح، الآية: 07.

-تعبير المعاني عن المشاعر والانفعالات والأحوال النفسية: كما جاء في القرآن على لسان مريم

-عليها السلام- وهي تعاني ألم المخاض: ﴿يَلَيَّتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنْسِيًّا ۝٢٣﴾¹.

-إبراز الصراع منسجما مع المغزى العام للقصة: صراع الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان

والضلال. ويكون ماديا: كموقف سينا موسى -عليه السلام- مع سحرة فرعون، ونفسيا:

كموقف سينا إبراهيم -عليه السلام- من الكواكب والقمر والشمس.²

-التدخل الإلهي: حيث يتدخل الإمداد الرباني واللفظ الإلهي في تفسير كثير من أحداث القصة

في القرآن، ويسوقها باتجاه يخدم الرسالة الإلهية، ويكون التدخل الإلهي واضحا جليا في

الأحداث التي يراد فيها التحدي بالمعجزات، ومن ذلك ما ورد في حادثة إحراق سيدنا إبراهيم

-عليه السلام-، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْآخِزِينَ ۝٧٠﴾³، وقد يكون خفيا لا تنكشف نتائجه إلا بعد وقوعها بمدة، ومن ذلك ما

حدث لسيدنا موسى -عليه السلام- وهو رضيع، قال عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ

أَتَمِّ رُسُلِنَا ۝٧ فَالْقَطْطَةُ ۝٨ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ

¹ - سورة مريم، الآية: 23.

² - ينظر: التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص: 350.

³ - سورة الأنبياء، الآيات: 68 - 70.

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ١

ويؤدي التدخل الإلهي في أحداث القصة إلى "تجلي الحضور الإلهي فيها، ويطرق جوانب الترغيب والترهيب في نفس متلقيها، ويضفي على القصة جمالية فنية رائعة، ورونقا باهرا يكسبها درجة الكمال والراقي، وهو من المميزات التي ينفرد بها القصص القرآني على غيره"٢. -المفاجأة: كثيرا، ما يقترن التدخل الإلهي بعنصر المفاجأة في تشكيل الأحداث، فيضفي عليها الطابع الفجائي الذي "يعمل على تغيير مجريات الأحداث وقلبها جذريا، فتكون ذات إثارة وتشويق وجذب للقارئ، وشدا لانتباهه، من ذلك أن تدل الظروف والملابسات المادية الظاهرية كلها على نتيجة معينة، لابد حسب المنطق المادي، من أن تنتهي إليها، وفي هذه الأثناء يتدخل العامل الغيبي، فيقلب مجرى الأحداث قلبا جذريا أو يغير اتجاهها"٣، كالذي جاء في شق موسى -عليه السلام- البحر بعصاه، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ٦٠

١- سورة القصص، الآيات: 7- 13.

٢- محمد كريم الكوازي: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، ص: 96.

٣- المرجع نفسه، ص: 93.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾¹

-المعجزات والآيات: يقتزن التدخل الإلهي بعنصر آخر في تشكيل الأحداث، هو عنصر المعجزات والآيات التي يؤيد الله بها رسله "وهي تهدف إلى إضفاء الحركة اللازمة على الأحداث

وتلويها"²، قال الله تعالى في سورة طه: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَلْقَى﴾ ﴿٦٥﴾

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ ﴿٦٦﴾³ في هذه الأثناء استولى

الخوف على سيدنا موسى -عليه السلام-، وتسرب إلى نفسه الشك في قدرة عصاه على إبطال السحر الذي وصفه القرآن بأنه عظيم، في هذه اللحظة تتدخل المعجزة مقترنة بالقوى الإلهية، "فتقلب مجرى الأحداث، وتصرفها عن المسار الذي تتوقعه الأذهان في تلك اللحظات"⁴ قال

تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا

يَا فِكُونُ﴾ ﴿١١٧﴾⁵

وتوصل هذه الخصائص إلى بنية عميقة تجمع بين قصص القرآن الكريم.

¹ - سورة الشعراء، الآيات: 60 - 63.

² - محمد كريم الكواز: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، ص: 95.

³ - سورة طه، الآيتان: 65، 66.

⁴ - المرجع السابق، ص: 96.

⁵ - سورة الأعراف، الآية: 117.

2-1-ب/ البنية العميقة لأحداث القصص في القرآن الكريم¹

انطلقت القصة في القرآن الكريم من بنية عميقة، تحقق المراد من توظيفها في القرآن الكريم، فتكون وسيلة من وسائل الدعوة، تقوم تلك البنية على ثلاثة عناصر، تتكرر بصيغ مختلفة في كل القصص القرآني، هي:

-الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده.

-تكذيب الكافرين وهلاكهم.

-إيمان المؤمنين ونجاتهم.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة؛ من دعوة، وتكذيب، وإيمان، ثم عاقبة، وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان ووعيده القديم. غير أن الهدف الذي تأتي من أجله القصة، من قصص النبي الواحد، يجعلها تختلف في كل مرة في بنيتها الوظيفية، فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى، مما يؤثر في متتالية الوظائف، فيجعلها قصة جديدة في كل مرة².

من هنا اعتنى القرآن الكريم عند سرد القصص بالأحداث أكثر من العناصر الأخرى، فهو يختار الأقوى تأثيراً في النفس، والأكثر تحقيقاً للغرض الديني.

2-2- الشخصيات

هي التي تحرك الأحداث وتنفعل بها، فهي-إضافة إلى الأحداث- عنصر أساسي في القصة وقد تناول القصص القرآني ألواناً كثيرة من الشخصيات منها: البشرية من رجال ونساء. ومنها الغيبية كالملائكة والجن. ومنها الطيور والحشرات. ومنها الفردية والجماعية.

¹ - محمد كريم الكوّاز: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، ص: 91.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 91، 92.

"الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياها (...). فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص، وتحيا بها الأشخاص، وسط مجموعة من القيم الإنسانية"¹، لذلك لا يمكن بأي حال أن نفصل بين الأحداث والوقائع وبين فاعلها والقائم عليها، خاصة وأن القصة في القرآن الكريم هدفها توجيه الإنسان التوجيه السليم، وعليه "فمن البديهي أنه ما من حدث يقع بالطريقة المعينة التي وقع بها وإلا كان نتيجة لوجود شخص معين أو أشخاص معينين، كما أن وجود شخص معين أو أشخاص معينين يترتب عليه وقوع الحدث بطريقة معينة"². فالشخصية هي "الجانب المحسوس الظاهر التي تشترك به في بناء القصة من حديث وحدث بصورة إيجابية متوازنة مع بقايا عناصر القصة"³.

وقد جعلت القصة في القرآن الكريم الشخصية تتماهى في الأحداث لبلوغ الأهداف العقديّة والتربوية الكامنة في الأحداث، وإذا كان المخاطب بهذا القصص هو الإنسان فحري به أن يعتبر من الأحداث ومآل الشخصيات وعلى هذا الأساس نجد أن "تلاحم الشخصية الفنية مع الفكرة العامة من أبرز الظواهر الفنية التي يمدّها منهج القصة الفنية في القرآن الكريم"⁴.

"وهي تتفاعل مع أحداثها حية في تصرفاتها، تصور لنا الوقائع كأنها مرآة نشاهدها ونعيشها وننسجم داخل كيانها القصصي في انفعال تام"⁵.

¹ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص: 526.

² - رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، ص: 30.

³ - مريم عبد القادر عبد الله السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص: 150.

⁴ - محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني "دراسة في منهاج الإعجاز

السردي"، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص: 102.

⁵ - عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية، ط1، 1993،

ص: 124.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ - آيَتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾
فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ۝١٢﴾¹، الخطاب القصصي موجه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يقص عليه
حادثة أصحاب الكهف، "وسيتعدى الخطاب إلى السائلين عن تلك القصة وإلى المعتبرين بها،
وبهذا تحقق القصة عهدا ثابتا منها وهو إحيائها الحقائق في الأشخاص، فتغدو تلك الشخصيات
مرجع درس لعقيدة التوحيد تلقنها أقواما آخرين في حاجة إليها فتهددهم سواء الصراط"².

والشخصية التي تحرك أحداث القصة في القرآن الكريم ليست مقصودة لذاتها لذلك لا يعتني
القرآن بتفاصيلها الخارجية وإبراز معالمها، وقد لا يذكر اسمها* "إنما ينظر إليها بهذا الاعتبار
الذي تؤدي فيه دورها كشاهد من شواهد الإنسانية، في قوتها أو ضعفها، وفي استقامتها أو
انحرافها، وفي هداها أو ضلالها، وفي رشدتها أو غيها، وفي حكمتها أو سفاهتها... إلى غير ذلك
مما تندرج تحته عوالم الإنسانية، وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها في مضطرب الحياة"³.

¹ - سورة الكهف، الآيات: 9 - 12.

² - محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 103.

* - مثال ذلك أن القرآن لم يذكر اسم الرجل الذي نصحه بالخروج، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُمُوتُ بَنُو إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢٠﴾ سورة القصص، الآية: 20. أو مؤمن آل فرعون، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ سورة غافر، الآية: 28.

³ - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص: 41.

فهو لا يقصد إلى تمجيد الشخصيات وإنما يذكرها للاقتداء بها في باب الخير، والاتعاظ بها في باب الشر.

ويمثل الأنبياء أبرز شخصيات القصص القرآني، "ولعل دورهم يتجسد بحرصهم على الدعوة إلى الله وبناء الإنسان بناء سليماً، يقوم على أساس الخلق القويم والمنهج السليم في التفكير، والتوحيد والإيمان بالله -جلّت قدرته- وتطبيق شريعته"¹، وفي مقابل شخصية الأنبياء تظهر شخصيات معادية تعمل على تكذيب دعوة الأنبياء كشخصية فرعون، وابن نوح -عليه السلام-، وأبو إبراهيم -عليه السلام-...

ومن أهم مميزات البناء القصصي فيما يتصل بالشخصية كعنصر بنائي هو:

- وضعها في مواضع تتجدد مع المسار القصصي ليندفع إلى النمو ويبدو مشهداً مباشراً.
- تتجاوب مع الأحداث في حالاتها الانفعالية المتعددة من خوف وترقب وشوق ويأس وغيرها.
- تتميز بالثبات الدائم والخصائص نفسها، فلا نحس بوجود فرق بين الأنبياء مثلاً، ولا بين الكافرين والمنافقين على الرغم من تعددهم في القصص القرآني².
- ومهما تكن صورة هذه الشخصية فالقرآن "يرسم بضع نماذج إنسانية من هذه الشخصيات، تتجاوز حدود الشخصية المعينة إلى الشخصية النموذجية"³، وهذا خدمة للهدف الأول من القصص القرآني ألا وهو هداية الناس إلى طريق الخير.

¹ - عمر فارس الكفاوين: دور الشخصيات غير الإنسانية في بناء القصص القرآني "الحيوانات أنموذجاً"، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، الجزائر، مج: 15، ع: 02، 2018، ص: 438.

² - ينظر: الصادق أبو حسن أبو: العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: د. عوض السيد موسى عوض السيد، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2010، ص: 60، 61.

³ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط7، 17، 2004، ص: 200.

وتعد الشخصية الإنسانية في القصة مصدر إمتاع وتشويق لعوامل كثيرة منها أن هناك ميلا عند الإنسان إلى تحليل نفسيات الآخرين، والبحث عن الأسباب التي تدفعهم إلى التصرفات في الحياة، وقارئ القصة لا يجد متعة في تصرفات الشخصية، بقدر ما يجدها في الأسباب التي دعتها إلى مثل تلك التصرفات، وكل ذلك ناتج عن الأواصر التي تنعقد بين المروي له والشخصية القصصية، فيتعاطف معها ويعجب بها أو يشتمئز منها¹.

ولمعرفة شخصيات القصة في القرآن الكريم سبل منها "الأفعال التي تقوم بها الشخصية، والأوصاف التي توصف بها، وهناك أيضا ما تقوله الشخصية عن نفسها، وما يقوله عنها الآخرون، سواء كانوا معها أو ضدها، وأهم من كل هذا، هنالك العلاقات القائمة بين تلك الشخصيات، وهي تقوم بدور كبير في الكشف عن طبيعة الشخصية السردية"²، وتزيد من عنصر التشويق والإثارة لدى المروي له. على اعتبار الشخصية "وحدة متكاملة من الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التي تبدو في التعامل الاجتماعي للفرد، والتي تميزه عن غيره من الأفراد تميزا واضحا"³، والقصص القرآني لا يقتصر على عرض تلك الصفات لدى فرد أو جماعة فحسب، بل ترسم الآيات الملامح الأساسية لأنماط النفوس، وفي رسم هذه الملامح نجد خصائص التعبير القرآنية، التي تتجلى في قيام الكلمة مقام الخط واللون، إذ سرعان ما ترسم الصور من خلال الكلمات، ثم سرعان ما تنبض هذه الصورة وكأنها تموج بالحياة.. وفي كلمات قلائل وآيات معدودة ترسم هذه الصور واضحة كاملة، نابضة بالحياة، دقيقة

¹ - نورة بنت محمد بن فهد الرشيد: شخصية المرأة في القصص القرآني، ص: 50: 51.

² - محمد خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص: 45.

³ - طلال محمد إبراهيم خلف: قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر، دار آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، ط1، 2001، ص: 123.

السمات، مميزة الصفات¹، بطريقة تجعلنا نتابع الشخصية القصصية والأحداث التي تتصل بها بدقة واهتمام لمعرفة من يستحق الاقتداء ومن هو جدير بالاجتناب، إذ يمكن اعتبار كل شخصية نموذجاً للفرد أو الجماعة.

2-3- الحوار

الحوار من عناصر القصّة في القرآن الكريم، يخاطب في الإنسان العقل والمشاعر، "ليكون وسيلة نافذة في العقل تارة وفي القلب تارة أخرى، أو يأخذ بأطرافهما معاً، أبعاده مجسدة في اللغة: تعابيرها، وصورها، وتشبيهاتها، واستعاراتها، وكناياها وبديعها"². فهو يسترعي الانتباه ويلفت النظر لاستنباط العبر.

تلتقي تعريفات الحوار في أنه "نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"³.

وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾⁴.

وقال عز وجل: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾⁵.

¹ - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003، مج1، ج1، ص: 37.

² - بكوش جميلة: حجاجية اللغة في الحوار القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج2، ع2، 2013، ص: 191.

³ - ديماس محمد راشد: فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص: 11.

⁴ - سورة الكهف، الآية: 34.

⁵ - سورة الكهف، الآية: 37.

وقال عز من قائل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي - إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾¹.

والحوار عنصر هام في القصص القرآني، نراه واضحا في كثير منها "يأتي بطبيعته فلا يوضع على السنة الشخصيات، وإنما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا، وينساب في روعة وجمال، يأتي مرتبا مناسبا للحال والمقام، فلا يشعر القارئ أو السامع بشيء من آثار الصنعة أو التكلف"²، فهو يضيف على المشهد القصصي قوة، ويعطيه حيوية. والمتأمل في الحوار القرآني يجده اتكأ على أسلوب حجاجي وهذا ما دعت إليه البلاغة في بُردها القشيب فهي ترى أن الحجاج يبرز بأهدافه ويحقق قناعاته إذا ما أدت المسألة المتصلة ببنية الأقوال البلاغية دورا تحليليا داخل الحجاج³.

ومن ثم كان الحوار جزءا هاما من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل من الشخصية بوجه من الوجوه، ويتناسب معها تناسبا طرديا معجزا⁴، يظهر ذلك جليا واضحا في القصص القرآني المكرر.

¹ - سورة المجادلة، الآية: 01.

² - زينب الأحمدى عبد الفتاح خليل: عناصر القصة في القرآن الكريم، حولى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مصر، مج: 6، ع: 28، ص: 728.

³ - ينظر: عبد السلام عشير: عندما تتواصل نغير "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006، ص: 203.

⁴ - ينظر: خالد أحمد أبو جندي: الجانب الفني في القصة القرآنية، ص: 223. نقلا عن: محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 118.

و"لقد خاطبت أدبية القرآن الجن والجماد، والمغيب، مخاطبتها للإنسان، تكريسا منها لمبدأ الحوار، الذي شكل أبرز فنيات الخطاب القرآني"¹، لذلك تعددت أنواعه في القصص القرآني.

2-3-أ/ أنواع الحوار في القصص القرآني²

للحوار في القصص القرآني أنواع نذكر منها:

- **الحوار الذاتي:** ويتم بين النبي ونفسه كالذي جرى في نموذج سيدنا إبراهيم -عليه السلام- حين كان يتدبر الكون من كوكب وقمر وشمس فاهتدى إلى الرب الواحد بعد منطق فريد، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ۚ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۚ﴾ (77) فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۚ﴾ (78).

- **الحوار المتقابل:** هو أكثر ورودا في القرآن الكريم، ويقع بأضرب؛ منها:

- بين الخالق والنبي؛ مثل تكليم الله تعالى سيدنا موسى -عليه السلام-، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنَبَرِّنَكَ وَلَٰكِن أَنظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَبْرِنَكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ (143) قَالَ يَمْوِئِي إِنِّي

¹ - سليمان عشراقي: الخطاب القرآني "مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي"، دار العرّاب للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سورية، ط1، 2012، ص: 182.

² - ينظر: محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 120، 121.

³ - سورة الأنعام، الآيات: 76 - 78.

إِصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَةٍ فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾^١ . وقد يكون مناجاة بين النبي وخالقه كسيدنا زكرياء -عليه السلام-، قال الله تعالى:

﴿كَهَيْصَ ۖ ۝١ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾^٢ .

- بين نبي وني آخر؛ كحوار سيدنا موسى مع أخيه هارون -عليهما السلام-، قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤ قَالَ يُبْنِيَ لَكَ نَقْصُصُ رُءُوسِكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٥ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَوَالِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾^٣ .

- بين النبي والملك؛ كالذي طرأ في قصة بداية الوحي بين سينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمين الوحي جبريل -عليه السلام-، قال الله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾^٤ .

^١ - سورة الأعراف، الآيتان: 143 - 144.

^٢ - سورة مريم، الآيات: 1 - 6.

^٣ - سورة يوسف، الآيات: 4 - 6.

^٤ - سورة العلق، الآيات: 1 - 5.

- بين النبي والشيطان؛ كقصة آدم -عليه السلام-، أو بين النبي والجن؛ كقصة سيدنا سليمان -عليه السلام- مع عفريت الجن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾³⁸ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ³⁹ .¹

- بين النبي وشخص آخر؛ كسيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع النمرود، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَىٰ إِلَىٰ الْآلِئَةِ حَاجٌّ ابْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ- ابْتَدَأَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾²⁵⁸ .²

- بين النبي وقومه؛ وهذا كثير كهود مع قومه، قال اله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُم هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَفْتَرُونَ﴾⁵⁰ يٰقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِ اجْتَبَىٰ إِلَا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁵¹ وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ⁵² قَالُوا يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ⁵³ إِن نَّقُولُ إِلَّا إِبْعَادُكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ⁵⁴ مِّن دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ⁵⁵ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ

¹ - سورة النمل، الآيتان: 38 - 39.

² - سورة البقرة، الآية: 258.

ءَاخِذْ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾¹

- بين النبي والحيوان؛ كسيدنا سليمان - عليه السلام - والهدهد، قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ بِأَمْرَاءَ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنْظِرُ أَصْدَقَتَ أُمِّ كُنتَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾²

- بين شخص وآخر؛ كالذي كان بين قاييل وهابيل، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾³

¹ - سورة هود، الآيات: 50 - 57.

² - سورة النمل، الآيات: 22 - 28.

³ - سورة المائدة، الآيات: 27 - 30.

والحوار أسلوب تربوي توجيهي، وهو مدعاة للحكمة، يرد كثيرا في قصص القرآن الكريم لأنه "خطاب طيع يترجم دفائن النفس البشرية وأغوارها، ويكشف عن أفكارها وعواطفها ويسطر آمالها وآلامها، بل إنه المذهب القدسي إذ يتساوق والشخصية من حيث مكانتها في الحياة أو مستواها العقلي أو الذكورة والأنوثة أو الإيمان والكفر"¹، فهو في القصص القرآني يجمع بين التوجيه والتربية وإيصال المعنى من جهة، وبين رسم ملامح الشخصية والكشف عن حالاتها النفسية ومشاعرها من جهة أخرى.

"على أن هناك ملاحظة أساسية في طبيعة الحوار بمجمله وعلى مختلف ضروبه [في القصص القرآني] هي أنه لا يوضع على ألسنة الشخصيات، وإنما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا أو تلقائيا دون أن يحس القارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف"²، يوظفه القرآن ليجعل المشاهد حاضرة مشخصة.

وقد يختفي الحوار في بعض القصص القرآني لعدم الحاجة إليه في بعض المشاهد والمواقف، ومثال ذلك في قصة أصحاب الأخدود. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ⁴﴾ الْبَارِذَاتِ ⁵ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⁶ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⁷ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⁸ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⁹﴾³، وفي قصة أصحاب الفيل قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ¹﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ² وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ³ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ

¹ - محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 121.

² - بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، ص: 221.

³ - سورة البروج، الآيات: 4 - 9.

مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾¹. فهاتان قصتان خلا منهما الحوار، ولم يؤثر ذلك على الهدف المراد منهما، وهذا لأن الحوار لا يقحم على السياق القصصي في القرآن ولا يفرض عليه، ما لم تدعو الحاجة والغاية إليه، فإذا لم يكن عاملاً مؤثراً، لا جرم أن يختفي. وهناك مصطلح يتقاطع مع الحوار في القرآن الكريم سماه العلماء (الجدل أو الجدال)، وفرّقوا بينهما.

2-3-ب/ بين الحوار والجدل (الجدال)

يجتمع الحوار مع الجدل كونهما حديث بين طرفين، ويختلفان في ما يلي:

الجدل (الجدال): يغلب عليه اللداد في الخصومة وما يتصل بذلك في إطار التخاصم بالكلام، "ويكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال"². وقد يطلق الجدل في اللغة ويراد منه المناظرة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدَلْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ هِيَ أَحْسَنُ﴾³. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ هِيَ أَحْسَنُ﴾⁴.

وأما الحوار أو المحاورة: فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، "دون أن يكون بين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة ويكون الغرض منه الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه"⁵، وفي القرآن ما يدل على هذا الفرق حيث استعمل الجدال

¹ - سورة الفيل، الآيات: 1 - 5.

² - محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1934، ص: 05.

³ - سورة النحل، الآية: 125.

⁴ - سورة العنكبوت، الآية: 46.

⁵ - عبده عبد الله الحميدي: الحوار في القرآن الكريم "دراسة في ضوء التفسير الموضوعي والتحليلي للقرآن الكريم"، د. دار

النشر، ط1، 2007، ص: 58.

في المواضع غير المرضي عنها أو غير المجدية كقوله تعالى: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ

الْحَقَّ﴾¹ وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾² (8).

"وقد وردت مادة (الجدل) في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً يغلب عليها جميعاً أن تكون إما في سياق عدم الرضا عن الجدل وإما عدم جدواه"³.

فالجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق، بل جاء مقيداً بالحسنى في الموضعين:

﴿وَجَدِلْهُمْ بَالِغٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾⁴ ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبِغْيَةِ هِيَ

أَحْسَنُ﴾⁵

مجرداً منها بمعنى الحوار الهادئ في الموضعين:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾⁶ (74) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ

مُنِيبٌ﴾⁷ (75).

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي - إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ﴾⁸ (1).

¹ - سورة غافر، الآية: 5.

² - سورة الحج، الآية: 8.

³ - عبده عبد الله الحميدي: الحوار في القرآن الكريم، ص: 58.

⁴ - سورة النحل، الآية: 125.

⁵ - سورة العنكبوت، الآية: 46.

⁶ - سورة هود، الآية: 74، 75.

⁷ - سورة المجادلة، الآية: 1.

"من هذا ندرك أن منهاج الحوار القرآني في دعوته القائمة على الحجة جاء منوعاً قائماً بحدود الحكمة تارة، والموعظة الحسنة تارة، والجدل بالتي هي أحسن تارة أخرى"¹، خاصة وأن الغرض من القصص القرآني الدعوة إلى توحيد الله، وهي الدعوة التي قابلها المنكرون بالرفض والجحود ومجادلة الرسل، فكان من لوازم الحوار في تلك المواقف إقامة الحجة والبرهان، لبيان فساد ما يعتقد المنكرون، وصدق ما جاء به المرسلون.

وكما يخاطب القرآن الكريم العقل والمنطق، نجده يخاطب الوجدان والعاطفة، لأن من إعجاز القرآن "إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً في تكافئ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير"². وهو حوار يتسم ببساطة اللغة ووضوح المعنى بما يتوافق والطاقة الإدراكية للمتلقين.

2-4- الصراع

يعد الصراع عنصراً بارزاً من عناصر القصّة في القرآن الكريم، لأنه يولد حركة الأحداث فيها، ويقصد بالصراع في القصّة "الاحتكاك بين الشخصية وبين نفسها وعواطفها الذاتية أو عقيدتها، أو بينها وبين شخصيات أخرى"³، ويتجلى في المقاومة بين عنصر الخير والشر وبين الحق والباطل، "وإن للصراع في القصّة القرآنية لأثراً فإنه يظهر في ربطه الأحداث من جهة والشخصيات من جهة أخرى"⁴، ولا شك أن مدار الصراع في قصص القرآن كان بين الخير والشر، وبين الإيمان والكفر، وهذه متناقضات لا تلتقي إلا في حلبة الصراع، ولا بد من تواجد

¹ - بكوش جميلة: حجاجية اللغة في الحوار القرآني، ص: 193.

² - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1996، ص: 275.

³ - عزيزة مريدن: القصّة والرواية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1980، ص: 28.

⁴ - سفيان الثوري: أسلوب القصص في القرآن الكريم "بلاغة وتعليماً"، رسالة ماجستير، إشراف: أ. أحمد طيب رايا، كلية التربية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكارتا، إندونيسيا، 2019، ص: 38.

المتناقضات حتى تستقيم الحياة، حتى يكتمل تماسك البناء على الأرض¹. فالصراع موجود في نواحي الحياة المختلفة ومنعكس على النفس البشرية، وموجود في القصص القرآني باعتباره عنصراً مهماً في بنائه، فهو الذي يمنح القصة الحيوية ويبعث الحركة في الشخصيات، ويدفع الأحداث إلى النمو والتطور. ويختلف هذا الصراع من حين إلى آخر مادياً ونفسياً، فالأول يتعلق بالصراع الخارجي، ويتعلق الأخير بالصراع الداخلي.

2-4-أ/ أنواع الصراع ومساراته داخل القصة في القرآن الكريم

يأتي الصراع داخل القصة القرآنية على وجهين:

-**الصراع الخارجي:** يدور بين الشخصية الرئيسية وجهات خارجية معادية في العقيدة، وهنا تتخذ الشخصية "استراتيجيتين أو أسلوبين في المواجهة وهما، أولاً: الأسلوب الحجاجي، وثانياً: الأسلوب الفعلي أو الممارساتي"². وأمثلة الصراع الخارجي في القصص القرآني كثيرة منها:

- صراع سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع النمرود.

- صراع سيدنا موسى -عليه السلام- مع فرعون من جهة والسحرة من جهة أخرى.

-**الصراع الداخلي:** "هو ما يقايسه البطل من تجاذبات روحية وعاطفية دائرة في طوايا نفسه مبعثها مثيرات خارجية إيجابية أو سلبية حيث يبحث البطل لمخرج منها والتخلص من ثقلها"³، وهذا النوع قليل في قصص القرآن وأمثلته:

- صراع سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع نفسه في مسألة ربوبية الكوكب والقمر والشمس.

¹ - ينظر: سيد حامد النساج: اتجاهات القصة المصرية القصيرة، مكتبة غريب للنش، القاهرة، مصر، ط2، 1988، ص: 113، 114.

² - محسن تيموري ومحمد حسن معصومي: صراع البطل في القصة القرآنية "شخصية النبي موسى -عليه السلام- نموذجاً"، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، إيران، ع: 1، ص: 19، 1437هـ، ص: 07.

³ - المرجع نفسه، ص: 13.

وإذا جئنا إلى مسارات الصراع داخل القصّة في القرآن الكريم ألفيناها متعددة ومتنوعة منها¹:

أ/ المسار الفكري: لما كانت عبادة الكواكب قد شاعت في زمن إبراهيم -عليه السلام- صار أن تأملها فاعتبرها ربا كالكواكب ثم القمر ثم الشمس، حتى أصابها الأفول والزوال إذ تيقن -بفكره وتدبره المتدرج- بوحداية المعبود واهتدى إلى الصواب بعد جدل ذاتي مثمر. قال الله

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾⁽⁷⁵⁾ فَلَمَّا

جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ⁽⁷⁶⁾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ

بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ⁽⁷⁷⁾ فَلَمَّا رَأَى

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ⁽⁷⁸⁾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ⁽⁷⁹⁾، وقد زاد الصراع الفكري حدة لما حطم أصنام المشركين مستثنيا كبير

آلهتهم، فأدخل على أذهانهم حيرة وكادوا يوقنون بالهداية لولا انتكاسهم وتعاديهم حتى أرادوا

تحريقه فما فلقوا وما كانوا فائزين. قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرَهُمْ لَهُمْ لَعْلَهُمْ

إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁵⁸⁾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ⁽⁵⁹⁾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ⁽⁶⁰⁾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعْلَهُمْ يَشْهَدُونَ⁽⁶¹⁾ قَالُوا آتَ

فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ⁽⁶²⁾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا

¹ - ينظر: محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 123 وما بعدها.

² - سورة الأنعام، الآيات: 75 - 79.

يَنْطِقُونَ^{٦٣} فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ^{٦٤} ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ^{٦٥} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ^{٦٦} أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^{٦٧} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ^{٦٨} قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ^{٦٩} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِصِينَ^{٧٠} ١.

ب/ المسار المادي: ويتجلى في جدل سيدنا عيسى -عليه السلام- مع قومه الذين جاءهم بمعجزات مادية مرئية -وقد اشتهروا بالطب- كنفخه في الطين فيكون طائرا بإذن ربه، وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى بإذن الله، بل وحاجه قومه في إنزال مائدة من السماء وكان الأمر كذلك فرزقوها. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ^١ مُبِينٌ^{١١٠} ٢.

ج/ المسار النفسي: كالصراع الذي عاشه صاحب الجنتين المنتفش مالا وثروة وقد داخله الكبير فتناول على صاحبه مغترا بالفوقية والخيلاء، فنصححه صاحبه بذكر الله وزوال الدنيا ونهاية

١- سورة الأنبياء، الآيات: 58-70.

٢- سورة المائدة، الآية: 110.

الزهو بها... وإن هي إلا سويغات حتى لحق الجنيتين النكال، وههنا يقع المستعلي في مصير
 الهوادة الذي هو نهاية كل نفس صغيرة، قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
 جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۚ﴾ (32) ﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْثَاهَا وَلَمْ تَغْلِمِ مِّنْهُ
 شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۚ﴾ (33) ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ
 نَفَرًا ۚ﴾ (34) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ﴾ (35) ﴿وَمَا أَظُنُّ
 السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنْقَلَبًا ۚ﴾ (36) ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
 يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۚ﴾ (37) ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا
 أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ﴾ (38) ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ
 مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ﴾ (39) ﴿فَعَبَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ
 السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۚ﴾ (40) ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۚ﴾ (41) ﴿وَأُحِيطَ
 بِشْمُرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَفْنَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
 أَحَدًا ۚ﴾ (42) ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ۚ﴾ (43) ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ
 خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۚ﴾ (44) ¹.

د/ المسار الاجتماعي: كصراع الرجل الأمي قبل صدور الإسلام لما ساد في ذلك العصر من
 نسب البنات لله تعالى، ووأد آخرون بناتهم وفلذات أكبادهم، متذرعين بضرورة إبعاد العار
 والإملاق، فيروح هذا الرجل كاظما ما تزوم به نفسه وأوهامه من تأزمات داسا وجهه حيطة

¹ - سورة الكهف، الآيات: 32 - 44.

أن يُلطخ بوصمة الخطيئة في المجتمع القبلي، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ¹⁵﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَبَكُمْ بِالْبَنِينَ¹⁶ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ¹⁷ أَوْ مَنْ يَنْشُؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ¹⁸ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ أَنْثَىٰ أَسْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ¹⁹﴾¹.

هـ/ المسار التاريخي: ويتجلى بوضوح في السرد القرآني، ذلك الذي ظل قائما بين الأنبياء وأقوامهم خاصة ما شاع عن بني إسرائيل من قصص العناد والاستكبار والتكذيب، والتفنن في استمراء ألوان القبح والعبث، وعُقد الاستعلاء والنفاق ونكران الجميل، بل تعدّوا كل ذلك إلى الاعتداء على الرسل فأذوهم، وساموا أتباعهم أشد العذاب.

وهكذا يقف المتأمل في الصراع داخل القصص القرآني يجده بين قوتين متصارعتين: قوة الإيمان والتوحيد، وقوة الكفر والشرك، ويجد مسارات الصراع ذات طابع روحي ديني شامل، "كل ذلك في سياق واقعي لا تنبؤ فيه جزئية الخارق (المعجزة)، بل هي تؤسسه على بعد توازني، تنشط به المفاعلة الصراعية التي تسجلها القصة، بدلالاتها التاريخية وبعبرتها المفتوحة على الزمان، المقررة لسنة دوام التزال بين الحق والباطل، في هذا الوجود، مهية بأهل الحق، في كل حين أن يتحملوا مسؤولية مناصرة الحق، والتضحية من أجله"². وقد تجسد في السرد الإعجازي، ومواقف الشخصيات المؤمنة في سبيل تقرير عقيدة التوحيد وعبادة الله وحده جل وعلا.

¹ - سورة الزخرف، الآيات: 15 - 19.

² - سليمان عشراقي: الخطاب القرآني "مقاربة توصيفية لجماليات السرد الإعجازي"، ص: 80.

5- الزمن

يعد الزمن في السرد واحداً من أهم العناصر التي تشكل العمل السردى، ويعتبر الأخير أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن، فالزمن في القصة هو حامل الأحداث ومحركها، وهو يمثل علاقة تكاملية مع النص السردى ولا يمكن أن ينفصلاً بأي شكل من الأشكال.

وأحداث القصص القرآنى واقعة القرون والأزمان الخالية، مما يعطينا إحساساً خاصاً بالزمن بأنه صورة الماضي السحيق، وتقوم القصة القرآنية "على ملاحظة العنصر الزمنى ملاحظة دقيقة واعية، حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها وتحركها بميقات معلوم، فتطلع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال، كما تبعدها عن مجال الرؤية في الوقت المناسب، الذي يستدعي اختفاءها مؤقتاً أو مؤبداً"¹، فحضور الزمن وغيابه في القصص القرآنى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأهميته في سياق السرد، فإن كان ذلك ذكراً، وإن لم تدع الحاجة إلى ذكره وبيانه حذف وغُيب.

وهذا يدل على أن الزمن في القصة وإن كانت له مكانته الملحوظة، إلا أنه يجيء في القصة القرآنية بحسب ما يقتضيه الحال فحينما يكون له أهمية في رسم الصورة المعطاة فالقصص يجيء به، ومثال ذلك الزمن الذي دُبِّرَت فيه الجريمة في قصة سيدنا يوسف -عليه السلام-، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾²، والمدة التي نامها أهل الكهف، قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾³، أما إذا لم تكن له أهمية من ذكره، أو أن ذكره وعدمه سواء، فلا يذكر في القصة القرآنية⁴.

¹ - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآنى في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص: 82، 83.

² - سورة يوسف، الآية: 16.

³ - سورة الكهف، الآية: 25.

⁴ - ينظر: مريم عبد القادر عبد الله السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص: 204-207.

"و لم يلتزم القصص القرآني في منهجه الزمني بترتيب أحداث القصة في السرد حسب ترتيبها في الموضوع الزمني"¹، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ 58﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ 59﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ 60﴾²، إذ "إن كثيرا من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص ويقولون هنا إن الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكر هنا بعد تلك الوقائع. والجواب عن هذه الشبهة (...) أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها. وبيان النقم بعلمها لتتقى من جهتها. ومتى كان هذا هو الغرض من السياق فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى التأثير"³، ليتعظ الناس ويتجنبوا أسباب غضب الله وعقابه.

أما إذا كان هذا الترتيب الزمني للأحداث "عاملا رئيسيا في ترابط نسج أحداث القصة وتتابعها؛ للوصول إلى نتائج معنية وأهداف مرجوة"⁴ فإن القصص القرآني يلتزم به، ومنه ما ورد في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مثلاً حيث كان عنصر الزمن ممسكاً بها في كل

¹ - شاهر ذيب أبو شريح: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، ص: 29.

² - سورة البقرة، الآيات: 58 - 60.

³ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، 1947، ج1، ص: 327.

⁴ - المرجع السابق، ص: 29.

جوانبها، إذ تدرج الزمن في تتبع أحداث حياته منذ صباه إلى أن أصبح عزيز مصر، وما تخلل ذلك من أحداث. ذلك أن "لكل قصة فيه [القرآن] زمنها الخاص بها، بل وأجزاء هذا الزمن الذي يطلع جزءا جزءا، أو يختفي شيئا فشيئا"¹ تبعا للأحداث والنتائج التي تفضي إليها.

هذا وليس للزمن في القصص القرآني ألفاظ صريحة كيوم وليلة، وساعة وشهر، وسنة، وبضع سنين، ونحو ذلك، بل إن للزمن دلالات كثيرة تطل من ملامح الحدث ذاته، كأن يكون الشخص صغيرا فنراه كبيرا.. أو يكون في مكان فنراه في آخر.. أو يكون ابنا فنراه أبا، أو طفلة فنجدها أمّا.. ففي كل هذا وأمثاله عناصر زمنية متجددة، متحركة بالأحداث إلى مراحل وغايات. وهذا الاستخدام لعنصر الزمن لا يحقق الغاية المرجوة منه إلا إذا وقع ليد حكيمة قادرة على الإمساك به، وإطلاقه، أو إمساكه بحساب، وتقدير، بحيث لا يطغى على الأحداث ذاتها². والمتأمل في قصص القرآن يقف على ثلاثة أزمنة:

1/ زمن الواقعة (الحادثة).

2/ زمن الوحي الذي أخبر عن الواقعة.

3/ زمن العبرة المتجدد مع القراءة والتدبر³.

"ولقد أكسب زمن الوحي زمن الواقعة امتدادا في زمن العبرة؛ إذ حوّل الواقعة من مجرد أحداث، إلى بنية قصصية مُعدّة للاعتبار"⁴، لمن ألقى السمع وهو شهيد. وقد أعطت هذه الأزمنة الثلاث سمة متفردة للقصّة في القرآن الكريم، "التي امتازت بقدرة استيعابها كتلة زمن الوجود، بمراحل الماضي والحاضر والمستقبل، وعالم الغيب والشهادة، لترسي عقيدة الإيمان بالله

¹ - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص: 83.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 85، 86.

³ - ينظر: محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 107، 108.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 108.

والبعث. لأن زمانية القصة القرآنية تجاوزت إلى مرحلة الأزل والأبد، وإلى مرحلة اللازم، وهي سمة لا تتوفر إلا في القصص القرآني¹.

ويرى بعض دارسي القصص القرآني "أن الزمن فيه معجز إعجاز السرد والأبد، ومتسم موصول بالعلم الأزلي المحيط، ومتجاوز لمقاييس التحديد والتأريخ"²، لا يستطيع إدراكه الإنسان المحدود بالمكان والخاضع لشروط الزمان، لأن مصدر السرد القصصي في القرآن الكريم هو الله جل في علاه.

لكن هذا لم يمنع بعض الباحثين من دراسة الزمن في قصص القرآن الكريم بصورة مستفيضة، من ذلك ما طلعنا عليه في كتاب: البنية الزمنية في القصة القرآنية "الاسترجاع" والاستباق^{**} للدكتور بشار إبراهيم نايف، وقد ركز فيه -كما يبين العنوان- على الاسترجاع والاستباق، حيث يرى أن القصص القرآني قد حفل بالمفارقة الزمنية المتمثلة بحركتي الزمن (الاسترجاع- الاستباق)، وقلما نجد قصة تخلو منهما، وهي بهذه المفارقة تحقق أغراضا متنوعة تتوزع بين الجمالية والوعظية والإبلاغية والإعجازية، وقد تغيرت نظرة الناقد التي كانت تعطي أهمية كبيرة للترتيب الزمني على وفق مبدأ السببية، وأصبح الرجوع إلى الماضي حيث التذكر والاستدراك وجمع الخيوط التي لها علاقة بالحدث الرئيسي أو القفز إلى الأمام من خلال التوقع والتنبؤ بما

¹ - بن ذهيبه لطروش: إشكالية الزمن في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. حبيب مونسي، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017، ص: 376.

² - محمد الأمين بن محمد خلادي: المرجع السابق، ص: 109.

* - الاسترجاع: هو "مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق. وهذه المخالفة لخط الزمن تولّد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية". (لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص: 18).

** - الاستباق: هو "مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد". (لطيف زيتوني: المرجع السابق، ص: 18).

سيحصل لاحقا سمة العصر والجمالية التي يبحث عنها الكاتب، والقصص القرآني بأسلوبه المعجز وبنيته السردية الفريدة أخذ بكل ذلك¹.

ومن ثم كان عنصر الزمن في القصص القرآني عاملا مهما من عوامل تحريك أحداثه، وتقريب مشاهدته، وربط المتلقي بذلك كله تحقيقا للإبداع الفني والإبلاغ النفعي.

6- المكان

يعد المكان من أهم العناصر المهمة التي تدخل في تكوين النص السردى وقد اهتم به الدارسون، سعيًا منهم لبيان جماليته وأثره في النص، ولم يقفوا عند هذا الحد بل ميّزوا بين مصطلحات ثلاث: (المكان، الفضاء، الحيز) فتعددت المفاهيم والتقسيمات.

ولا نريد في هذا الصدد الخوض في تفاصيل الاختلاف الظاهر، وحسبنا من ذلك إمطة اللثام عن هذه المصطلحات لفك اللبس الحاصل بينها.

مفهوم المكان: من التعريفات الجامعة لمصطلح المكان في نظرنا هو "المحيط الذي تتحرك فيه المؤثرات الخاصة والعامة على الشخصيات والأحداث، ويعتمد تركيب تلك الشخصيات من نواحيها الجسدية والفكرية والاجتماعية والخلقية على البيئة أو المكان الذي تعيش فيه هذه الشخصيات، فالمكان عنصر أساسي من عناصر السرد، كونه أكثر عمقا وتنوعا وتغلغلا في الشكل البنائي للرواية، فهو جزء فاعل في الحدث وخاضع خضوعا كليا له"²، فالمكان من هذا المنظور هو البيئة التي يعيش فيها الإنسان فتكون ملامحه الجسدية والنفسية، وهو عنصر مهم في السرد القصصي لأنه يعطي الأحداث حركة ومنطقا. "فهو الإطار الذي يحوي الأحداث،

¹ - ينظر: بشار إبراهيم نايف: البنية الزمنية في القصة القرآنية "الاسترجاع والاستباق"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص: 29.

² - ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص: 117.

وتتحرك فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث وهذه الشخصيات، ومشحونًا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان¹، ووقفه الدكتور عبد الملك مرتاض في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده²، فهو يشعر المتلقي بواقعية الأحداث وطبيعة الشخصيات.

مفهوم الفضاء: يشيع هذا المصطلح عند النقاد الغربيين إذ يعنونون به كتبهم ومقالاتهم، في حين يظهر مصطلح (المكان) على استحياء؛ لأداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح (الفضاء) في كتاباتهم النقدية بخاصة تلك التي تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين³، بينما يظهر عندهم مصطلح (المكان) بصورة أكبر.

وما دما نبحت في ثنائية (المكان) و (الفضاء) تجدر بنا الإشارة إلى تنبيه "حسن نجمي"، الذي مفاده أن "غالب هلسا" ارتكب خطأ فادحا حين أقدم على ترجمة عنوان كتاب La poétique de l'espace (شعرية الفضاء) لغاستون باشلار (Gaston Bachelard) إلى (جماليات المكان)، وهي الجناية الأولى التي شوهت خصوصية هذين المصطلحين، وتركت ظلالها على دراساتنا فيما بعد⁴، "والحال أن المقابل العربي لمصطلح L'espace هو "الفضاء"، كما أن المقابل العربي لمصطلح Le lieu هو المكان"⁵، وإن كان جل الدارسين العرب

¹ - آمنة عشاب: الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني "سورة يوسف نموذجاً"، رسالة ماجستير، إشراف: د. عميش عبد القادر، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، الجزائر، 2006-2007، ص: أ.

² - ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998، ص: 121.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 121، 122.

⁴ - ينظر: حسن نجمي: شعرية الفضاء "المتخيل والهوية في الرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص: 42.

⁵ - زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص: 203.

يوظفون مصطلح "المكان" بدل "الفضاء" في دراساتهم فإن الفرق بين المصطلحين يكمن في أن الفضاء "يمثل الاتساع والامتداد والفراغ، إنه كل ما يحيط بنا دون أن نلمس له حدوداً"¹، فالفضاء بهذا أوسع من المكان فالأول غير محدود والآخر محدود. ثم إن المكان كائن متجسد يتم إدراكه بوساطة الحواس أو التصوير الذهني، وهذا يؤيد وجوده واتصافه بالكينونة، وهذه الصفة قد لا نستطيع إسقاطها على الفضاء، فالفضاء أوسع من المكان، وهو بامتداده يحوي الأمكنة المهندسة.

مفهوم الحيز: يرى غريماس (Greimas) أن الحيز هو "الشيء المبني، (المحتوى على عناصر متقطعة) انطلاقاً من الامتداد، المتصور، هو، على أنه بعد كامل، ممتلئ، دون أن يكون حللاً لاستمراريته. ويمكن أن يُدرَسَ هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة"².

وقد اختار هذا المصطلح الدكتور "عبد الملك مرتاض" وارتضاه في كتاباته مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي (Espace, space) لأن مصطلح الفضاء من منظوره قاصر بالقياس إلى الحيز؛ فالفضاء معناه جار في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدى عبد الملك مرتاض ينصرف استعماله إلى الثنوء والوزن والثقل والحجم والشكل³. كونه "ينشئه القاص أو الروائي فيخادع القارئ عنه به، بادعاء أنه مكان جغرافي فعلاً وحققاً من حيث هو مجرد هيئة مكونة من المكونات السردية الأخرى"⁴، فهو عنصر أساسي من عناصر البنية السردية لأن "الحيز الأدبي عالم دون حدود، وبحر دون ساحل، وليل دون صباح، ونهار دون مساء. إنه امتداد مستمر

¹ - زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص: 208.

2- Greimas et Courtes, Dictionnaire raisonne de la theorie du langage, Espace,

نقلاً عن: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص: 122.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 121.

⁴ - عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسميائية النص "تحليل مجهري لمجموعة تفاحة الدخول إلى الجنة"، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص: 150.

مفتوح على جميع المتّجهات، وفي كل الآفاق"¹، فالخيز من منظور عبد الملك مرتاض -على الأقل- "يعني كل فراغ أرضي أو سماوي أو عمودي أو وزني أو حتمي أو خطي (الطول والعرض) أو كل ما يدل على مكان غير جغرافي كأحياز الأعمال السردية"²، فهو عنده ليس معادلا للمكان الأرضي الجغرافي بأي وجه بل هو مفهوم أوسع، يمكن المبدع من تحويل الأماكن الحقيقية إلى أحياز إبداعية تخيلية، تعطي للنص الفنية والجمالية.

ومهما يكن من أمر في الفرق بين هاته المصطلحات فإن كما قيل: "لا مشاحة في الاصطلاح"، والذي نريده هنا أن عنصر "المكان" في السرد القصصي جامع لحضور مكونات السرد بصورة متكاملة تتفاعل فيه ضمن نسق محدد.

والقصص القرآني يستجلب قارئه من زاوية المكان، لأنه عالم كوني ومادي ومحسوس ثابت أعلق بابن آدم إذا ما قورن بالزمن، فهو كون روحي نفسي متحول، وذلك ليس بدعا ما دام الإنسان أميل بقوة إلى المكان في أشكاله المتعددة كمكان العبادة والتعلم والسكن... في حين أنه لا يمكنه أن يستقطب الزمن أو أن يأخذ بتلابيبه كلّها³. فالمكان ألصق بالإنسان وأطوع بخلاف الزمن.

وتزداد قيمة المكان كلما كان متداخلا بالنص السردى ممتزجا بعناصره الأخرى (الأحداث، الشخصيات، الزمن...)، فهو يمثل "الأرضية الفكرية والاجتماعية التي يحدد فيها مسار الشخص و يركز فيها على وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي نفسي، يخضع لواقع التجربة

¹ - عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص: 135.

² - عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيميائية النص، ص: 147.

³ - ينظر: محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني، ص: 115.

الفنية"¹، وبذلك عُدَّ المكان عنصراً مؤثراً، يكسب النص السردي قيمة فنية، ويسهم بفاعلية في توليد المعاني.

وحينما ننظر إلى القصص القرآني المعجز-من الزاوية المكانية فيه- نجد أن القرآن الكريم ينظر إلى المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان، فهو لا يعنى بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العظة والعبرة منه. فللمكان حضور متميز في القصة القرآنية، سواء بالإشارة إلى أماكن واقعية أم عبر التقاطعات المكانية* في السرد، وهي "التي تصنف الأمكنة وتبحث في دلالتها في شكل ثنائيات ضدية، بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات بين قوى وقيم متعارضة"²، ومن فضائاته في القصص القرآني: أمكنة الانتقال والإقامة، والأمكنة الأليفة والمعادية، فضلاً عن الفضاء الأهم في القصص القرآني، وهو فضاء الائتلاف والاختلاف، بين الأنبياء وأقوامهم.

ثم إنَّ "التصوير أحداث القصة وتطوير شخصياتها صلة وثيقة بما يسمى: المجال أو البيئة أو الجو العام"³، إذ ليست القصة في القرآن الكريم معزولة عن المكان، سواء صُرح به أو أُعلن عنه

¹ - رياض الناصري: المكان وأفضيته في القصة القرآنية، صحيفة المثقف، ع: 4853، ديسمبر 2012، من موقع:

<http://almothaqaf.com>، اطلع عليه يوم الخميس 2019 / 12 / 19، ساعة: 21:27.

* - الأخذ بمبدأ التقاطب كأداة إجرائية في دراسة النص السردى يمثل المظهر الملموس الذي ينهض بدور هام في عملية السرد، كونه لا ينظر إلى المكان باعتباره عنصراً خالياً من الدلالة بل يستقصي دلالاته الخلفية (الفكرية والثقافية والاجتماعية) انطلاقاً من رصد علاقاته بأبرز مكوّن سردي -الشخصية- وذلك بواسطة تقديم المكان من خلال حركة الشخص فيهِ وليس من خلال المشاهد الثابتة. (ينظر: هشام بن سعدة: التقاطعات المكانية في رواية "شعلة المائدة" لحمد مفلّاح، مجلة فصل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج: 4، ع: 2، جوان 2015، ص: 264).

² - محمد بوعزة: تحليل النص السردى "تقنيات ومفاهيم"، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص: 101.

³ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص: 523.

تلميحاً بتصوير فضائه تصويراً تتجلى عبره علاقة المكان بالشخصية، تضيفي على المشهد حركة

وصوتا. ومثال ذلك في قصة سيدنا آدم -عليه السلام- قول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ¹ ﴿35﴾، في هذه الآية الكريمة نجد (الجنة) مكاناً يقدم عيشاً رغداً، وبه أشجار

مثمرة، تغشاه السكينة والهدوء، وللشخصيات (أبونا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام-) الحرية

الواسعة في الاستطالة لما تشاء من ثمار الجنة (المكان) الذي يضمن للشخصيات العز والراحة

حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى²﴾ (118) وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا

تَضْحَجُ³﴾ (119)، فهو مكان أليف تقطر من جنباته الرعاية المقدسة والتبجيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ³﴾. فمكان يؤثث فضائه: الله، الملائكة، السماء، السموات،

النبيل، الجنة وثمارها، ويسجد فيه الملائكة لآدم، هو مكان خاص وله دلالاته الخاصة، ضمن

الإطار العام الذي يتسم بالسعة والتعدد، الذي خلق حضوراً طاغياً للشخصية، مما ولد لديها

ارتباطاً روحياً بالمكان، ستكون حسرة فراقه كبيرة حينما يرضخان (أبونا آدم وأمنا حواء -

عليهما السلام-) لإغراء العدو المخاتل (إبليس)، فتكون حسرة أبدية، يمتد عمرها إلى زمن

خارج إطار التخيل، لتبقى لوعة الرجوع إلى هذا المكان أبدية هي الأخرى، تبحث عن آليات

الرجوع في كل وقت وحين: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا³

¹ - سورة البقرة، الآية: 35.

² - سورة طه، الآيتان: 118، 119.

³ - سورة طه، الآية: 116.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾¹. وهنا تفترق صورة الشخصية عبر فضاء المكانين؛ إذ أنّها بعد فراق فضاء التقديس، تصبح هنا وعلى الأرض مقابلة للشيطان: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" وكأنّهما على قدم المساواة في صراع أبدي يمثل عمق الخطأ المقترف، فتتحول صورة الشخصية من المقدس إلى المندس، وتحاول عبر طريق الاستغفار، والعبادة، والطاعة الرجوع إلى صورتها الأولى، متخذة من إطار التطهير غاية للرجوع إلى فضاء المقدس، عبر بوابة الفناء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾²، وهنا سيكون حضور المقدس موازيا لدلالة الكلام الملقى، حيث الرحمة فضاء آخر يؤطر المكان: ﴿فَنَلَقِيَّ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾³، حيث طلب المغفرة فضاء داخلي احتوته نفس آدم وزوجه، بعد فضاء داخلي قادهما إلى الخروج من الجنة وهو هاجس الملك والخلود: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكََيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾⁴، فغلب فضاء الخلود وحب الملك معززا بفضاء النصيح (المتوهم): ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁵، فضاء الوصية الدالة على الألفة والمحبة: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁶، فالجنة هنا

¹ - سورة البقرة، الآية: 36.

² - سورة الأعراف، الآية: 23.

³ - سورة البقرة، الآية: 37.

⁴ - سورة الأعراف، الآية: 20.

⁵ - سورة الأعراف، الآية: 21.

⁶ - سورة طه، الآية: 117.

ليست مكانا يحوي فضاء الألفة والرحمة، ففيها فضاء معادٍ تمثل بالشیطان، هذا التقاطب بين الفضائين زاد في جمالية فضاء الألفة والرحمة، عبر تجاور المكان الأليف (الجنة) والمكان المعادي الشقاء (فتشقى)، فكثافة المكان المحدد رغم سعته (الجنة)، وهذا التحديد بدلالة (اهبطوا منها)، غلب فضاؤه الرائق على سعة (الشقاء) في الأرض رغم محدوديتها¹.

والقصص القرآني لا يذكر مكان الوقائع والأحداث دائما إلا إذا كانت طبيعة الحدث تقتضي تحديد هذا المكان، كأن يكون هذا الحدث مرتبطاً بالمكان ارتباطاً وثيقاً بحيث يستحيل وقوعه في مكان آخر، وكأن يكون ذكر المكان ضرورياً لتوضيح بعض المعاني في ذهن القارئ، أو كأن يكون الحدث متمتعاً بأهمية تاريخية بالغة بحيث تستوجب هذه الأهمية تحديد المكان بخصائصه ومواصفاته دفعاً للشبهات والتزاماً بالأمانة التاريخية². وذلك لأن الغرض من القصص هو الاعتبار من جهة، ثم عدم ذكر الأماكن في بعض القصص يوحي بعموم الحدث مما يجعل له دلالة خالدة.

ونجد القرآن الكريم يحرص في قصص أخرى حرصاً واضحاً على تحديد مكان الحدث لما لهذا التحديد من أهمية مصيرية تتوقف عليها دلالة ذلك الحدث وبدون ذلك التحديد تزول الدلالة، كما نلاحظ ذلك -على سبيل المثال- في آية الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن -إِنِّنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ³﴾. فذكر المكان في هذا المشهد ضروري "لإضفاء معاني القدس والجلال على

¹-ينظر: رياض الناصري: المكان وأفضيته في القصة القرآنية.

²-ينظر: فالح الربيعي: المكان والبيئة في القصة القرآنية، مقال محمل من موقع: <https://www.balagh.com>، اطلع عليه يوم: الأحد 2022/08/21م، ساعة: 14:18.

³- سورة الإسراء، الآية: 1.

هذه الرحلة، وإشاعة الإحساس بأهميتها وعظمتها في النفس، وبدون تحديد المكان الذي منه بدأت الرحلة والمكان الذي انتهت إليه تبقى هذه الحادثة عادية يمر بها الإنسان مروراً عابراً، أما وقد حفت من طرفيها بهذين المكانين المقدسين فإنّها تكتسب أهمية عظيمة تجعل الإنسان يقف عليها وقفة التأمل المتأنّي"¹.

ولعل في عدم تحديد المكان في القصص القرآني "يشرع الباب على مصراعيه لقراءات متعددة، ويشرع شبكة النص لكثير من التحليلات والتركيبات المتساوقة غير المتدايرة"²، ذلك أنه ليس مجرد حيّز تجري فيه أحداث القصة، بل هو عنصر فعال يقدم بطريقة تناسب هدف القصة وتخدم أحداثها، فهو "لا يأخذ قيمة تعبيرية، إلا ضمن السياق التوجيهي للقصة"³ خدمة للغرض الديني، وليكون صالحاً مدى العصور.

وعلى هذا الأساس "ينبغي ألا يعاب على القرآن إهمال الأماكن والأشخاص فيما يقص، و لا إهمال الترتيب بين الحوادث، فإن هذا و ذاك من شأن المؤرخ الذي يعني بالقصص كتاريخ، لا كعظات و عبر"⁴.

6-1- الأمكنة في القرآن الكريم

قسّم الدارسون الأمكنة في القرآن الكريم إلى أقسام يوضحها المخطط الآتي⁵:

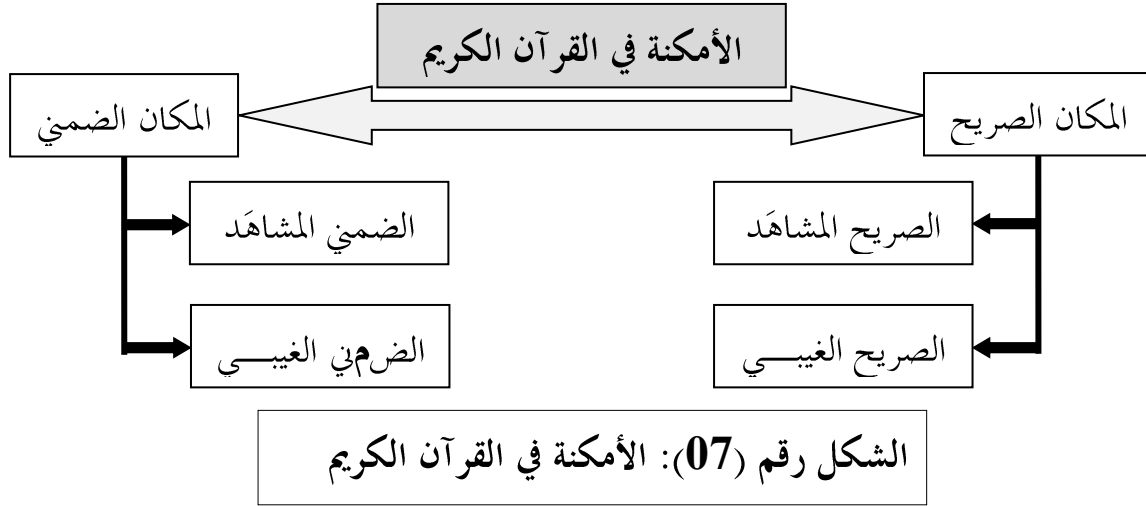
¹ - فالخ الربيعي: المكان والبيئة في القصة القرآنية.

² - سليمان الطراونة: دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، ص: 20، نقلاً عن: إيمان محمود الشاويش: جماليات المكان في القصة القرآنية، رسالة ماجستير، إشراف: د.شكري عزيز الماضي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، نيسان (أفريل) 2011، ص: 16.

³ - سليمان عشراقي: الخطاب القرآني "مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي"، ص: 160.

⁴ - فتحي أحمد عامر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت، ص: 233.

⁵ - ينظر: كبرى روشن فكر وآخران: الدور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية على ضوء البنيوية التكوينية "قصة نبي الله موسى - عليه السلام - أنموذجاً"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، قسنطينة، الجزائر، ع: 43، يوليو (جويلية) 2018، ص: 104.



فالمكان في القصص القرآني إما مصرّح به، أو ضمني، والمصرّح به قسمان: صريح مُشاهد يُدرك بالحواس، وصريح غيبي يؤمن به دون إدراكه بالحواس كالجنة والنار. وكذلك المكان الضمني ينقسم إلى قسمين: ضمني مُشاهد، أو ضمني غيبي مثل مكان العرض يوم القيامة، فهو موجود يوم الحساب غير أن حدوده وتفصيله غائبة عن المخاطب، فالقرآن الكريم "يصور هذه العوالم، وحياة الإنسان فيها تصويراً يقربها من ذهن الإنسان، حتى لا يرهقه في التخمين والخيال"¹. وفيما يلي بيان تلك الأقسام.

6-1-أ/ المكان الصريح: يشمل كل مكان ذكر بشكل صريح واضح. مثل: (الأرض المقدسة، مدين، مصر) التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ²¹﴾²، وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ²²﴾³، وفي قوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ

¹ - عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فُصِّلَت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، سورية، ط1، 2001، ص: 322.

² - سورة المائدة، الآية: 21.

³ - سورة القصص، الآية: 22.

فَرَعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ إِلاَنَهَرُ نَجْرِي مِّنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾¹. والتصريح بالمكان له دلالات ومعان ترتبط بعناصر السرد الأخرى من

أحداث وشخصيات... وينقسم المكان الصريح إلى قسمين:

- المكان الصريح المشاهد: هي التي يُصرح بها وتكون مشاهدة، ومثالها من القرآن الكريم إضافة إلى ما ذكر آنفا (السفينة، القرية، طور سيناء...)، قال الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾²، وقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَنُخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾³، وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾⁴.

- المكان الصريح الغيبي: وهي الأمكنة التي تحدث فيها وقائع يوم القيامة، مثل (الجنة، النار، البرزخ، الأنهار...)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾﴾⁵، وقوله: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾⁶.

¹ - سورة الزخرف، الآية: 51.

² - سورة الكهف، الآية: 71.

³ - سورة الكهف، الآية: 77.

⁴ - سورة المؤمنون، الآية: 20.

⁵ - سورة طه، الآية: 74.

⁶ - سورة آل عمران، الآية: 133.

6-1-ب/ المكان الضمني: هي الأماكن غير المصرّح بها والمستنبطة من السياق العام للقصة، وينقسم إلى قسمين:

-المكان الضمني المشاهد (الملموس): من ذلك مثلاً ما ورد في قصة سيدنا موسى عليه السلام حين أمر أهله أن يمشوا بمكانٍ لم يصرّح به بالقرب من الواد المقدس، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾¹، فالمشهد قد رسم لنا تصويراً من ذلك المكان المجهول من خلال ذكر الزمان الذي حدث فيه الفعل وكذلك من خلال صفاته وأحوال المقيمين. فنعرف أن موسى -عليه السلام- عندما قال لأهله "امكثوا" فهو قد عيّن لهم مكاناً محدداً لا شك أنه يعرفه ليعود إليه بعد أن يتركهم بحثاً عن مرشد ودليل. وهو على كل حال قريب من "الطور" أو "الواد المقدس" أو "البقعة المباركة" ومن صفات ذلك المكان الذي أمر فيه موسى -عليه السلام- أهله بالبقاء فيه أنه يفتقر إلى ثلاث أشياء أساسية: أنه لا يوجد فيه من يهديهم إلى الطريق الصحيح (لعلي آتيكم منها بخبر)، ولا يوجد فيه ضوء يكشف لهم معالم الطريق ويرشدهم إلى سواء السبيل (شهاب قبس)، وأخيراً ليس فيه ما يقيهم برودة الجو (لعلكم تصطلون)². فالمكان هنا ضمني مشاهد من خلال تلك التلميحات دون ذكره تصريحاً.

ومثله المكان الذي قصده بنوا إسرائيل بعد أن نجاهم الله وأغرق عدوهم فرعون وجنوده، قال الله تعالى: ﴿وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا

¹ - سورة القصص، الآية: 29.

² - ينظر: كبرى روشن فكر وآخرون: الدور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية على ضوء البنيوية التكوينية "قصة نبي الله موسى -عليه السلام- أغودجاً"، ص: 107.

يَمُوسَىٰ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ¹، فالمكان غير مُصرَّح به تحديدا ولكنه جاء ضمن السياق، فبنوا إسرائيل جاوزوا البحر ووصلوا إلى مكان ما وجدوا فيه قوما يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى -عليه السلام- أن يجعل لهم إلها مثلما لهؤلاء القوم، وذلك بعد أن رأوا آيات الله في غرق عدوهم ونجاتهم، فالمكان في هذا المشهد ليس مقصودا في ذاته لذلك لم يصرح به وأشار إليه القرآن تلميحاً.

-المكان الضمني الغيبي: هو المكان الذي لم يُصرَّح باسمه وهو يقع في عالم الغيب. ومن أمثلته قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾²، فالرحمة ليست شيئا يمكن الدخول فيه، وإنما الجنة هي المكان الذي تحل فيه الرحمة. وقد سمي هذا النوع من التركيب في كتب البلاغة بـ "المجاز" ذي العلاقة الحالية³، حيث ذكر الحال (الرحمة) وأراد بها المحل أو المكان (الجنة) دون أن يذكره صريحا.

ومن ثم نجد المكان في القصص القرآني لا يذكر إلا إذا كان له أثر كبير في الأحداث وإلا فإنه يستغنى عن ذكره. فالمكان مرتبط بما يمكن أن يضيفه على المشاهد والأحداث من قيمة نفسية وروحية، فهي "تنبع من تجاوزه لكونه إطارا ماديا يحوي الأحداث وتتحرك في محيطه الشخصيات، بحيث يصبح أداة فاعلة في تلوين هذه الأحداث، واحتواء هذه الشخصيات"⁴.

وأما العقدة فإنها ليست في القصص القرآني من العناصر الأساسية لأن فيه "من عوامل الإثارة والتشويق ما أغناه عنه، ثم إن في تلميحات القرآن وإشاراته ما يجنبه الإطالة والسير في

¹ - سورة الأعراف، الآية: 138.

² - سورة الأعراف، الآية: 151.

³ - ينظر: كبرى روشن فكر وآخران: المرجع السابق، ص: 108، 109.

⁴ - لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة

المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص: 208، 209.

المنعرجات التي تقتضيها العقدة أحياناً¹. وبذلك تمكن من ترك أثر عميق في النفس بسرعة فائقة، دون أن يكلف المتلقي أعمال الخيال، ومن غير أن يخرج به عن الغرض الديني من القصص القرآني.

تلك هي بعض عناصر القصّة في القرآن الكريم قد تتوافق وتنسجم مع ما ذهب إليه نقاد القصّة الفنية، وقد لا تتوافق، لأن القصّة في القرآن لها سماتها الخاصة دون أن تكون عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة سرده وتحريك أحداثه، وهذا بحكم مصدرها الربّانيّ.

¹ - التهامي نقرة: سيكولوجية القصّة في القرآن، ص: 99.

3- أنواع القصص في القرآن الكريم

اختلف الدارسون في أنواع القصص القرآني نظرا لاختلاف وجهات نظرهم.

فهو عند الشيخ مناع القطان ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت بُبوتهم، كقصة الذين اخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، ونحو ذلك¹.

لكن الدكتور عبده إبراهيم محمد بلبول يرى "أن حكاية القرآن عما حدث لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- مع قومه لا يُعد من قصص القرآن، وذلك كغزواته وزواجه، وما حدث بينه وبين أصحابه. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ﴾^{2,3}.

ونشير هنا إلى أن القرآن الكريم أخبر عن غيوب كثيرة تمثلت فيما يلي:

¹ - ينظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص: 317.

² - سورة طه، الآية: 99.

³ - عبده إبراهيم محمد بلبول: القصص القرآني، ص: 36. نقلا عن: أفنان محمد عدنان شريف الشيخ: القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس -رحمه الله- (دراسة تحليلية مقارنة)، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد سليمان البشايرة، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، 2015، ص: 16، 17.

أ- غيب الماضي: ويتمثل في قصص الأنبياء مع أقوامهم قبل الدعوة المحمدية، منها قصة نوح

عليه السلام التي قال الله فيها: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ

مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾¹، ومنها قصة مريم عليها السلام، وفيها يقول

الحق سبحانه: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾².

ب- غيب الحاضر: وهو ما يتصل بالله تعالى، والملائكة، والجن والجنة والنار، مما لم للرسول

صلى الله عليه وسلم سبيل إلى رؤيته أو العلم به فضلاً عن أن يتحدث عنه، قال الله تعالى:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ

خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ

وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾³.

ج- غيب المستقبل: ومن إخبار القرآن عن الروم بأنهم سينتصرون في بضع سنين من إعلان

هذا النبأ الذي يقول الله سبحانه فيه: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِرُ إِذْ يَخْلُقُ وَهُوَ عَلِيمٌ بِالْغُيُوبِ ﴾¹ غُلِبَتِ الرُّومُ² فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ

بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ³ فِي بَضْعِ سِنِينَ⁴ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ⁴ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ⁵ وَعَدَ اللَّهُ

¹ - سورة هود، الآية: 49.

² - سورة آل عمران، الآية: 44.

³ - سورة محمد، الآية: 15.

لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾¹. وقد ساق الشيخ الزرقاني لهذه

الغيوب أمثلة كثيرة² ليس المقام مقام تفصيلها كاملة، وحسبنا ما ذكرنا تمثيلاً لكل غيب.

أما مريم السباعي فقسمته باعتبار القدر والكمية إلى قسمين:

القسم الأول: قصة طويلة: ترد في بعض الأحيان مجزأة ثم تجمع في موضع واحد، وفي أحيان أخرى ترد مرة واحدة في مكان واحد.

فالقصة الطويلة المجزأة: هي التي أتت مجزأة في عدة سور تكمل بعضها البعض كقصة نوح وهود وقصة صالح وقصة لوط عليهم السلام. فقصة نوح -عليه السلام- جاءت مجزأة ثم جمعت في سورة واحدة وهي سورة نوح.

وأما القصة الطويلة الوحيدة في القرآن التي جاءت كاملة دفعة واحدة فهي قصة يوسف -عليه السلام- في سورة يوسف.

القسم الثاني: قصة قصيرة: هي التي تحتوي على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة³.

أما الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي فقسم القصص القرآني كالاتي:

-القصص القصير والقصص الطويل، مثل قصة يوسف -عليه السلام- في سورة يوسف.
-القصة القصيرة ذات اللقطة السريعة أو اللقطات القصيرة، مثل قصة إلياس -عليه السلام- مع قومه في سورة الصافات.

¹ - سورة الروم، الآيات: 1 - 6.

² - ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط3، 1943، ج2، ص: 367 - 380.

³ - ينظر: مريم عبد القادر عبد الله السباعي: القصة في القرآن الكريم، ص: 245.

-القصّة متوسطة الطول ذات المشهد الواحد أو المشاهد القصيرة، مثل قصة سليمان -عليه السلام- مع النملة والمهدد وملكة سبأ وعرشها في سورة النمل.

-القصّة المطوّلة ذات المشاهد الكثيرة، والعرض المنوّع المكرّر، مثل قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون، ثم مع بين إسرائيل.

وهناك تقسيم آخر عند الدكتور صلاح، من حيث موضوعه وأشخاصه وأحداثه، وهو قسمان:

القسم الأول: قصص الأنبياء والمرسلين.

القسم الثاني: قصص غير الأنبياء والمرسلين¹.

وبعض الدارسين قسم القصص القرآني إلى أنواع غير التي ذكرت، ولكننا نراها لا تخرج عن هذا التقسيم وإن اختلفت تسميات تلك الأنواع. منها ما ذكره الباحث: مسفر بن أحمد بن مسفر آل عاطف الوادعي: القصّة بضرب المثل/ القصّة التاريخية/ القصّة التعليمية/ القصّة النفسية/ القصّة الإشارية الرمزية/ القصّة الوعظية/ القصّة الواقعية/ القصّة الغيبية².

وقد ميز سليمان عشراشي شكلين للبنية القصصية كما صاغتها أدبية الخطاب القرآني:

"الشكل الأول: ونطلق عليه اسم القصّة المغلقة أو المكتملة، ونقصد بها القصّة التي استقل بها موطن قرآني واحد، في سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردية خارج ذلك الموطن، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها من القصص التي أخذت إطارا مثليا، كقصّة صاحب الجنتين.

¹ - ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، سورية، ط5، 2007، ص: 14، 15.

² - ينظر: مسفر بن أحمد بن مسفر آل عاطف الوادعي: معايير الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في تدريس التربية الإسلامية في الصفوف العليا بالمرحلة الابتدائية بمدينة أمّها، رسالة ماجستير، إشراف: أ. سليمان بن محمد الوابلي، كلية التربية، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السعودية، 1427هـ، ص: 56-79.

الشكل الثاني: يمكن أن نسميه القصة المفتوحة، ونقصد بها ذلك السياق السردى المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة، وبتنويكات إخبارية، وسردية تتجدد كثيراً أو قليلاً من سياق لآخر، سواء على مستوى الشكل الخطابي أو من حيث الإفادات التي يحملها¹.
فالقصة المكتملة المغلقة هي التي لا تتكرر على مستوى النص القرآني، في حين سميت القصة المفتوحة بذلك لأنها تساق في غير ما موضع، وتتكامل باكتمال مشاهدتها عبر السور كقصة موسى -عليه السلام-.

و مرد هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى أن القرآن الكريم ليس كتاب فن و إنما هو "كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة و تثبيتها. شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة و للنعيم و العذاب، و شأن الأدلة التي يسوقها على البعث و على قدرة الله، و شأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها"²، لتحقيق الغرض الديني في قالب تصويري يجمع بين الإمتاع والإقناع.

¹ - سليمان عشراقي: الخطاب القرآني، ص: 69، 70.

² - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 143.

4- أبعاد القصّة في القرآن الكريم

القصّة في القرآن الكريم وسيلة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية، في بُعديها العقدي أو التربوي وهي "ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محلقة في جو ملائكي محض؛ لأنها إنما جاءت علاجاً لواقع البشر (...). علاجاً ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو ما استطاعت إلى أعلى القمم"¹، وإذا نحن تأملنا القصص القرآني نجده يكاد يستوعب في أبعاده جميع الأغراض الرئيسية التي جاء من أجلها القرآن الكريم. "إثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والعجلة والتريث، والصبر والجزع، والشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية، قد تناولته القصّة، وكانت أداة له وسيلاً إليه"²، ونظراً لكثرة تلك الأغراض وتشعبها سنقتصر في عرضنا على الأبعاد الرئيسية والتي يمكن أن تدخل ضمنها أغراض أخرى تابعة لها أو مكملة لها، ومن أبعاد القصص القرآني نذكر³:

4-1- الأبعاد الرسالية: ومنها:

- إثبات الوحي والرسالة، وأن ما جاء به القرآن الكريم لم يكن من عند الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وإنما هو وحي أوحاه الله إليه لهداية الناس، فالقصص القرآني يكشف عن حقيقة ثابتة، وهي: تلقي سينا محمد -صلى الله عليه وسلم- أخبار الأمم السابقة من الله سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

¹ - عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، سورية، ط25، 2007، ص: 190.

² - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 144.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 144 - 155.

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ ﴿٣﴾¹. وقال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾² (١٠٢)، ففي الآيتين ما يدل على أن القصص القرآني وحي من عند الله تعالى.

● بيان أن الدين والعقيدة واحدة لجميع الرسل والأنبياء، وأن الدين كله من عند الله سبحانه، وجميع الأنبياء أمة واحدة، "والدارس للقصة القرآنية يدرك الدور العظيم الذي قامت به في تربية العقيدة وتعهدها وتنميتها"³، لأنها مصدر الإيمان والخير والأمن، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁴ (٣٦). وهذا الغرض يهدف إلى:

- إبراز الصلة الوثيقة بين الإسلام الحنيف وسائر الأديان الإلهية التي دعا إليها الرسل الآخرون، وأن الإسلام خاتم للشرائع السابقة وناسخ لها ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وهو في الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ⁵ (٨٥).

¹ - سورة يوسف، الآية: 3.

² - سورة يوسف، الآية: 102.

³ - التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص: 549.

⁴ - سورة النحل، الآية: 36.

⁵ - سورة آل عمران، الآية: 85.

- بيان أن الدعوة الحمديّة ليست بدعا في تاريخ الرسالات، بل هي امتداد لها. قال الله تعالى:

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ¹ ۚ ۖ ۝۱

● تصديق التبشير والتحذير، فقد جاء في سورة الحجر أولا، ثم عرض الله سبحانه النماذج

الخارجية لذلك ثانيا. قال الله تعالى: ﴿ نَبِيَّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ² ۝۴۹ وَأَنَّ

عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ³ ۝۵۰ ۚ ۖ ۝۵۱، ثم أتبع هذا التبشير والتحذير بقصص الأنبياء، قال

سبحانه: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ⁴ ۝۵۱ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ⁵ ۝۵۲

قَالُوا لَا نَوْجَلٍ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ⁶ ۝۵۳ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَنِيَ الْكَبَرُ فِيمَ

تُبَشِّرُونَ ⁷ ۝۵۴ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِطِينِ ⁸ ۝۵۵ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ⁹ ۝۵۶ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ¹⁰ ۝۵۷ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ

مُجْرِمِينَ ¹¹ ۝۵۸ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّهِمْ أَجْمَعِينَ ¹² ۝۵۹ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ

الْغَابِرِينَ ¹³ ۝۶۰ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ¹⁴ ۝۶۱ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ¹⁵ ۝۶۲ قَالُوا بَلْ

جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ¹⁶ ۝۶۳ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ¹⁷ ۝۶۴ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ

مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنِفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ¹⁸ ۝۶۵ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ¹⁹ ۝۶۶ ۚ ۖ ۝۶۷

¹ - سورة الأحقاف، الآية: 9.

² - سورة الحجر، الآيتان: 49، 50.

³ - سورة الحجر، الآيات: 51 - 66.

• بيان غواية الشيطان للإنسان، وعداوته الأبدية له والتحذير منها، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِي

ءَادَمَ لَا يَفْنَيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾¹، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر

الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير².

• بيان أن الهدف من إرسال الرسل هو تبليغ رسالة التوحيد، وفوق كل ذلك إقامة الحجة على

الناس. من ذلك ما ورد في عقب قصص الأنبياء من سورة الشعراء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾³.

• إبراز فضائل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وإظهار مكانتهم عند الله، وتخليد ذكرهم.

• مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، ومواجهتهم بما وقعوا من

التحريف والتبديل، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ

إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾⁴، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

¹ - سورة الأعراف، الآية: 27.

² - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 154.

³ - سورة الشعراء، الآية: 190.

⁴ - سورة آل عمران، الآية: 93.

لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ¹

● تمكين حقائق الإيمان والتوحيد في نفوس المتلقين وقلوبهم، وذلك من خلال أحداث بعض القصص.

4-2- الأبعاد التربوية:

● تثبيت فؤاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والدعاة من بعده، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا

نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ²﴾، فالقصص القرآني يثبت قلب الداعية حتى يواصل دعوته ويبلغ رسالته،

فطريق الأنبياء والرسل طريق جهاد وصبر، مخوف بالآلام والأحزان، ولكن النصر في النهاية لهم لأن ناصرهم الله، وهو نعم المولى ونعم النصير.

● تقوية ثقة المؤمن بربه، وتوكله عليه، عن طريق عرض بعض القصص المشتملة على المعجزات والكرامات، كما حدث مع لإبراهيم وذكرياء عليهما السلام حيث رزقهما الله الولد برغم كبر السن، وعقر الزوج.

● تربية الإنسان تربية روحية من خلال الإيمان بالغيب وما حدث للرسول والأنبياء من معجزات.

● تربية الإنسان على الإيمان بقدرة الله المطلقة، مثل قصة آدم، ومولد عيسى عليهما السلام وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها...

¹ - سورة المائدة، الآية: 15.

² - سورة هود، الآية: 120.

● تربية الإنسان على الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، كقصة ابني آدم، وصاحب الجنتين...

● الدعوة إلى التفكير وإعمال العقل، قال الله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، فالإمتاع إذا كان هدفاً للقصة مطلقاً.. فإن القصة القرآنية تضيف إلى متعة العين والأذن متعة العقل بالتفكير.. ومتعة القلب بالصبر والثبات.. على أن ينتهي ذلك كله بالعمل الصالح².

● تعليم الأدب والحوار والمناقشة مهما غلظ المجرمون الكفار، ولقد تجلّى ذلك في التوجيه الرباني لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام ﴿إِذْ هَبَّ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾³ ﴿إِذْ هَبَّا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾⁴³ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁴⁴.

4-3- الأبعاد الاجتماعية والتاريخية

● كشفت القصة القرآنية الصلة المتينة بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين إبراهيم عليه السلام بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة، "وذلك لأن القرآن الكريم نزل في مكة والمدينة، وكان فيهما أتباع كثيرون لهؤلاء الأنبياء، فالأحناف هم بقايا دين إبراهيم، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى هم أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، فالتركيز عليهم يكشف

¹ - سورة الأعراف، الآية: 176.

² - محمود محمد محمد عمارة: أصول الدعوة من قصة إبراهيم - عليه السلام -، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997، ص: 19.

³ - سورة طه، الآيات: 42، 44.

صلة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بدعواتهم، مما يسهل عملية تقبل الدين الجديد، كونه مصدقاً، لتلك الرسالات"¹.

● بيان السنن التاريخية في حركة المجتمع الإنساني، ومنها:

- سنة ارتباط تغيير الأوضاع الاجتماعية والحياتية للناس بتغيير المحتوى النفسي والروحي لهم.

قال الله تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ

بِذُنُوبِهِمْ ۖ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۖ﴾²، وقال في سياق القصص القرآني:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ۖ﴾³، وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ

بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ﴾⁴.

- سنة انتصار الحق على الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا ۖ﴾⁵، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ ۖ﴾⁶.

¹ - محمد كريم كواز: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، ص: 41.

² - سورة الأنفال، الآية: 54.

³ - سورة الروم، الآيتان: 41.

⁴ - سورة الأعراف، الآيات: 96.

⁵ - سورة الإسراء، الآية: 81.

⁶ - سورة غافر، الآية: 51.

- سنة الابتلاء وعموم الامتحان، قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا

كَذَّبْتُ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ إِصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ

فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي

فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبْرَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا

لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾^١، حيث جاءت في سياق بيان خلق الإنسان والنعم الإلهية، وختمت بقوله

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾^{٣٠}. فالقصاص القرآني يقول لنا -من خلال

السياق- إن الابتلاء هو سنة الله للمؤمنين ثم يقول إن الله هو الذي يضع المؤمنين في الابتلاء

بقدر منه.. ويضع الطغاة في موضع الغلبة بقدر منه، حتى إذا جاء أمر الله جاء النصر للمؤمنين

بقدر من الله، ووقع الهلاك بالمكذبين بقدر كذلك من الله^٢.

- سنة أن النصر الإلهي لا يتحقق إلا بعد التعرض للبأساء والضراء والصبر على البلاء. قال

الله تعالى في قصة الملاء من بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُمُ

مُبْتَلِيكُمْ بِهِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً

^١ - سورة المؤمنون، الآيات: 24-30.

^٢ - ينظر: محمد قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط7، 1993، ص: 112.

بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ۚ وَلَئِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾^١

هذه بعض الأبعاد التي من أجلها وردت القصة في القرآن الكريم، وهي غيظ من فيض، وحسب المتلقي أن يتدبر في الكتاب المسطور ليفتح الله من فيوض أسرارهِ وأنوارهِ، فيصل إلى كثيرا من المقاصد والأبعاد السامية.

^١ - سورة البقرة، الآيات: 249 - 251.

5- الخصائص* الذاتية للقصّة في القرآن الكريم

القصّة في القرآن الكريم وسيلة من وسائل إبلاغ الدعوة، لذلك كانت "قصّة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني أو ترفاً فنياً أو تأريخاً مجرد التأريخ أو سرداً مجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذّ في المتلقي فإنها صدق لا خيال فيه وحق لا زيف فيه"¹.

وقد انفرد الدكتور فضل حسن عباس في تقسيمه لخصائص القصّة القرآنية بتقسيم فريد مميز بالرغم من أنه من جملة من نقل عن الأستاذ سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن" الخصائص الفنية**، إلا أنه أضاف لها خصائص ذاتية.

وسنقتصر في هذا الفصل على الخصائص الذاتية بينما نترك الخصائص الفنية للفصل الثاني لتناسب ما سنعرضه هناك.

ذكر فضل حسن عباس في معرض حديثه عن الخصائص الذاتية للقصّة في القرآن الكريم ستة خصائص²، وهي:

أ- مصدر القصّة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه، فهي وحي من الله تبارك وتعالى.

* الخصائص: من الفعل: خصّ: التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصّص تفرد بعض الشيء بما لا يُشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمّم والتعميم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة البقرة: الآية: 105. (ينظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ "الراغب الأصفهاني": المفردات في غريب القرآن، ج1، ص: 198).

¹ - فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم "صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس"، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2010، ص: 43.

** - "لو جئنا نتحدث عن كتب في هذا الجانب -خصائص القصّة القرآنية- فإننا نجد أن أكثرهم قد اعتمد اعتماداً كلياً واضحاً ما ذكره الشهيد سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن"، فالعبارة هي العبارة، والكلام هو الكلام، والمثال أحياناً هو المثال". سليمان محمد علي الدقور: اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، ص: 62.

² - ينظر: فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص: 45-47.

- ب- المصدر الذي تستقى منه أحداث وشخصيات القصة هو الكون.
- ج- موضوع القصة القرآنية هو الإنسان المستخلف في الأرض.
- د- المتلقي الذي توجه له القصة القرآنية الإنسان؛ نوراً لعقله وتهذيباً لمسلكه.
- هـ- القصة القرآنية ليست عرضاً مجرداً لحقائق التاريخ، بل هي انتقاء لجوانب من التاريخ إيجابية أو سلبية.
- و- القصة القرآنية قصة هادفة وأهدافها لا تنفصل عن أهداف العقيدة والتشريع.
- وفيما يلي بيان تلك الخصائص.

5-1- مصدرها الرباني

فهي وحي من الله تعالى، لذا نجدها قصة هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي، لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشرعية، غير أنها تجمع إلى ذلك سمو الهدف، وراقي الشكل الفني.

ومن هذه الخصيصة نصل إلى مطابقة القصة للواقع، فهي واقع صادق كما القرآن كله، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾¹. فهي في أصل وضعها صادقة، بخلاف الأساطير والخرافات، ولأنها أخبار من عند الله المتزه عن الزيف، فهي حقيقة واقعية لا تعتمد على خيال، ولا تجنح إلى تمثيل، فمن أصدق من الله قيلاً.

5-2- الانتخاب من القصة بما يتناسب وأهدافه ومقاصده للعبرة والعظة

القرآن ليس كتاب تاريخ، فهو يختار لقطات حيّة من الوقائع التاريخية؛ بهدف أن يتدبر الناس فيها، ويأخذوا منها العبرة والعظة، فلا تجده يهتم بذات الشخص، ولا مكان الحادثة، ولا زمانها، بقدر اهتمامه بالدروس المستفادة من القصة.

¹ - سورة فصلت، الآية: 42.

والقصة القرآنية لا تذكر في الغالب بجميع مواقفها في موضع واحد أو سورة واحدة؛ بل يذكر بعضها في سورة، وبعضها الآخر في سورة أخرى، وهذا التقسيم والتوزيع مقصود لحكمة جليلة؛ فالله تعالى أراد بذلك أن يجعل القرآن كتلة واحدة، ومتزعاً واحداً. فنجد أن العناصر المألوفة في القصة من أحداث، وشخصيات، وحوار، وارتباط مكاني، وزماني لا تجدها مجتمعة في القصة القرآنية، ولا موزعه توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يخل بانعدامه توازن القصة، ذلك أن القصة القرآنية لها أهداف ومقاصد، توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث.

5-3- الإنسان المستخلف هو موضوع القصة القرآنية وهو نفسه المتلقي

فمحور القصة يدور حول الإنسان وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله من إيمان، تساق له القصة لتنير له دربه، وتهذب سلوكه، وما ينبغي أن يلتزمه من معتقدات وفضائل.

5-4- احتواؤها على المعجزات

فالذي يخبر عن المعجزة هو خالقها الذي يعلم كل خباياها، وظواهرها، وهو الذي يعلم جميع ما يكتنفها من ظروف مشاهدة للبشر أو مغيبة عنهم. وعرض القرآن للمعجزات في قصصه دليل على صدقه، ودقته في نقل الأحداث؛ لأن هذه المعجزات حصلت ونفذت في عالم الواقع، وهذه يتم عرضها بطريقة فنية مبدعه، بحيث لا تشعر أنك خرجت من نطاق الأحداث.

5-5- أنها من أنباء الغيب

أمّا غيوب الماضي في القرآن فكثيرة؛ تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التزييل؛ ولم يكن لعلم "محمد -صلى الله عليه وسلم-" بها من سبيل، وعادة ما تحتتم الآيات في أغلب هذه القصص بتذكير الله لنبيه الكريم بفضله بهذا القص الذي لم يعلمه هو، ومن ذلك قوله تعالى

في تعقيبه على قصة مريم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾¹ (44).

5-6- بث العظات والتوجيهات الإلهية في سياق القصة

للقصة القرآنية خاصية؛ أنها لا تدع القارئ يتفاعل معها، وينصرف بكل تفكيره، دون فواصل بين حلقاتها من العظات والعبر، التي تذكر القارئ بالمقصد الأساسي من قصتها، تارة في ثنايا القصة؛ فمثلاً في سورة طه أثناء عرض قصة موسى -عليه السلام-:

حيث يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾² (51) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى³ (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى⁴ (53).

وتارة في مقدمة القصة أو قبلها، وتارة تكون بعد ذكر القصة، وفيها توجيهات إلهية رائعة، ففي سورة يونس مثلاً، في أعقاب ذكر قصة نوح، وموسى وهارون مع فرعون: يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁵ (99).

ونلاحظ أن صيغة التعبير في القصة تُظهر الفعل الإلهي؛ فمثلاً في قصة أصحاب الكهف: ﴿فَأَوَّاهُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁶ (16). فبالعناية الإلهية تحيط بهم، وفي قوله

¹ - سورة آل عمران، الآية 44.

² - سورة طه، الآيات: 51-53.

³ - سورة يونس، الآية: 99.

⁴ - سورة الكهف، الآية: 16.

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾¹ بنسبة الفعل إلى الله تعالى، وبهذا يظهر التدبير الإلهي في الكون. وهذه الخاصية تميزت بها القصة القرآنية عن سائر القصص². ويضاف إلى هذه الخصائص خاصية أخرى هي:

5-7- الثبات

"الثبات في القصص القرآني يتمثل في مقوماتها الأساسية، فهي لا تتغير ولا تتبدل حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية؛ وهذا التغير في واقع الحياة محكوم بالمقومات والقيم الثابتة للمنهج الإسلامي، والتغير إنما هو تحرك داخل هذا الإطار الثابت المحكم"³، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴.

¹ - سورة الكهف، الآية: 21.

² - ينظر: أفنان محمد عدنان شريف الشيخ: القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس، ص: 22.

³ - محمد ناجي مشرح: الآفاق الفنية في القصة القرآنية "رؤية تربوية لإعداد الدعاة"، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992، ص: 30.

⁴ - سورة يوسف، الآية: 108.

6- الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي (الفني)

يختلف القصص القرآني عن القصص الأدبي الفني، وإن تلاقى في بعض الجوانب، إذ ليست الغاية من القصّة في القرآن تقديم عمل فني مستقل في موضوعه وأسلوبه، وليس الغرض منها ذكر أحوال الأمم السابقة للتأريخ، بل جاءت لتأدية غرض ديني هو التغيير الإنساني من الظلال إلى الهداية، ومن الظلام إلى النور، ومن الباطل إلى الحق، لذلك تجدد القرآن الكريم لا يعرض من هذا القصص إلا ما يخدم هذا الغرض.

6-1/ أوجه التشابه: نجد تشابهاً بين القصص القرآني والقصص الأدبي فيما يلي:

- بناء الشخصيات وتعريفها وعرضها بأسلوب البيان المباشر.
- التعبير عن سمات هذه الشخصيات بطريقة الحوار والحكاية وغيرها من الأساليب غير المباشرة.
- يدور القصص القرآني مثل القصص الحديثة حول شخصية رئيسية وتدعمها شخصيات ثانوية.
- يتشابهان في مسألة عاطفة الحب، وقد أصبح عنصر الحب جزءاً مهماً في القصص الحديثة والرواية المعاصرة. لكن القرآن يصور الحب العفيف الخالص كحب يعقوب ليوسف -عليهما السلام-، وحب زليخة ليوسف -عليه السلام-، وحب والدته موسى لموسى -عليه السلام-¹.

6-2/ أوجه الاختلاف: نجد اختلافاً بين القصص القرآني والقصص الأدبي فيما يلي:

- مصدر القصص القرآني هو الله سبحانه، أما القصص الأدبي فمصدر البشر.
- هدف القصّة في القرآن ديني بالدرجة الأولى، أما في القصص الأدبية فتختلف الأهداف بحسب قصدية المؤلف.

¹ - ينظر: محمد شفيق: الفن القصصي في القرآن ومكانته في القصص العربية، مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة، كيرلا، الهند، مج: 9، 2017، ص: 113.

- تختلفان في البنية، لأن قصص القرآن يصرح بمقدمات الرواية ونتيجتها كما نراها بوضوح في سورة يوسف، أما في القصص الحديثة لا نرى مقدمات صريحة تلفت انتباه قرائها.

- القصص القرآني واقعي، فهو لا يخلق شخصيات خيالية، ولا ينسب الأحداث إلى لأصحابها، أما شخصيات القصص الأدبي والروايات المعاصرة فلا أصل لهم في الواقع، فمؤلف يتخذ مادته من تجاربه ومجتمعه ولكن لا يصورها بتمامها بل يغير ويخلق شخصيات لا علاقة لهم بالأحداث.¹

- ليس القصص القرآني من ألوان الأقصوصة أو القصة أو الرواية أو الحكاية* بالمعنى لمواضع عليه، كما انها لا تحمل من العناصر الفنية ما حملها نقاد العصر الحديث.²

- إن القصص القرآن ينسج نظمه علي أسلوب الإيجاز ليكون شبهه بالتذكير أقوى من شبهه

بالقصص مثال ذلك قوله تعالي في سورة القلم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ (26) ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (27)

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَرَأَيْتُ لَكُمْ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ رَبِّنَا إِنَّا لَكُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (29) ³، فقد حكيت مقالته

هذه في موقع تذكيره أصحابه بها لأن ذلك محز حكايتها ولم تحك أثناء قوله: ﴿إِنَّا لَبَوْنَهُمْ كَمَا

¹ - ينظر: محمد شفيق: الفن القصصي في القرآن ومكانته في القصص العربية، ص: 114.

* - الأقصوصة: قصة قصيرة يسرد فيها الكاتب حادثة أو بضع حوادث، تكون على قصرها تامة ناضحة. / القصة: هي التي تتوسط بين الأقصوصة والرواية، وفيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما يعالج في الأقصوصة. / الرواية: فيها يعالج المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر، زاخرا بحياة تامة في مراحلها المختلفة. / الحكاية: هي سوق واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية، لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة. (ينظر: نورة بنت محمد بن فهد الرشيد: شخصية المرأة في القصص القرآني، ص: 31).

² - ينظر: محمد خير محمود العدوي: معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1988، ص:

³ - سورة القلم، الآيات: 26 - 29.

بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾^١ وقوله: ﴿فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾^٢.

- إن القصص القرآني اشتمل علي المعجزات والخوارق، ولا عجب في ذلك فكل رسول يبعثه الله لا بد له من معجزة تشهد علي صدقه. والإنسان عادة وخاصة في مرحلة نضجه الفكري يتأثر كثيرا بالمعجزات وخوارق العادات. لذلك كثيرا ما نجد قصص الأنبياء والرسل فيها حديث عن معجزة. فهذا نوح وسفينته تسبح في الطوفان وهذا إبراهيم وهو في وسط النار بعد أن جعلها الله بردا وسلاما عليه، وهذه المعجزات دليل قاطع علي حفظ الله ورعايته لرسله^٣. ونخلص إلى أن القصص القرآني يلتقي مع القصص الأدبية في بعض عناصر البناء كالشخصيات، والأحداث، والزمن، والمكان... ولكنه يمتاز عن القصص الأدبية بأهدافه الرفيعة، وأساليبه الرشيقة، فهو قصص يمزج بين الإمتاع الفني والإبلاغ النفعي.

^١ - سورة القلم، الآية: ١٧.

^٢ - سورة القلم، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

^٣ - ينظر: فاروق محمد عبد الرحمن: القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من شبهات، دار الأندلس للطباعة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: ٣٦، ٣٧.

الفصل الثاني

بنية السرد القصصيّ وبلاغته

في القرآن الكريم

1- مفهوم البنية السردية

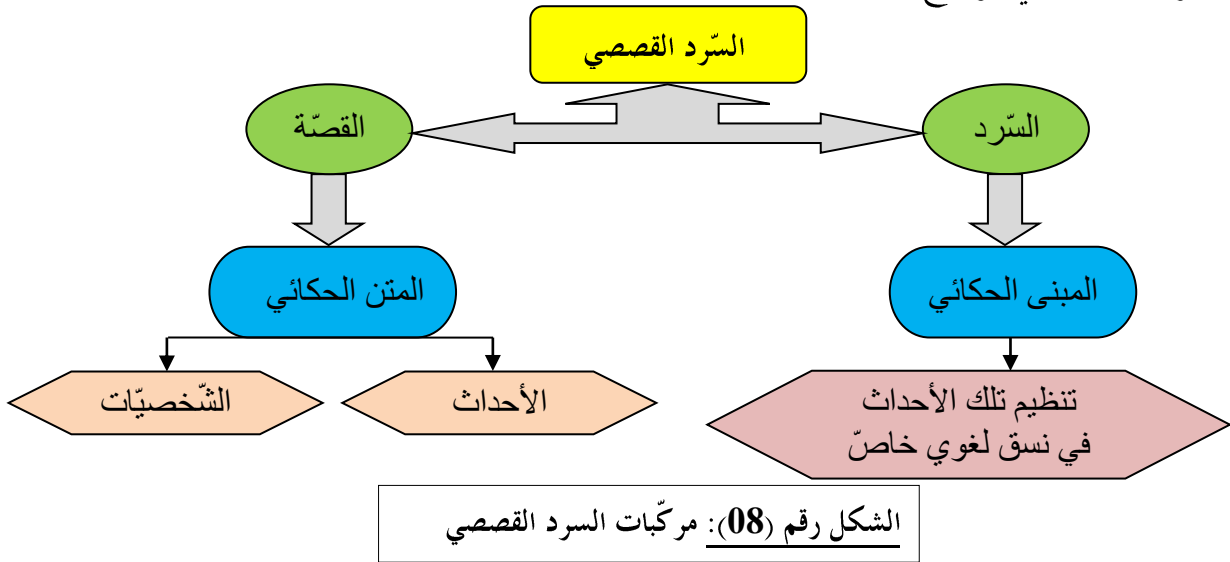
2- الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم

3- بلاغة اللغة السردية في القصص القرآنيّ

4- بلاغة تكرار السرد القصصي وأسواره في القرآن الكريم

السرد القصصي مصطلح مركب من مصطلحين متداخلين إلى حدّ يصعب دراسة أحدهما دون الآخر، هما: القصة (بمعنى المتن الحكائي) والسرد (بمعنى المبنى الحكائي) أمّا الأوّل فيتعلّق بالأحداث والشخصيات، وأمّا الثاني فيتعلّق بتنظيم تلك الأحداث في نسق لغويّ خاصّ.

والمخطط الآتي يوضح ذلك:



فالسرد القصصي حسب المخطط يتكوّن من مبنى حكائي ومتن حكائي في آن، فهو شكل ومضمون، شكل من حيث هو بناء الأحداث وفق نظام خاص، ومضمون من حيث هو الطريقة التي تروى بها القصة.

ولما كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية فإنّ بنيتها السردية جاءت متميزة، على نسق متفرّد لكي يتلاءم المبنى السردّي مع المقصد الشرعيّ الذي سيقت لأجله، لذلك نجد "من مميّزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص"¹ حتّى لا يغفل المتلقّي عن العبر والعظات التي سيقت القصة لأجلها.

¹ - عبد العزيز ثابت: مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني "دراسة تحليلية نقدية"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. سامي الكنان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013-2014، ص: 28.

فالبنية السردية في القصص القرآني تتماشى وفق ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحينما يبني القصة كلها بناء محبوك الأطراف موصول الأجزاء في تسلسل واتساق حتى تصل إلى خاتمته كالذي نجده في قصة يوسف عليه السلام، وفي كثير الأحيان يسرد من القصة بعض المشاهد التي تحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة دون سرد مفصل إذا كانت القصة معروضة مشهورة. وقد يتكرر مشهد من القصة في القرآن إذا استدعى المقام تكرار هذا المشهد.

وستتطرق في هذا الفصل إلى بنية السرد القصصي في القرآن وتركيبه الداخلي، كون القصص القرآني نصاً له مقاييسه الخاصة التي تجعل منه بناء متكاملًا.

وقبل التفصيل فيما يتعلق بنية السرد القصصي في القرآن الكريم، يحسن الوقوف عند مصطلح البنية بيانا وإيضاحا، لأن الألفاظ لها دلالات عامة في أصل وضعها، فإذا انتقلت إلى معناها الاصطلاحي أخذت دلالات خاصة، ولا بد من وجود علاقة بين تلك الدلالات.

1- مفهوم البنية السردية

1-1- البنية: structure

لغة: ورد في لسان العرب "البني: نقيض الهدم... والبناء: المبني، والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع... قال الجوهري: والبني بالضم مقصور، مثل البني، يقال: بُنية وبُني، وبنية وبني"¹، "وبنية الشيء في اللغة العربية هي تكوينه، وهي تعني أيضا الكيفية التي شيّد على نحوها هذا البناء أو ذاك"².

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مج1، ج3، ص: 365. مادة (بني).

² - عبد الوهاب جعفر: النبوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1989، ص:

وقد فرّق الفيروز آبادي بين البنى بالضّمّ والبنى بالكسر فقال: "جعلوها بالكسر في المحسوسات وبالضّمّ في المعاني والمجد"¹.

فمفهوم البنية لغة لا يخرج عن كونها بناء الشيء على هيئة منسجمة، والتي تنتج عن ترابط أجزائه الداخلية وتناسقها. ويعني كذلك المكونات التي يقوم عليها البيت، ومنه انتقلت إلى الأشكال السردية.

اصطلاحاً: تعددت مفاهيم البنية لدى الباحثين، فمنهم من يرى "أنها نظام أو نسق من المعقولة، فليست البنية هي صورة الشيء، أو هيكله، أو وحدته المادية، أو التصميم الكلي الذي يربط أجزائه فحسب، وإنما هي أيضاً القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته"²، فهي بذلك "شبكة العلاقات الحاصلة بين المكونات العديدة للكل، وبين كل مكون على حدة والكل"³، ومنهم من يرى أنها "نظام من العناصر المحققة فنياً والموضوعة في تراتبية معقدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على بقية العناصر"⁴، فالبنية من خلال هذه التعريفات هي مجموع الروابط والعلاقات التي تجمع العناصر المكونة للكل وبيان تأثير تلك العناصر في بعضها من جهة وتأثيرها في الكل من جهة أخرى، حيث "يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها، أن يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى"⁵، "ومعنى هذا أن بيت القصيد -في كل بنية- إنما هو

¹ - مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1998، ص: 1264. (الهامش). باب الواو والياء.

² - فاطمة قطب مصطفى معوض: البنية الزمكانية في القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية، جامعة أسيوط، مصر، ع: 41، ج: 02، أكتوبر 2022، ص: 919.

³ - جيرالد بيرنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 191.

⁴ - لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص: 37.

⁵ - زكريا إبراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على "البنوية"، مكتبة مصر، مصر، د.ط، د.ت، ص: 31.

وحدة تنوعها أو تغيراتها المتفاضلة"¹ " التي لا تخرج عن حدود نسق البنية أو تستعين بعناصر خارجة عنه.

فالبنية هي ذلك النظام المتسق الذي تحدد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلاقات، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل².
ويتميز هذا النظام -حسب جان بياجيه JEAN Piaget- بخصائص³ هي:

- الجملة (الكلية): وهي أن "البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، بل تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق (...). وليس المهم في البنية هو العنصر أو الكل الذي يفرض نفسه على العناصر، وإنما المهم هو العلاقات القائمة بين العناصر"⁴، فهي "تعني اتساق وتناسق البنية داخليا أي أنّ وحدات البنية تتسم بالكمال الذاتي، وليست مجرد وحدات مستقلة جمعت معا قسرا وتعسفا بل هي أجزاء تتبع أنظمة داخلية من شأنها أن تحدد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها"⁵، أي ما يصطلح عليه بالبناء أو التأليف في إطار النظام (النسق) نفسه.

¹ - زكريا إبراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على "البنوية"، ص: 33.

² - ينظر: جمال شحيد: في البنيوية التكوينية "دراسة في منهج لوسيان غولدمان"، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، د.ط، 1986، ص: 06.

³ - ينظر: جان بياجيه: البنيوية، تر: عارف منيمه ويشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985، ص: 08.

⁴ - المرجع السابق، ص: 30.

⁵ - ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي "إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص: 70.

• التحوّلات: هي أن "الجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنة التي تحدث داخل النسق"¹، بمعنى أن "البنية غير ثابتة وإنما هي دائمة التحوّل وتظل تولّد من داخلها بنى دائمة التوثب. والجملة الواحدة يتمخض عنها آلاف الجمل التي تبدو جديدة، مع أنّها لا تخرج عن قواعد النظم اللغوي للجمل"²، وهذه خاصية مهمة إذ لا يمكن أن تظل البنية في حالة سكون مطلق، بل تقبل التحوّلات والتغيرات في إطار النسق.

• التنظيم الذاتي: هو أن "في وسع البنيات تنظيم نفسها بنفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويكفل لها المحافظة على بقائها"³، فالبنية تنظم ذاتها وفقا لقواعد معينة خاصة بنسقتها وسياقها اللغوي، "فهي لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها"⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النقد العربي القديم قد عرف مصطلحات تتقاطع إلى حد كبير مع مصطلح (البنية) بمفهومه الحديث، من ذلك:

-التأليف، السبك: مصطلحان ذكرهما الجاحظ (ت 255 هـ) في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان"، يقول في هذا الباب: "والصوت آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"⁵، ويقول في موضع آخر: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، [والمدني]. وإنما الشأن في

¹ - ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص: 31.

² - عبد الله الغدامي: الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشرّحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006، ص: 32.

³ - زكريا إبراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على "البنيوية"، ص: 31.

⁴ - المرجع السابق: ص: 32.

⁵ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998، ج1، ص: 79.

إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء]، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضربٌ من النسيج، وجنسٌ من التصوير"¹، فالكلام حسب الجاحظ لا يكون حسناً إلا إذا كان منسجماً التأليف والبناء، جيد السبك تجمع بين عناصره علاقة لفظية ومعنوية.

-النظم: مصطلح اكتمل نضجه مع عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ) الذي جعله "نظيراً للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض"²، وهو عنده "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض"³، فالنظم بهذا المعنى بناء الكلام مع مراعاة اتساق التركيب وانسجام المعنى.

-التركيب: مصطلح ذكره السكاكي (ت 626هـ) عند تعريف مصطلح "النحو"، يقول: "اعلم أن النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض"⁴. فالبنية حسب ما رمى إليه السكاكي هي طريقة تركيب الكلام لتحقيق المعنى المقصود، وذلك وفق قواعد تمنع اللسان من الوقوع في الخطأ، بينها السكاكي في كتابه مفتاح العلوم تحت عنوان:

¹ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ج3، ص: 131، 132.

² - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 49.

³ - المصدر نفسه، ص: 04.

⁴ - محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 75.

"علم خواص تركيب الكلام"¹، فقد عرض جملة من المسائل التي تتقاطع مع ما ذهب إليه النقاد المعاصرون في حديثهم عن "البنية"، غير أنه لم يوظف هذا المصطلح حرفياً.

1-2- البنية السردية

لقد اخترنا مصطلح (البنية) في عنوان الفصل، نظراً لاتساع هذا المصطلح فهو "يضم داخله مجموعة متشابكة من العناصر والعلاقات التي تشكل الدلالة"² ولا يمكن فصلها عن المضمون، ذلك أن "الشكل الأدبي ليس وعاءاً للتجربة، ولكنه التجربة ذاتها وقد تشكلت بهذا النسق المعين، ومن هنا فإنّ الشكل نفسه رؤية وموقف ومضمون"³، ولهذا نجد أن "النهج السليم في النقد يؤسس على النظر في كيفية القول الأدبي أولاً لإدراك مضمونه ثانياً"⁴ لأن الاندماج الفني بين المبنى والمعنى هو السبيل لإدراك كنه الأديبة.

أخذ مصطلح البنية السردية مفاهيم مختلفة تبعا للتيارات النقدية المتنوعة، "فالبنية السردية عند فورستر [Forster] مرادفة للحبكة، وعند رولان بارت [Roland Barthes] تعني التعاقب والمنطق أو التتابع والسببية أو الزمان والمنطق في النص السردى، وعند إدوين موير [Edwin Muir] تعني الخروج عن التسجيلية إلى تغليب أحد العناصر الزمانية أو المكانية على الآخر، وعند الشكلايين تعني التغريب"⁵. في حين ربط بعض النقاد البنية السردية للنص أساساً بالمستوى التركيبي، أو ما نعتة "غريماس Greimas" في نظريته السيميائية بالبنيات السطحية

¹ - ينظر: محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 433 وما بعدها.

² - هاشم ميرغني: بنية الخطاب السردى في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، السودان، ط1، 2008، ص: 08.

³ - المرجع نفسه، ص: 08.

⁴ - الحبيب شبيل: من البنية إلى المعنى "المقامة المضيرية"، مجلة الآداب، بيروت، لبنان، ع: 1-3، 01 يناير 1990، ص: 66.

⁵ - عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط3، 2005، ص: 18.

وهي مجموعة من القواعد التي تعمل على تنظيم المضامين الثقافية القابلة للتجلي في أشكال خطائية خاصة¹، "وفي غياب هذه القواعد الضمنية، سنكون أمام سلسلة من الأحداث التي تملأ مساحة فضائية، ولكنها غير قادرة على صنع نص سردي منسجم"²، وتلك القواعد هي التي تجعل النص السردى محكما أسلوبا وبناء ودلالة.

ويعرفها سعد العتاي بأنها "منظومة متكاملة من العلاقات والوشائج الداخلية، التي تنظم آلية اشتغال المكونات الروائية"³. وقد ذكر العتاي أهم الاتجاهات التي عنت بتعريف البنية السردية، وسنوجزها باختصار في:

- الاتجاه الأول: يعد البنية السردية هي الحكاية، أي نظام بناء أحداث الرواية.
- الاتجاه الثاني: يرى أن البنية السردية تمكن في إعادة تتابع ما حدث زمنيا، وتحديد دور الراوي في مثل هذا التتابع الزمني ومتغيراته.
- الاتجاه الثالث: يوسع مفهوم البنية السردية ليشمل الرواية والمسرح والسينما، وكل أشكال التعبير التي تعد متماثلة بشكل أساسي في متونها إلا أنها تختلف من حيث أسلوب المتن، فهي تعالج الخطاب السردى بوصفه تقنيات موظفة في السرد لنقل تلك العناصر إلى القارئ.
- الاتجاه الرابع: يقتصر على معالجة العناصر المتفردة في السرد مثل: الراوي، والزمن، والمروي له⁴.

¹ - ينظر: رشيد سلطاني: البنية السردية والدلالية في الشعر الأيوبي "ابن سناء الملك أنموذجا"، مجلة المدونة، جامعة البليدة2، الجزائر، مج08، ع04، ديسمبر 2021، ص: 4196.

² - سعيد بنكراد: السيميائيات السردية "مدخل نظري"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2001، ص: 88.

³ - سعد العتاي: البنية السردية للقصص، الموقع الإلكتروني: <http://www.almoltaqa.com> نقلا عن: حصّة

المنصوري: مقاربات سردية، دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، د.ط، 2021، ص: 25.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

ولبنية السرد مفهومان: الأول تقليدي يراها نتاج تخطيط مسبق فيدرس تركيبها وعناصرها (الشخصية، الحدث، الحوار، المكان، الزمان، الحبكة) ووظائف هذه العناصر والعلاقة القائمة بينها¹، والآخر حديث ينظر إلى تقنياتها القصصية فيحاول تحليل أساليبها الفنية - زوايا النظر فيها، وطريقة الحكاية²، فهو يجتاز الحدود الفاصلة القديمة بين المواد (العناصر) التي تشكل النص السردى

وبنيتها التي هي طريقة تركيب تلك العناصر بكيفية تكسب بها فاعليتها الجمالية، لأنّ البناء أو البنية في مفهومه الحديث "يتضمن كلا من المضمون والشكل بالدرجة التي يدخلان بها في نسق له هدف جمالي"³ يجمع بين الإمتاع والإقناع.

وهذه البنية هي بمثابة النموذج المتحقق في بنية النص السردى، وهو ليس مجموعة قواعد ثابتة بل هو نموذج مرن "ينشأ غالبا من عاملين اثنين: نوعية المادة المكونة لكل بنية، ثم المعالجة الفنية لهذه المادة، وهو نموذج لاحق لإنجاز الأعمال الأدبية نفسها، وليس سابقا عليه"⁴.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف البنية السردية بأنها تناسق أجزاء السرد، وتنظيم مادته، وترتيب فقراته، أي أنها تقوم بتشكيل بنية المرويات⁵. فهي تعنى "باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجّه أبنيتها، وتحديد خصائصها وسماتها"⁶.

¹ - ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص: 37.

² - ينظر: رنيه وليك وأوستن وآرن: نظرية الأدب، تعر: عادل سلامة، دار المريح للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1992، ص: 192

³ - المرجع نفسه، ص: 193.

⁴ - عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، ص: 18.

⁵ - ينظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، مج2، ص: 08.

⁶ - علي أحمد عمران: البنية السردية في رواية "دعاء الكروان" لطف حسين، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، مج2، ع2، ديسمبر 2020، ص: 144.

ولما كانت كذلك "فقد اتجهت عنايتها إلى الخواص الأدبية لذلك الخطاب على مستوى الأقوال والأفعال، فالمادة الحكائية متن مصوغ صوغاً سردياً، وهي خلاصة تمازج العناصر الفنية الأساسية: الحدث، والشخصية، والخلفية الزمانية - المكانية، بوساطة السرد"¹.

من خلال ما تقدّم نخلص إلى مدى ارتباط السرد القصصي في القرآن بالبناء أو البنية لكونه ينهض على مجموعة من العناصر التي تترابط لتشكيل بنيانه المكتمل و تتضافر لتحقيق فرادته الأدبية، وأنّ بنية السرد القصصي في القرآن ترتبط أساساً بلغة السرد التي تقوم على مجموعة من الخصائص الفنية.

¹ - عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، مج 1، ص: 14.

2- الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم

قبل عرض الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم نشير إلى أن بعض الدارسين ينكرون نعت القرآن الكريم ووسم ما تعلق بأساليبه وتراكيبه بمصطلح (الفنية) ومشتقاته، ولعل مرد الأمر إلى ما يعنيه مصطلح (الفن)، لذلك رأينا أن نعرض معنى هذا المصطلح درءاً للبس.

إذا ما نظرنا في تعريفات الأدباء لهذه المادة نجدها كلها تدور "حول الجمال، والدقة، وحسن العرض والأداء"¹، فهو "جودة العرض، وحسن السبك، وجمال الأسلوب، وقوة العاطفة، ونشاط الخيال"² ومن ثم كان "الجمال الفني، تصوير جميل لشيء"³ يعلق بالقلب.

ولإدراك الخصائص الفنية لنص من النصوص نحتاج إلى "أداة التذوق، إذ هي مناط الإدراك، ونصقلها بالتهذيب والتربية، وننميها بالمران والممارسة، ونحملها بالراقي العقلي والفكري"⁴، وهنا تتفاوت درجات الناس في إدراكهم للقيم الجمالية والخصائص الفنية، فيختلف في ذلك الناقد والإنسان العادي، إذ لا يكتفي الأول بالنظرة العابرة؛ بل تفرض أداة التذوق لديه التأمل والتنقيب عن سر الجمال ومبعث تلك اللذة، في حين يكتفي الثاني بذلك الإحساس الجميل دون أن يحدد مبعث تلك اللذة أو الشعور، لذلك نجد أن "الفن ليس إنتاجاً للجمال في أي عمل فني، وإنما إظهار لوجوده، وكشف للستار عنه، وعرضه أمام الناظرين يتذوقونه"⁵.

¹ - عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، مج 1، ص: 17.

² - صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ص: 86.

³ - أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث "أصوله واتجاهاته"، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط 2، 1981، ص: 77.

⁴ - محمد الصادق عفيفي: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي "مدارسه، طرائقه، قضاياها"، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط 1، 1971، ص: 28.

⁵ - صلاح عبد الفتاح الخالدي: المرجع السابق، ص: 85.

أما عن الفن في القرآن فإننا نجد سيد قطب يرد على منكريه ومن يصرفون معنى الفن "إلى الخيال الملفق، والابتداع الذي لا يسنده الواقع، والاختراع الذي يخرج على المعقول"¹. ويجهز قائلًا: "الفن في القرآن: إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وقوة في الأداء. وشيء في هذا كله لا يقتضي أنه يعتمد الخيال والتلفيق والاختراع. متى استقام التفكير وصحت الأفهام!"²، فالقرآن الكريم وظف لغة الجمال الفني للتأثير الوجداني وتحقيق الغرض الديني.

إنّ خضوع القصة القرآنية للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، فالتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد، ويجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية³. ومن جملة الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم:

2-1- التنوع في طريقة عرض الأحداث: ففي القصص القرآني أربع طرق للابتداء في عرض القصة هي:

أ- ذكر ملخص القصة، ثم عرض تفصيلاتها بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، كقصة أصحاب الكهف في سورة الكهف.

حيث افتتحت القصة ببيان إنزال الكتاب قيما غير ذي عوج، وتصبير الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعدم إيمان بعض الناس بدعوته. قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ

¹ - سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط16، 2006، ص: 266.

² - المرجع نفسه، ص: 272.

³ - ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 143.

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ^١ قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ^٢ ۝^١

ثم تأتي مقدمة قصة أصحاب الكهف التي أجملت قصتهم، بلجوئهم إلى الكهف، ونومهم سنين، وبعثهم ويقظتهم، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ -إِبْتِنَا عَجَبًا ۖ ^٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ^{١٠} فَضَرْبَنَا عَلَىٰ عِزَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ^{١١} ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ۖ ^{١٢} ۝^٢

بعد هذه المقدمة التي تضع المتلقي أمام صورة إجمالية، ينتقل القرآن إلى بيان مجريات القصة، من الآية 13 إلى الآية 27.

ب- ذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، مثل قصة موسى -عليه السلام- في سورة القصص.

ج- ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، مثل قصة سليمان -عليه السلام- مع النمل والهدد وبلقيس.

د- يحيل القصة تمثيلية، فيذكر من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع الشخصيات تتحدث عن نفسها.³

¹ - سورة الكهف، الآيات: 01 - 02.

² - سورة الكهف، الآيات: 09 - 12.

³ - ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 180 - 183.

2-2- تنوع طريقة المفاجأة: فمرة يكتف سر المفاجأة عن البطل وعن القارئ حتى يكشفها لهما معا في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح في سورة الكهف. قال الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْزًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ٨٢ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٢

وفي أخرى: يكشف السر للقارئ ويترك أبطال القصة عنه في بحث، يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون هذا في معرض السخرية، ومثاله ما نقف عليه في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ٢١ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ ٢٢ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ٢٤ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٥ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٦ فَالْمُتَلَقِي ٢٧، فالمتلقي من خلال نص القصة يعرف ما صار بالبستان، إذ أحرق ولم يبق من

¹ - سورة الكهف، الآيات: 79 - 82.

² - سورة القلم، الآيات: 17 - 27.

ثمره شيء، أما أصحابه فلم يكونوا على علم بذلك، وعندما أصبحوا كانوا يكتُمون أمرهم ويتكلمون بصوت خافت، كنا -نحن المتلقين- نعلم ما لم يعلموا، إلى أن انكشف الأمر لهم. وفي الثالثة: يكشف بعض السر للقارئ وهو خاف عن البطل في موضع، وخاف عن القارئ وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة، مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة عين، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان -عليه السلام- في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ﴾¹ هذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً.

ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير، ظلت خافية عنا وعننا حتى فوجئنا بعرشها معا حين ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ﴾²

وفي رابعة: لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته، وذلك كمفاجأة قصة مريم -عليها السلام-³، بالروح الأمين في هيئة رجل، فتقول: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝۱۸﴾⁴ فيخبرها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝۱۹﴾⁵، ثم فوجئ المتلقون معها عندما جاءها المخاض:

¹ - سورة النمل، الآية: 42.

² - سورة النمل، الآية: 44.

³ - ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 183-187.

⁴ - سورة مريم: الآية: 18.

⁵ - سورة مريم، الآية: 19.

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۝٢٣﴾

فَنَادِيَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾¹.

2-3- حذف* مشاهد من القصة: القرآن الكريم لا يسرد كل وقائع القصة وأحداثها إلا ما يوافق الغرض الذي سيقى لأجله والسياق الذي ترد فيه، "فمن خصائصه أنه يحتاج إلى كثير من البيان حتى يكمل بناء القصة. وتؤدي غرضها الجمالي والأخلاقي. لذلك كانت القصة ميدانا للاختصار والحذف. وفي حاجة ماسة إلى التركيز والإجمال. وكذلك جاء القصص القرآني"².

ولعل حذف بعض المشاهد من القصة يزيد من جمالية السرد القصصي، ويحمل القارئ على المشاركة في البناء القصصي، ويعدّ "هذا كله تنشيطاً لخياله وتحريكاً لوجدانه، فيظل مأسوراً لما يقرأ أو يسمع ماضياً على هوى نفسه، وقد استمتعت نفسه بكل مزايا الفن الجميل، مؤمناً بما يهدف إليه القصص القرآني من مثل عليا وآداب رفيعة، وذلك لأن القرآن يحيل الجمال الفني أداة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"³. ولذلك كان حذف

¹ - سورة مريم، الآيتان: 23 - 24.

* - **الحذف:** نوع من أنواع الإيجاز والاختصار وهو حذف فضول الكلام والتعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، للاحتذاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. (ينظر: أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني: التّكت في إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطابي والجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ص: 76).

² - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ج2، ص: 66.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص: 78.

بعض المشاهد من القصة في القرآن الكريم "أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب"¹، ويوسع مجال الأحاسيس والمشاعر أمام المتلقي.

ومن ذلك ما جاء في قصة يوسف -عليه السلام- في سورة يوسف، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿80﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿81﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿82﴾﴾². "وهنا يسدل الستار ويظهر مشهد آخر، لا في مصر، ولا في الطريق، ولكن أمام بيت أبيهم وقد اخبروه بمآل أخيهم دون التصريح به في القصة، في المشهد الجديد، يظهر أبوهم"³، وهو يقول: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿83﴾﴾⁴. ثم يظهر إخوة يوسف في مصر أمامه في مشهد تابع، "وهناك حوادث أغفلت، بين مجيئهم من مصر ثم عودتهم إليها"⁵

¹ - التكت في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرَّمَّاني، ص: 77.

² - سورة يوسف، الآيات: 80-82.

³ - محمد كريم الكوازي: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، ص: 62.

⁴ - سورة يوسف، الآية: 83.

⁵ - المرجع السابق، ص: 62.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُتْرَ وَجِئْنَا بِضَلَعٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾¹ (88)

وحذف مشاهد من القصة ميزة في القصص القرآني إذ يجد المتلقي "قصصه لا تلتزم بالتسلسل الطبيعي للأحداث، إنما تنتقل من مشهد إلى مشهد، ومن حدث إلى حدث، بل من زمان إلى زمان بحسب اقتضاء السياق"². وبذلك يتابع سردها بوعي، ويتفاعل معها.

2-4- أصالة أسلوب القصص القرآني ورصانته: فالتأمل لأسلوب القصص القرآني يجد أنه

يثير في السامع أو القارئ كثيراً من الانفعالات، ويحرك فيه شتى العواطف والمشاعر، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها، وذلك لما تتمتع به الأسلوب في القصة من الرصانة والأصالة، بحيث تستهوي المتلقي وتشده إلى درجة أن يظل موضوعها حياً في تفكيره، عالماً في ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة.

ومما يمنح أسلوبها هذه الأصالة والرصانة ما يلاحظ في أفكارها من العمق والتنوع، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه، كما تتناول قضايا غيبية كالبعث والثواب والعقاب، بالإضافة إلى تناولها جوانب حية من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه بجوانبها المتعددة.

2-5- الاهتمام بالجانب القيمي والبعد التربوي: ونعني بذلك ترفع القصة عن قيود الزمان

والمكان وعن الاهتمام بتصوير الشخصيات -إلا فيما يرتبط بالجانب التربوي- لتستوعب القصة الموضوع كله وتبقى آثارها حية حتى بعد فناء الشخصيات.

2-6- الالتزام: الالتزام في الأدب يعني أن يسير الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في

المجتمعات الإنسانية من خلال الدعوة إلى تثبيت الأخلاق الفاضلة، ونبذ الأخلاق الذميمة، ولقد

¹ - سورة يوسف، الآية: 88.

² - محمد كريم الكوازي: القصص القرآني "محاضرات جامعية، ص: 63.

تجلى هذا المعنى بوضوح في مضمون القصص القرآني وفي طريقة سرده، "فالقصة القرآنية هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت بالالتزام، كما عملت على تحديد رسالة الأدب بمعناه الإنساني الذي يفهم الأدب على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعو الناس كلهم إلى الخير"¹.

2-7- دقة الإيجاز والابتعاد عن الإطناب: فمشاهد القصص القرآني موجزة، تتجلى في نظم متماسك خالٍ من أي نوع من أنواع التعقيد والإطناب، بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعب ذهني، وكل ذلك لتحقيق الغرض الديني.

2-8- حسن الصياغة والبعد عن التكلف: فالسرد القصصي في القرآن زاخر بالحياة والقوة التي تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية؛ نظراً لما يتمتع به من حسن وتنوع في الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض المشاهد، بعيداً عن التكلف في التحسين اللفظي الذي لا طائل تحته.

2-9- الاعتماد على التصوير: فقد اعتمد كثير من القصص القرآني على التصوير الذي يبعث جواً من الحياة في ثنايا القصة بحيث تجعل المستمع والقارئ يتخيل مشاهد القصص كما وقعت فتوقع في قلبه التأثير كأنه يراها رأي العين، وقد برز التصوير في القصص القرآني في ثلاثة أنواع:

- أ- تصوير المشاهد والمواقف. وهذا النوع كثير جداً، وهو الغالب من أنواع التصوير.
- ب- تصوير العواطف والانفعالات: ويتجلى هذا التصوير في إبراز هذه العواطف وتلك الانفعالات من خلال سلوك الشخصية ومواقفها من الأشياء، ومواجهتها للأحداث.

¹ - أحمد أبو سعد: فن القصة، دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، د.ط، 1959، ص: 68.

ج- تصوير الشخصيات: حيث نجد أن القصة في القرآن الكريم تحاول أن تضع أمامنا معالم الشخصية التي تتحرك في أثناء القصة، أو تشارك في صنع أحداثها، فترسم لنا نوعية الشخصية من خلال العرض القصصي.¹

2-10- الاستئناس أحيانا بلفظة من البيئة التي تجري فيها أحداث القصة: وذلك ينقل القارئ أو السامع زمنا ومكانا فتتضح الصورة وتتجسم الأحداث.²

2-11- الجمع بين الإمتاع والإقناع: القصص القرآني لا يهتم بالعاطفة دون العقل إنما هو يجمع بين بُعدين أساسيين: البعد النفعي والبعد الجمالي، من خلال خصوصياته الفكرية والفنية. هذه العناصر تقودنا إلى الحديث عن بلاغة اللغة السردية في القصص القرآني، وفيما يلي تفصيل ذلك.

¹ - ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 190 - 199.

² - محمود السيد حسن مصطفى: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1981، ص: 109.

3- بلاغة اللغة السردية في القصص القرآني

القرآن الكريم كلام الله المعجز، ومن أوجه إعجازه: بيانه وبلاغته، إذ عجزت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فقد ارتقى القرآن الكريم أعلى درجات اللغة في بعدها الفني الذي تتحاكم إليه النصوص، مما اوجب علينا النظر في بلاغة اللغة السردية في القصص القرآني، ومن أوجه إعجاز لغته وبلاغته¹:

- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، فللقرآن "أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"².

- الجزالة* التي لا تصحّ من مخلوق بحال.

- نظم القرآن و"التناسق العجيب في اختيار اللفظ المناسب لحسن الجوار بين الكلمات القرآنية"³.

"قال ابن الحصار*: وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية.

¹ - ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ج1، ص: 116، 117.

² - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص: 35.

* - جزالة اللفظ هي قوة فيه ومتانة، و"كلام جزل: قوي شديد. واللفظ الجزل: خلاف الركيك". (ابن منظور: لسان

العرب، مج1، ج6، ص: 618).

³ - سامح عبد الفتاح القليبي: إعجاز التكرار في قصص القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 2018، ص: 13.

** - ابن الحصار: هو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية، أبو المطرف، القرطبي المالكي، ابن الحصار، لم يكن في وقته مثله. توفي سنة 422هـ. (ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء،

تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ج17، ص: 473-

475).

وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر¹. والمتأمل في السرد القرآني يجد لغته تشع بجمالية الأسلوب الذي صيغت به تراكيبها، ونظمت به تعابيرها، فازدادت بذلك بلاغة اللغة السردية في القصص القرآني جلاء وبياناً، وقد استوقفت براعة السرد والصياغة في الخطاب القصصي القرآني المفسرين، فساروا يبحثون عن المزية التي انفردت بها لغة الحكيم القرآني، والتي لا تخرج عن خصائص الأسلوب القرآني ككل. ويعد الحذف، والتقديم والتأخير، والالتفات والتصوير سمات أسلوبية بارزة طبعت لغة السرد القصصي في القرآن الكريم، وهي سمات جزئية ضمن وجه الإعجاز البياني القرآني العام. من أجل ذلك سنورد نماذج من آيات القصص في القرآن، ونعمل على تحليلها لنرصدها هذه السمات الثلاثة، ونبين بلاغتها التي تخدم السرد القرآني في بعده: الإمتاع والإقناع.

3-1- بلاغة الحذف في القصص القرآني

الحذف لغة: جاء في المعاجم اللغوية: "حذف الشيء: إسقاطه، ومنه حذفت من شعري، ومن ذنب الدابة؛ أي: أخذت"².

الحذف اصطلاحاً: يرتبط بمعناه اللغوي، إذ يعرفه الزركشي بأنه: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"³. وجاء تعريفه في معجم المصطلحات بأنه "إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، ج1، ص: 117.

² - ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص: 40. مادة (حذف).

³ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 685.

هذه الكلمة ركنًا من أركانها: كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل، وقد تكون حرفًا، وقد تحذف الجملة¹.

ويعرفه أحد الباحثين المعاصرين بأنه: "إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويًا؛ لسلامة التراكيب، وتطبيقًا للقواعد، ثم هي موجودة، أو يمكن أن توجد في مواقف لغوية مختلفة"². فالحذف إسقاط عنصر من عناصر النص -أساسي أو فضلة- مع وجود دليل.

ولقد آثرنا البحث في الحذف لأنه من الأساليب التي قد تخل بالمعنى إذا أسيء توظيفها، ولكنه في القرآن الكريم ميزة أسلوبية، لأنه "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيان إذا لم تُبين"³، فهو ليس عجزا عن الكلام والإبانة بل دليلا على تمام البيان والبلاغة.

والحذف ظاهرة يهتم بها النحو المحتد بمعيار الوضع من زاوية المبنى (اللفظ)، والبلاغة من زاوية المعنى، وسنقف في هذا المقام على البعد البلاغي للحذف، لأنه يطرح من التعددية لمسالك المعنى ما لا نهاية له، باعتباره السيد في عملية التواصل، وإذ ذاك يحضر المتلقي في العملية

¹ - محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص: 101، 102.

² - علي أبو المكارم: الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2008، ص: 200.

³ - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 146.

التواصلية حضوراً متميزاً قائماً على التفاعل، فيجتهد متأولاً للوصول إلى المعنى والقبض على المزية¹.

ومن بين الفوائد التي يحققها الحذف ما يلي:

- الاختصار وإيجاز الكلام، يقول جعفر بن يحيى البرمكي* حاثاً كتابه على الإيجاز "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقعات فافعلوا"².
- الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر³، إذ أن المخفي يحمل طاقة إيحائية تقوم مقام الأداة الإجرائية التي تثري المعنى⁴.
- إثارة المخاطب ودعوته إلى التفكير في الخطاب لمعرفة الجزء المحذوف، ومن ثم الوصول إلى المعنى وعندئذ تكون "زيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشد وأحسن"⁵.

¹ - ينظر: زروقي عبد القادر: الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت "قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم"، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ع: 7، مج: 2، سبتمبر 2014، ص: 11.

* - هو أبو الفضل جعفر بن يحيى ابن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد وزوج أخته "العباسة"؛ كان عالي الهمة نافذ الأمر بعيد الهمة، وكان من ذوي الفصاحة والمشهورين بالبلاغة. ت سنة 187هـ. (ينظر: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1978، مج: 1، ص: 328-336).

² - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، تح: علي محمد البحايي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1952، ص: 173.

³ - محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 265.

⁴ - زروقي عبد القادر: المرجع السابق، ص: 12.

⁵ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 686.

• تحقيق كثير من الغايات المعنوية في نفسية المتلقي، ترغيب، إعظام، تفخيم، إههام فـ "رُبَّ صمت أفصح من الكلام، ورمز ألم من لدغ الحسام"¹، نظراً لما في الإههام والإيهام من التفخيم والإعظام، فالنفس مع الكلام المحذوف "تتسع في المعاني والصور المحتملة التي يمكن حمل الكلام عليها، أو يوحي بها، في حين لا تجد النفس ذلك فيما لو زال الإههام والإجمال"².

• إثراء المعنى وفتح مجال توقع المخاطب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾³ حذف في الآية جواب الشرط وتقديره (لكان هذا القرآن) أو (لما آمنو به) كما ذهب إلى ذلك ابن هشام ودليله في ذلك قوله تعالى المقدم على الآية: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾⁴ فكان الحذف وفق تقدير الخطاب. "وقد قيل: إن الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر"⁵.

• التشجيع على الكلام، ومن ثم سماه ابن جني (ت 392هـ) "شجاعة العربية"⁶.

¹ - كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزمלקاني: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي، أحمد

مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1974، ص: 237.

² - مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،

بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص: 129، 130.

³ - سورة الرعد، الآية: 31.

⁴ - سورة الرعد، الآية: 30.

⁵ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي

والخطابي والجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ص: 52.

⁶ - أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، د.ط، 1957، ج2،

ص: 360.

"وإن كان ما يميز هذه المزايا جميعها هو إقامة تلك العلاقة التواصلية بفعل الحذف بين المتكلم والمتلقي على أساس التفاعل الذي يؤسس إلى إعمال الفكر والنظر والتأويل، وهو المسلك الدقيق الذي يجعل المتكلم في أشد الحرص حاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها الحذف من المواضع التي لا يصلح"¹؛ فيتلمس حسنه و يتأكد عنده أن حذف بعض الكلام و"إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به"²، و أشد إبانة وأبلغ من ذكره.

والحذف من الأساليب التي جعلت القصة في القرآن الكريم "تتجه إلى التركيز وتكثيف الأحداث وترك الفضول، واقتصرت على المهم من الأحداث، فأفسحت المجال لإعمال الخيال وتنشيط ذهن لدى المتلقي، فازدادت جرعة الإثارة لديه"³ وازدادت معها قوة التأثير نظير هذا البيان الرباني، فاندفعت العقول والألباب للبحث عن مضامين القصة ومراميها.

"ولو أن نقل الحادثة كان يعني الإمساك بكل جزئية من جزئياتها لكان ذلك -على استحالته- ضرباً، بل ضرباً من العبث الذي يدعو إلى الملل والسآمة"⁴، وهذا القصص الذي جاء به القرآن الكريم لم يكن تأريخاً للحياة كلها وأحداثها، وإنما هو عرض لبعض المواقف، وكشف عن بعض الأحداث التي من شأنها أن تحدث في النفس أثراً، وتقيم في الضمير وازعاً، وتفتح العقل والقلب على مواقع ماثلة للعبرة والعظة"⁵. وبهذا كان قصص القرآن -على ما فيه من حذف- تاماً محبوباً الأطراف في سطور أو صفحات قليلة أغنت عن كثير.

¹ - زروقي عبد القادر: الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت "قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم"، ص: 13.

² - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 153.

³ - كاظم الظواهري: بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991، ص: 125.

⁴ - عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص: 51.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 68.

"فإذا عرفنا أن القصة القرآنية -برغم قلة الألفاظ المستخدمة في أدائها- حافلة بكل أنواع التعبير والعناصر الفنية.. من حوار.. إلى سرد.. إلى تنعيم إيقاعي.. إلى إحياء للشخص.. إلى دقة في رسم الملامح، أدركنا مدى سحر هذا الإعجاز الفني الناشئ عن القصة القرآنية"¹.
ويقع الحذف في اللغة على الحرف والكلمة والجملة، وسنمثل لنماذج منها نظرا لما فيها "من توافق مع أهم مقولات نظريات التلقي والتداولية والحجاج، أو فيما يصطلح عليه بالبلاغة الجديدة"²، مركزين في ذلك على المعاني الإعجازية للقرآن الكريم التي أشار إليها علماءنا الثقات، مسلمين بقدسية الخطاب القرآني.

3-1-أ/ حذف الحرف

يحذف الحرف في القصص القرآني لغرض وفائدة بلاغية، من ذلك:

- حذف حرف النداء، وما فيه من إيجاز واختصار، "وقد أسهم حذف حرف النداء في تقريب الصلة بين المنادي والمنادى، أو بين العبد وربّه"³، ومن أمثله في آي القرآن الكريم:
قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾⁴.
وقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾⁵.

¹ - أحمد جمال العمري: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1986، ص: 291.

² - زروقي عبد القادر: الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت "قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم"، ص: 24.

³ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز "دراسة بلاغية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط،

1995، ص: 276

⁴ - سورة البقرة، الآية: 126.

⁵ - سورة آل عمران، الآية: 35.

وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾¹.

وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾².

فهذه النداءات حذف منها حرف النداء "وربما كان ذلك لأن الله - سبحانه - يريد أن يعتاد عباده مناجاته ونداءه بغير واسطة"³، وليكون ذلك "تزيها وتعظيما؛ لأنّ في النداء طرفاً من الأمر"⁴.

هذا وكما حذف "يا" مع الربّ جاء حذفها مع غيره، كما في قول الله تعالى: ﴿ يُوسُفُ

أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾⁵ وقوله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾⁶ والتقدير: (يا يوسف) "فحذفت "يا" لضيق المقام فإن الحال يدل على الرغبة في إنهاء الحديث وعدم التطويل فيه"⁷.

● حذف واو العطف "...تحذف لقصد البلاغة، فإن في إثباتها ما يقتضي تغاير المتعاطفين، فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد"⁸. ومن أمثله في آي القرآن الكريم:

¹ - سورة يوسف، الآية: 34.

² - سورة مريم، الآية: 10.

³ - مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز "دراسة بلاغية"، ص: 277.

⁴ - عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 546.

⁵ - سورة يوسف، الآية: 29.

⁶ - سورة يوسف، الآية: 46.

⁷ - مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 105.

⁸ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 755.

قول الله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾¹ "فالتقدير: صمّ وبكم وعمي بدليل مجيء الواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾² وحذف الواو هنا يشير إلى تلازم هذه الصفات حتى لكأنها شيء واحد أحاط بحواسهم فهم لا يسمعون لا يتكلمون لا يبصرون"³.

ومن حذف الواو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁴ والتقدير: وقال الذين يريدون الحياة الدنيا، "فحذف الواو لتوفر العناية على بيان فساد قول هؤلاء وكأنهم قالوه دون روية أو تفكير"⁵، فانبهارهم بزِينته وأمواله حجب عقولهم عن التفكير، وجعلهم يتمنون ما أوتي قارون.

● حذف حرف الجر: يحذف اختصاراً لبسط الكلام وتحقيقاً لبلاغة المقال، ومن أمثلة حذفه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁶، "والتقدير: إلا من سفه سفه في نفسه، وقد أفاد الحذف مع الاختصار شدة ضلال من رغب عن ملة إبراهيم حتى لقد صارت نفسه كلها سفاهة وحمقاً"⁷.

¹ - سورة البقرة، الآية: 18.

² - سورة الأنعام، الآية: 39.

³ - مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص: 105.

⁴ - سورة القصص، الآية: 79.

⁵ - المرجع السابق، ص: 106.

⁶ - سورة البقرة، الآية: 130.

⁷ - المرجع السابق، ص: 101.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَإِخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾¹، و التقدير: من قومه.

ويذكر السهيلي (ت 581 هـ) أن من بلاغة الحذف مع الفعل (اختار) هو أن معناه إخراج شيء من شيء، وأنه حذف لتضمن الفعل معنى فعل آخر متعدد، كأنك حين تقول: اخترت من الرجال زيदा، نخلتهم ونقدتهم فأخذت منهم أفضلهم وهو زيد، ومن هنا أسقط حرف الجر²، ويجوز -والله أعلم- أن يكون القصد من إسقاط حرف الجر (من) النعي على بني إسرائيل؛ لدوام تمردهم وعصيانهم، ومخالفتهم لنبيهم، حتى كأنه لم يجد فيهم خيارا سوى هؤلاء السبعين فهم القوم كل القوم في الطاعة والصلاح، ففيه تلميح لقلة الصالحين منهم بمقابل كثرة العاصين، فقد ورد هذا الاختيار بعد آيات تحدثت عما قام به قوم موسى -عليه السلام- في غيابه من عبادة العجل من دون الله سبحانه في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾¹⁵⁰ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ¹⁵¹ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ¹⁵²، وقصر موسى -عليه السلام- بالدعاء بالمغفرة على نفسه

¹ - سورة الأعراف، الآية: 155.

² - ينظر: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار

الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1992، ص: 255.

³ - سورة الأعراف، الآيات: 150 - 152.

وأخيه يُشعر بأن الصالحين في القوم إنما هم قلة قليلة، وكأنه لو ذكر (من) فإنه يوحي بكثرة الأخيار فيختار قوماً من بينهم، فكأن حذفها يوحي باقتصارهم على هذا العدد لا غير¹.

3-1-ب/ حذف الكلمة

مواضعه في الذكر الحكيم كثيرة، وله أغراض بلاغية، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾²، وتقدير المحذوف: (هم صم) فحذف المسند إليه و حذف المسند في هذا المقام شائع عند العرب حيث يذكرون موصوفاً بأوصاف معينة وأخبار يجعلون منه كأنه قد عرف للسامع، فيقولون: فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير: هو فلان أو هو فتى وهكذا³. وجمالية الصورة في المحذوف هنا "تكمين في سعة المعنى الذي يحتمله النص الكريم بخلاف الذكر الذي يقيد المعنى في وجهة واحدة"⁴.

ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ إِمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾⁵، في الآيات الكريمات حذف المفعول به في أربعة مواطن، والتقدير: "يسقون" (أغنامهم أو مواشيهم)، و"تذودان" (غنمهما)، و"لا نسقي" (غنمنا)، و"فسقى لهما" (غنمهما)، وبذلك تبين أن الغرض الأصلي هو أن يعلم أنه

¹ - ينظر: محمد الأمين الخضري: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص: 335، 336.

² - سورة البقرة، الآية: 18.

³ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج: 1، ص: 313.

⁴ - عمر رحمن حميد الأركي: جمالية الأسلوب القرآني الكامنة في صور الحذف، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية

التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، العراق، مج: 19، ع: 09، أيلول 2012، ص: 45.

⁵ - سورة القصص، الآيتان: 23، 24.

كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنها قالتا: لا يكون منا سقي حتى يُصْدِرَ الرعاء، والذي كان من موسى -عليه السلام- بعد ذلك هو السقي، أما ما سوى ذلك فليس بالغرض المراد¹.

قال الزمخشري -رحمه الله تعالى-: "فإن قلت: لِمَ ترك المفعول غير مذكور في قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِ﴾ و﴿لَا نَسْقِي﴾! قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول. ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً²".

ومنه قوله سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾³، مفعول (تعلمون) محذوف، أي (ما يحل بكم)، وفي ذلك تهديد لهم ووعيد على اتباعهم موسى -عليه السلام-⁴.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا﴾⁵، حذف المضاف والتقدير: أتخذنا مكان أو ذوي هزء، وإجابتهم دليل على سوء عقيدتهم في نبيهم وتكذيبهم له، ظنا منهم أنه أخبر عن الله ما لم يؤمر به⁶.

¹ - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 161.

² - جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص: 797.

³ - سورة الأعراف، الآية: 123.

⁴ - ينظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2010، ج: 4، ص: 356.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 67.

⁶ - ينظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 415.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾¹ "هو على حذف مضافين، أي: حبّ عبادة العجل (...) ومعناه: أنه داخلهم حب عبادته (...) وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها"².

3-1-ج/ حذف الجملة (التركيب)

تحذف الجملة من سياق المشهد لتذهب نفس المتلقي فيه كل مذهب، ولو ذكرت لاقتصر عليها.

وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾⁽¹⁰³⁾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيَبَّرْهِمْ⁽¹⁰⁴⁾ قَدْ صَدَقَتِ

الرُّبِّيَا³ "والتقدير: كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغبتاطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم عليهما من دفع البلاء واستحقاق الثواب"⁴.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ نَجَّاهُ مِنْهُمْ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾⁽⁴⁵⁾

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ⁵ "أي فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف أيها الصديق أفتنا"⁶، وقد اختصر كلامه لأن الخطب جلل ورؤيا الملك لا بد لها من تعبير في أقرب وقت حتى يطمئن، "ولذلك كلمه كلام مخترز"⁷.

¹ - سورة البقرة، الآية: 93.

² - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج: 1، ص: 475.

³ - سورة الصافات، الآيات: 103 - 105.

⁴ - مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص: 25.

⁵ - سورة يوسف، الآيات: 45، 46.

⁶ - المرجع السابق، ص: 26.

⁷ - جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق التزئيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص: 518.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ

فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿32﴾¹، والتقدير: فمنهم مقتصد

(ومنهم جاحد)، وقد الجملة الثانية لدلالة الأولى عليها، وفي الآية تصوير لآية البحر في حالة

الهيجان وموقف الإنسان حينها، وكيف يجأر إلى الله بالدعاء بأن ينجيه من هذا الموقف

الرهيب، ثم حالة الإنسان بعد النجاة بين مؤمن وكافر جاحد لمجرد زوال الخطر².

وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوَّا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿30﴾ وَلَوْ أَنَّ

قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا³،

والتقدير بعد (لما آمنوا به) بدليل قوله تعالى قبل ذلك: "وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ" فالكفر طبيعة

من طبائع الجاهلية، إنها طبيعة ناتجة عن إغلاق العقول عن التفكير لمعرفة الحق، ثم في نهاية

المطاف إلى الخلود في النار، ويظهر ذلك واضحا يوم القيامة حين يندمون ويعترفون ﴿لَوْ كُنَّا

نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿10﴾⁴⁻⁵.

¹ - سورة لقمان، الآية: 32.

² - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج: 5، ج: 21، ص: 2797.

³ - سورة الرعد، الآيتان: 30، 31.

⁴ - سورة الملك، الآية: 10.

⁵ - ينظر: مصطفى شاهر خلوف: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان، الأردن،

الأردن، ط1، 2009، ص: 121.

وقال الله تعالى: ﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾¹² ¹ "والتقدير: وادخل يدك في جيبك (تدخل غير بيضاء، وأخرجها) تخرج بيضاء من غير سوء، أي ليس بياضها لمرض"².

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁴⁵ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ⁴⁶ ³، فجواب إذا محذوف تقديره: (أعرضوا)

أو (أعرضوا وأصروا على تكذيبهم)، والدليل على ذلك قوله عقب ذلك: "إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" والغرض من حذف الجواب هنا هو الإيجاز والاختصار وكأن في حذفه إشارة إلى أنه معروف واضح عند المخاطبين لا يكاد يحتاج إلى أن يذكر وهو سجية لهم فلا تكاد الآية تأتي إليهم حتى يعرضوا عنها⁴.

وقال الله تعالى مخاطبا موسى وهارون -عليهما السلام- في شأن دعوة فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأُبْرِي⁴⁶ فَإِنِّيهِ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَآئِلَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ إِبْتَعَ الْهُدَى⁴⁷ إِنَّا قَدْ أَوْحَى إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى⁴⁸ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى⁴⁹ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى⁵⁰﴾⁵ فهذا النص يتألف من مشهدين بينهما فجوة، يرفع الستار في المشهد

¹ - سورة النمل، الآية: 12.

² - مصطفى شاهر خلوف: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، ص: 122، 123.

³ - سورة يس، الآيتان: 45، 46.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص: 158.

⁵ - سورة طه، الآيات: 46 - 50.

الأول على المناجاة بين موسى -عليه السلام- وربّه جل وعلا يأمره ربّه فيها بالذهاب مع أخيه هارون إلى فرعون لتذكيره وتبليغه أمر الله عز وجل، ويطمئنهما بأنه لن يصيبهما منه أي مكروه، ثم ينطوي المشهد. ويأتي بعده فجوة مطوية أو محذوفة وهي ذهاب موسى -عليه السلام- إلى مصر ووسائل ذلك ثم طريقة التوصل إلى فرعون، ودعوته إلى الإسلام فهو شيء معلوم مستقل بتصويره الحس والخيال وليس من الدقة الفنية في شيء الاهتمام بعرض ذلك وسرده على السامع أو الناظر. ثم يبرز عقب ذلك مشهد آخر يرفع الستار فيه على موسى -عليه السلام- مع فرعون وجها لوجه في مناقشة حول حقيقة الله عز وجل ودلائل وجوده¹. وحسبنا هذا القدر من الأمثلة التي تتعلق بإعجاز أنواع الحذف وبلاغته في القرآن الكريم، ولعل الحكمة من الحذف في القصص القرآني فضلا عن الاختصار هو "جعل القلب أكثر تفكرا وذلك لما يطوف بالمعاني ليستحصل المحذوفات فيقدرها في حدود ما يحتمله النص القرآني الكريم بلا تكلف، وفي ذلك تحقيق لجانب التدبر في كتاب الله تبارك وتعالى، وإذا صح ذلك فقد عظمت الحكمة"².

3-2- بلاغة التقديم والتأخير في القصص القرآني

التقديم لغة: جاء في أساس البلاغة "قدم: تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾³ (...) وقدّمته وأقدمته فقدّم وأقدم بمعنى تقدّم، ومنه

¹ - ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن "تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل"، دار الفارابي

للمعارف، دمشق، سورية، ط3، 2007، ص: 232، 233.

² - عمر رحمن حميد الأركي: جمالية الأسلوب القرآني الكامنة في صور الحذف، ص: 48.

³ - سورة الأعراف، الآية: 34.

مقدّمة الجيش ومقدّمته: للجماعة المتقدّمة"¹.

"وقيل: مقدّمة كلّ شيء أوّله"².

نجد أن التقديم لغة بمعنى السابق و المتقدم والأوّل.

التأخير لغة: جاء في معجم الوسيط "أخّر: تأخّر. و- الشيء: جعله بعد موضعه. و- الميعاد أجله. تأخّر عنه: جاء بعده. و- تقهقر عنه"³، "والتأخير ضدّ التقديم. ومؤخّر كلّ شيء، بالتشديد خلاف مقدّمه"⁴.

نجد في تعريف المعجميين لكلمة (أخّر) أنها تدل على الموقع المؤخّر أو المرتبة الأخيرة. هذا فيما يخص تعريف التقديم و التأخير لغة.

التقديم والتأخير اصطلاحاً: هو "أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصليّ في السياق فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم"⁵، "لغرض بلاغي كزيادة الاهتمام أو القصر أو التشويق أو لضرورة شعريّة"⁶.

فالجملة العربية تخضع لترتيب ينظّم تتابع أجزائها لكن قد يتقدم عنصر ويتأخر آخر لغرض بلاغي وإبرازا للمعنى، لذلك نجد التقديم والتأخير في اللغة العربية يحوز "مكانة خاصة واستغلالاً

¹ - جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص: 58.

² - ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص: 429. مادة (قدم).

³ - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص: 08.

⁴ - المصدر السابق، ج4، ص: 12. مادة (أخر).

⁵ - صالح الشاعر: ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي، مقال من موقع: <https://www.academia.edu>، اطلع عليه يوم: 2023/07/18، ساعة: 18:48.

⁶ - أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، مج1، ص:

أوسع وطاقة على التعبير أشد تنوعاً وتفنناً¹، وإذا كان الكلام الحسن هو الكلام البليغ، فإن القول البليغ في بنية الإسناد يتحقق عبر عدد من الوسائل، منها باب مهم هو التقديم والتأخير²، فهو يدل على تمكن المتكلم وقدرته على التصرف في فنون القول، لما فيه من تأثير على استقبال النص، ومصدر الجمال والحسن في الكلام³.

ولا شك أن الحركات الإعرابية التي تتميز بها اللغة العربية هي التي أتاحت مثل هذه المرونة في التقديم والتأخير، الذي حظي باهتمام النحاة والبلاغيين، فهو يعتبر "أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"⁴.

ثم إن علماء البلاغة درسوا باب التقديم والتأخير دراسة تطبيقية وبيّنوا أغراضه البلاغية إذ "مجرد المخالفة ينبئ عن غرض ما، وأن هذا الغرض قد يكون توجيه التفات السامع إلى كلمة من الكلمات عن طريق إبراز هذه الكلمة إبرازاً يتحقق عنه تأثير ما"⁵، زيادة على خفة التركيب وإظهار المعنى. ذلك أن "دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه أي أنها دراسة تتم في نطاقين أحدهما مجال حرية الرتبة حرة مطلقة والآخر مجال الرتبة غير المحفوظة وإذا فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة

¹ - الهادي الجطلاوي: قضايا اللغة في كتب التفسير "المنهج - التأويل - الإعجاز"، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 1998، ص: 526، 527.

² - ينظر: محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص: 259.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 256.

⁴ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 770.

⁵ - عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي "دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقد العرب"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 218.

المحفوظة لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها"¹. فمخالفة الرتبة المحفوظة عدول عن القاعدة النحوية وسبب في جمالية أسلوب التركيب تحقيقاً للغرض البلاغي. وأمثله في القصص القرآني قول الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾² والتقدير: (فأوجس موسى في نفسه خيفة). وإنما قدّم المفعول به (خيفة) على الفاعل (موسى) مراعاة للنظم "ولمشاكلة الكلام، ولرعاة الفاصلة"³، وهو ما يحقق جمالية أسلوبية روعة في الحسن، فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة بسبب موقع بعضها من بعض⁴، إضافة إلى "أن النفس تتشوّق لفاعل (فأوجس)، فإذا جاء بعد أن أُخّر وقع بموقع"⁵. وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ-الْهَيْمَةِ يَبْرَهُيمُ﴾⁶، وإنما قدّم خبر المبتدأ عليه في قوله: (أراغب أنت) ولم يقل: (أأنت راغب)، "ليدل بذلك على إفراط تعجبه في الميل عنها، ومبالغة في الاهتمام بأمرها، وواضعا في نفسه أن مثل آلهته لا تنبغي الرغبة عنها ولا يصح الإعراض عن عبادتها"⁷.

¹ - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994، ص: 207.

² - سورة طه، الآية: 67.

³ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 771.

⁴ - ينظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 86، 87.

⁵ - المصدر السابق، ص: 56.

⁶ - سورة مريم، الآية: 46.

⁷ - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف،

مصر، د.ط، 1914، ج2، ص: 69.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾¹، في الآية تقديم للخبر المحذوف المتعلق بشبه الجملة (في ذلكم) على مبتدئها (بلاء). ووجه البلاغة في هذا أنه لما عدد عليهم ما كانوا فيه من أنواع العذاب أشار إلى ذلك جملة بقوله: (في ذلكم)، تنبيها وتخصيصا لهم بالنعم دون سائر الأمم في زمانهم. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾² فإنه قدم (من آل فرعون) على الفعل (يكتم) للإفادة أن هذا الرجل هو من آل فرعون، أي من القبط، ولم يكن من بني إسرائيل بدليل قوله تعالى بعده: ﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾³ فإن بني إسرائيل لم يكن لهم ملك هنالك⁴.

وقوله عز من قائل: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضُّرُّ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾⁵، هذا كلام الكفار من القرون الماضية لما أنعم الله عليهم عتوا عتوا كبيرا فجعلوا ما نالهم من البؤس قبل نعيمهم من أحداث الدهر وتعاقب صروفه وأنه قد مسهم ما مس آباءهم لا ابتلاء فيه ولا تعلق له بعصيانهم وكفرهم،

¹ - سورة الأعراف، الآية: 141.

² - سورة غافر، الآية: 28.

³ - سورة غافر، الآية: 29.

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 24، ص: 128.

⁵ - سورة الأعراف، الآية: 95.

ففي الآية تقديم للمفعول به "آباءنا" على الفاعل "الضرّاء والسرّاء"¹. ووجه البلاغة أن القوم "لما بدّل الله حالهم بالخير لطفاً بهم فَنَمُوا، رأوا أن إصابة الضرّاء والسرّاء إنما هي بالاتّفاق، وليست بقصد كما يخبر به النبي، واعتقدوا أن ما أصابهم من ذلك إنما هو كالاتفاق الذي كان لآبائهم، فجعلوه مثلاً، أي: قد أصاب هذا آباءنا، فلا ينبغي لنا أن نُنكره"²، وحسبوا أن النعم ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستدراج والنيكير فأخذهم الله فجأة.

وقول الحق سبحانه: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ الْأَنْزَامُ كُفُّوا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾³، الشاهد في الآية تقديم الفعل (نلزمكموها) ودخول همزة الاستفهام عليه، والمقصود تقوية إنكار حصول الإلزام.

والآية شاهد على احترام الإسلام لاختيار الإنسان فلا يلزمه بما يكره، وبلاغة الاستفهام الإنكاري في الآية "لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب، إما لأنه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: "فافعل"، فيفضحه ذلك، وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يُستصوب فعله، فإذا رُوجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قَبَّح على نفسه، وقيل له: "فأرنا في موضع وفي حال، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت"⁴، لذلك كان هذا أبلغ في الإنكار والتكذيب لما توهموه.

¹ - ينظر: محمد الطيب الإبراهيم: إعراب القرآن الكريم الميسر، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 162.

² - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوّض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج3، ص: 58، 59.

³ - سورة هود، الآية: 28.

⁴ - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 119، 120.

ومن هنا يتبين أن بلاغة التقديم والتأخير في القصص القرآن لا تقتصر على الاهتمام بأمر المقدم وتخصيصه، إنما تتعداها إلى فوائد وأغراض تتنوع بتنوع المقام والسياق.

3-3- بلاغة الالتفات في القصص القرآني

الالتفات لغة: "لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا (...) وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه"¹.

اصطلاحاً: هو "الانتقال في الكلام من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من مفرد أو مثنى أو جمع إلى عكس ذلك"²، ليكون الأسلوب أكثر إثارة لنشاط السامع، ولتأدية أغراض وفوائد، ويشترط أن يعود الضمير الثاني على الضمير الذي يعود عليه الضمير الأول. فهذه التقسيمات ينتج عنها ستة أساليب بلاغية للالتفات هي:

انتقال الكلام أو التعبير من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، وإلى الخطاب.

وهو "يتسع في غير هذا الرأي إلى مفاهيم أخرى منها: التصرف في الفعل من جهة الزمن، ومنها الانصراف إلى معنى آخر، ومنها تأكيد الكلام بمثل أو دعاء، ومنها التجريد..."³. وهذه المفاهيم المتعددة للالتفات يتعذر التزامها جميعاً في هذا الموضع، لذلك قد تقيدنا بالمفهوم الشائع في كتب البلاغة وهو العدول عن ضمير إلى ضمير يغيّره، وذلك لغلبة هذا المفهوم على الاستعمال القرآني.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص: 84. مادة (لفت).

² - عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط3، 1992، ص: 317.

³ - الشاذلي الهيشري: الالتفات في القرآن، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ع32، 01 يناير 1991، ص: 132.

ومن أمثلته في السرد القرآني قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹ (22) في الآية التفات من التّكلم في (مالي لا أعبد) إلى الخطاب (ترجعون)، فالمتكلم في الآية لما أنكر عليه قومه عبادته لله سبحانه وتعالى، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتجّ عليهم بأنّه يقبح منه أنّه لا يعبد خالقه ثمّ أنذرهم بقوله: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فنرى المتكلم يبعث السامع على الاستماع حتّى يقبل إليه ويعطيه فضل العناية فاستفاد المتكلم من (تُرْجَعُونَ) بدل "أرجع" وما قال: (ما لكم لا تعبدون الذي فطركم) لكي يسمعوا قوله ويطيعوا أمره ولكي ينبّههم بأنّ الجدير بالعبادة هو الذي فطرهم وإليه مرجعهم؛ فلا يكون نقل الكلام من التّكلم إلى الخطاب كما يقول البلاغيّون خلاف ما يترقّبه السامعون ليفيد تطرئة لنشاطهم وإيقاظا في إصغائهم فحسب بل وجه حسنه إسماع المخاطبين الحقّ على وجه لا يزيد غضبهم وهو ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ويعين على قبوله لكونه أدخل في إحماض النصّ حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه².

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾³ (64) في الآية التفات من المتكلم (ما كنّا) إلى الغائب (فارتدّا على آثارهما). "الذي يتأمّل هذه الآية، فإنه يكون أمام مشهد متحرك فيه موسى -عليه السلام- وفتاه مقبلان، تنظر إليهم وتسمع كلامهم في لحظة حضور، فكان أسلوب الكلام للمتكلم والحضور، تنقلب تلك اللحظة مباشرة بعد أن وجدا الإشارة، فاستدارا ورجعا إلى الوراء فلم نعد نرى وجوههم، ولا نسمع كلامهم فأضحوا في

¹ - سورة يس، الآية: 22.

² - ينظر: محمد نبي أحمدي: الالتفات في القرآن الكريم "دراسة دلالية"، مجلة اللغة العربية وآدابها، مجمع الفارابي، جامعة

طهران، إيران، مج15، ع4، 31 ديسمبر 2019، ص: 479، 480.

³ - سورة الكهف: الآية: 64.

حالة الغياب بالنسبة للمستمعين؛ ولذا كان التعبير عنهم بضمير الغائب هو الأدق في رسم المشهد¹.

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (21) ². "على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب"³، وفائدته تنبيههم إلى مكر الله وإلى أن مكرهم مكتوب، لتعجبه من فعلهم (...). إذ لو استمر على التكلم لفاتت تلك الفائدة⁴.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ﴾ ⁵. الالتفات في الآية جاء بأسلوب الخطاب في قوله (إذا كنتم) ثم انتقل إلى الغائب (وجرين بهم)، وكان مقتضى الظاهر أن يقول (وجرين بكم)، والعدول هنا من الخطاب إلى الغيبة؛ لسر بلاغي هنا هو للتعظيم والتعجب من فعل الكفار.

وهنا يرى الإمام الزركشي الآتي:

أ- كان الخطاب مع الناس مؤمنهم وكافرهم، بدليل قوله تعالى قبلها: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، فلو قال (وجرين بكم) للزم الذم للجميع.

ب- لأنهم وقت الركوب خافوا الهلاك وتقلب الرياح بهم، فناداهم نداء الحاضرين؛ ولما جرت بهم الرياح ذكرهم الله بصيغة الغائب⁶.

¹ - علي علوش: الالتفات وأثره في اتساق القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، مجلة الموروث، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، مج9، ع2، ديسمبر 2021، ص: 240.

² - سورة يونس: الآية: 21.

³ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 822.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص: 822.

⁵ - سورة يونس، الآية: 22.

⁶ - ينظر: المصدر السابق، ص: 822.

وقوله سبحانه: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾¹، في الآية التفات من الخطاب (فذوقوا) إلى التكلم (فلن نزيدكم)، وقوله-فذوقوا- "مسبب عن كفرهم بالحساب، وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدة، وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبي -صلى الله عليه وسلم-: هَذِهِ الْآيَةُ أَشَدُّ مَا فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ"²، فدلالة -لن- والالتفات تضيفي على معنى الغضب والشدة التي تشير إليها جملة -فذوقوا- بعدا أبعد وأعمق³.

¹ - سورة النبا، الآية: 30.

² - جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص: 1174.

³ - ينظر: تامر سلوم يوسف سلوم: ظاهرة الالتفات في كشاف الزمخشري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، مج

71، ع2، 1 أبريل 1996، ص: 281.

4- بلاغة التصوير الفني في القصص القرآني

الصورة لغة: ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا؛ أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته. وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصوّر لي. والتصاوير: التماثيل¹.

الصورة اصطلاحاً: تعددت تعاريف الصورة عند النقاد ولعل أشمل تعريف -في نظرنا- أنها "مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون"²، تجعل الفصل بينهما مستحيلاً.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الصورة الفنية باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بالفاظ، ليتفاعل المتلقي مع النص ويندفع نحو السير وراء الصورة الكاملة في العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون، "ويكون طريق كشف هذه العلاقات هو استنباط المعاني من خلال طريقة صياغتها في التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز، لننتقل من مجاز القول إلى الحقيقة ومن التعبير الاستعاري للكلمات إلى الأصل الاستعمالي لها، ومن التمثيل إلى حقيقة الشيء وهذه مجموعة العلاقات التي تبني عليها أصول الصورة الفنية"³.

أمّا القرآن الكريم فإنه "في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمّسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به: بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا

¹ - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج4، ص: 473. مادة (صور).

² - محمد حسين علي الصغير: الصورة الفنية في المثل القرآني "دراسة نقدية وبلاغية"، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، 1981، ص: 37.

³ - سعاد قمومية وهاجر حاج شريف: خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم "كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب أنموذجاً"، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، جامعة حسينية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج9، ع1، فيفري 2023، ص: 12.

يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين"¹، فمن دقة التصوير الفني حسن اختيار الألفاظ الأدلّ على المعنى، حتى تحدث في نفس المتلقي التأثير المرجو الذي قد تعجز عن تأديته اللغة المعيارية، ومن سمات الصور القرآنية أنها تصور الغائب حتى يصبح حاضراً، وتقرب البعيد النائي حتى يصير قريباً دانياً، ومن سماتها التلوين في التشبيهات التي لا تخلو من الإمتاع العاطفي والتأثير الوجداني بما اشتملت عليه من صور إيحائية، ذلك أن الصور الإيحائية أعمق تأثيراً في النفس، وأبعث على المتعة والجمال وأقدر على الإقناع، لقوة معانيها وبديع عرضها.

ويعد التصوير الفني الأسلوب الأظهر في القصص القرآني خاصة، فهو "يتميز بالتناسق الفني البديع الذي يجمع في إطار الصورة مع رشاقة اللفظ ودقة المعنى، وجمال الاتساق بين اللفظ والمعنى، ومن خلال هذا التناسق نجد أن القرآن الكريم يستخدم كل ما يمكن من الوسائل المثيرة للخيال من تشبيه وتمثيل واستعارة وكناية وغيرها لكي تفعل فعلها في النفوس ولكي تتعمق الصورة وتثبت في الإدراك والوجدان"² الذي يحتفظ دائماً بتلك المشاهد القصصية التي جمعت بين براعة السرد ومتانة النظم على نحو يحقق الإمتاع والإقناع والإعجاز.

ذلك أن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر عن الصورة المحسنة المتخيلة وعن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة أو الحياة المتجددة"³.

إن التناول الأدبي للصورة الفنية في القصص القرآني، هو دراسة على مستوى الأسلوب للوقوف على الصورة الجمالية فيها، و"في الفن والأدب يتهيأ اللقاء الكامل بين الجمال والحق،

¹ - محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن"، دار القلم، الكويت، د.ط، د.ت، ص: 92.

² - معراج أحمد معراج الندوي: القرآن الكريم: أسلوبه وتعبيره في النشر الفني.

³ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 121.

فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا، يلتقيان في القصة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود"¹.

ويجب لفت النظر إلى أن التركيز على الخصائص الفنية الجمالية للصورة في القصة يحقق قدرا من الموضوعية في دراستها، ويمكن إجمال خصائص الصورة الفنية في القصص القرآني فيما يلي:

- "الانقطاع في الأحداث (الفصل بين المشاهد داخل القصة) مما يدفع بالقارئ إلى التشويق (وعنصر التشويق هنا يدخل في الجانب الفني الجمالي).
- قيام بعض الشخصيات (الأبطال) داخل القصة القرآنية بأمور خارقة تفوق قدرات العقل البشري...

- بدء بعض القصص القرآنية بالإجمال مما يدفع القارئ إلى التطلع والتشوق لمعرفة التفاصيل.
- الإيحاء والاشتقاق في اللغة، مما يعني قدرة اللغة على نقل الأحداث وتصويرها...
- التناغم في الإيقاع الصوتي بين ترابط الألفاظ في سياق إبراز الصورة.
- الإيجاز بالحذف في القرآن والذي من دلالاته تحديد المعنى وتقويته..
- عنصر الزمن في القصة يربط المتناهي بالمطلق"².

وهذه الخصائص ترتبط باللغة بشكل أساسي، وهو ما يفيد أن الضرورة المنهجية لدراسة الصورة الفنية في القصص القرآني تقتضي التركيز على توظيف السرد القرآني للغة بما يحقق الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا.

4-1- نماذج من التصوير الفني في القصص القرآني

فيما يلي عرض وتحليل لنماذج من الصور الفنية في قصص القرآن الكريم.

¹ - سيد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1960، ص: 06.

² - يوسف يوسف: القصة القرآنية وسؤال إسلامية الأدب، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مج3، ع10، مارس 2020، ص: 282.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْ أَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا¹ ﴿10﴾¹، في الآية صورة مشهد من مشاهد غزوة

الخنديق تبعث في السامع مقدار الكرب والرعب الذي لحق المؤمنين وقد أحاط بهم الخطر من كل جانب واشتدت بهم الخطوات. "فالكناية في قوله: (وبلغت القلوب) أبلغ وأدل على معاني

الرعب والكرب والشدة من قولك مثلاً: اشتدت بهم الخطوب أو بلغ بهم الرعب مبلغاً أو شيئاً في معناهما"²، فهي تصور ما أصاب المسلمين من فزع وكرب تصويراً بديعاً مؤثراً، يرسم

حركات القلوب، وملامح الوجوه، وخلجات النفوس، ويجعل المتلقي يدركها بعقله ووجدانه.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ³ ﴿75﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ

﴿76﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ⁴ ﴿77﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ⁵ ﴿78﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ⁶ ﴿79﴾ إِنَّا

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ⁷ ﴿80﴾ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ⁸ ﴿81﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ⁹ ﴿82﴾³، فهذا

تصوير لنهاية قصة سيدنا نوح -عليه السلام-، حين يؤس من قومه ودعا عليهم، فأغرقهم الله

بالطوفان ونجى نوحاً -عليه السلام- ومن آمن معه، ويسدل الستار على الأحداث بإغراق

من كفر من قومه دون تفصيل، "والتصوير للأحداث على إيجازه، يترك للخيال أن يستحضر

بقية الأحداث، من خلال بعض الإيحاءات فالدعاء يوحى بما قبله من أحداث ودعوة وتكذيب

وعناد، والطوفان يوحى بالسفينة كما جاء ذلك مصوراً في آيات أخرى"⁴. وتصوير الأحداث

¹ - سورة الأحزاب، الآية: 10.

² - طيب نسالي: الصورة الفنية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية،

جامعة حسية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج9، ع1، مارس 2023، ص: 22.

³ - سورة الصافات، الآيات: 75 - 82.

⁴ - عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص: 266.

على هذا النحو السريع قصد به تطمين الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين أن الله سيستجيب دعاءهم وينصرهم على أعدائهم.

وقول الحق سبحانه في سورة يوسف: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾¹، في الآية تشبيه، فلما رأت النسوة يوسف -عليه السلام- انبهرن بجماله ووقاره فشبهنه بالملك الكريم، على ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه؛ تقوية للصفة التي يشترك بها المشبه (يوسف -عليه السلام-) مع المشبه به (الملك)، "بناء على ما ركز في العقول من أن لا حيٍّ أحسن من الملك، كما ركب فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يُشَبَّه بهما كلُّ مُتَنَاهٍ في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال"².

وقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾³، الآيتان تصوّران مشهد أهل النار حين يُلقَوْنَ فيها، فالنار "مخلوقة حية، تكظم غيظها، فترتفع أنفاسها في شهيق وتفور؛ ويملاً جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ العظيم وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ إلى حدّ الغيظ والحنق على الكافرين"⁴، والتصوير الفني هنا أتى عن طريق الاستعارة المكنية، حيث شبه القرآن حالة جهنم لما يُلقى فيها الكافرون بالإنسان الذي يشتد غضبا وحنقا ويهيج على عدوه، فحذف لفظة (الإنسان) وترك ما يدل عليه (الشهيق، الغيظ، الفوران، التميز). ولأثر هذا التصوير على نفسية المتلقي ما لا يخفى على ذي بال، بخلاف لو أرسل الكلام سردا وحدا، إذ أنه يستحضر الصورة مجسّمة فتزداد رهبته من عذاب الله.

¹ - سورة يوسف، الآية: 31.

² - أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، تح: عبد القادر أحمد عطا، د.ط، د.ت، ج3، ص: 139.

³ - سورة الملك، الآيتان: 7، 8.

⁴ - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج6، ص: 3634.

وقول الحق سبحانه: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾¹ سورة إخوة يوسف -عليه السلام- حين قدموا إلى أبيهم بعد أن ألقوا يوسف -عليه السلام- في غيابات الحب، لقد جاء تصوير القرآن هذا المشهد بالغ الدلالات إذ كان "في تقديم الظرف على الحال دلالة على أهمية التوقيت في إنجاح تمرير المؤامرة. وحتما كانوا أخرّوا الرواح إلى العشاء حتى تكون (فحمة) العشاء فيكون الوقت ملائما للحديث عن تلصص الذئب (...). ثم إن ملاحظهم وقت العشاء تجعل من التمثيل أمرا ممكن التمويه. وفوق ذلك كله فإن (هجوم) الليل يجعل أمر (تمثيل) الجريمة على الطبيعة أمرا غير ممكن على الفور"²، وذلك من جمال التصوير القرآني وإعجازه في إحكام البناء الفني للقصص الحق، وسبك أحداثه مرورا باختيار المفردات وصولا إلى تعالقها مع بعضها داخل سياق المشهد السردى.

وبذلك نجد أن الصورة الفنية في القصص القرآني "تحمل رؤية جديدة للحياة وتهدف إلى بناء الإنسان، وبناء الحياة على أسس دينية ولا يمكن أن ننظر إلى وظيفتها نظرة جزئية من خلال الصورة المفردة فقط، بل لا بد من نظرة شمولية للأسلوب القرآني كله حتى نفهم سرّ إعجازه، ونفهم وظيفة الصورة ضمن هذا الإطار العام والشامل"³، فالصورة في القصص القرآني تتجاوز التجريد والمعيّار إلى المحسوس والمتخيل تحقيقا للإمتاع الوجداني والإقناع العقلي خدمة للغرض الديني.

من هنا نجد أن لغة القرآن عالية البلاغة وأساليبه في القصص من حذف وتقديم وتأخير والتفات وتصوير تختلف باختلاف السياق الذي ترد والأهداف التي يرمي إليها، وإن كانت

¹ - سورة يوسف، الآية: 16.

² - محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسورة يوسف-عليه السلام- "دراسة نقدية إبداعية"، دار البشير، عمان،

الأردن، ط1، 1985، ص: 69.

³ - عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص: 31.

كلها تركز إلى الوضوح والانسجام إلا أنها في القرآن حققت فرادته الأدبية التي تؤكد بأن السرد القرآني قوامه اللغة بجمالياتها المتفردة وأنه من لدن حكيم خبير.

5- بلاغة تكرار السرد القصصي وأسراره في القرآن الكريم

التأمل في القرآن الكريم يجد مشاهد تكرر سردها في مواضع منه، وأخرى ذكرت مرة واحدة كقصة سيدنا يوسف -عليه السلام-، والتكرار بمعنى ذكر الشيء بعد مرة بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة لا يتحقق في القصص القرآني الكريم.

إذ "يحسب أناس أن هنالك تكرارا في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى. ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق. وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار"¹.

ولتكرار القصة في القرآن الكريم أغراض جليلة فـ"قد تتكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد، في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع، لأنها لما كانت مُتَزَلَّةً لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر حتى لا تُملَّ للفظها ولا لمعانيها"²، لذلك نجد القرآن الكريم "يعرض من القصة ما يلائم موضوع السورة، فإن هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة، سواء أكان عرضا كاملا مختلفا عن العرض الأول أو عرضا جزئيا"³ بهدف الإشارة إلى موضع الاعتبار فيها، ضمن سياق يقتضيه، "مثل قصة موسى -عليه السلام- التي تعد من أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم، وذلك

¹ - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج1، ص: 55.

² - عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص: 06.

³ - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط15، 2007، ص: 611.

لأن موسى -عليه السلام- قريب عهد بالرسالة المحمدية، وقصته حاضرة في أذهان العرب آنذاك، والمشاكلة بين موقف فرعون من موسى وموقف العرب من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واضحة، وهي موحية بالنصر لدعوة الله في نهاية المطاف (...). كذلك فإن وجود اليهود في مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقتضي توضيح طبيعتهم، وتعريف المسلمين بأساليبهم الماكرة لكي يحذروهم¹.

ومن هنا يمكننا توضيح بعض الأسرار من تكرار السرد القصصي في القرآن الكريم:

1- بيان الإعجاز: يقول الباقلاني (ت 403 هـ): "وأعيد كثير من القصص في مواضع [كثيرة] مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، وتُبَّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكرراً. ولو كان فيهم تَمَكُّنٌ من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما [حكى و] جاء به. وكيف وقد قال لهم: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾². فعلى هذا يكون المقصد -بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها- إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعاً"³.

و"كرر [الله] ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا بأي عبارة عبروا"⁴.

ولا شك أن القصة حين تُسرد بوجهين مختلفين فإن هذا يعني قوة في الإعجاز، وزيادة في تحدي الثقلين من الإنس والجن.

¹ - عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص: 260، 262.

² - سورة الطور: الآية: 34.

³ - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، ص: 61، 62.

⁴ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 638.

2- بيان فائدة خلّت من موضع آخر: فعصا موسى -عليه السلام- ذكرت في قصص القرآن بثلاثة أوصاف (الحية، الثعبان، الجان)، وكل وصف جاء مناسبا لسياق السورة الذي ورد فيها، ففي سورة طه وصفها الحق سبحانه بأنها (حية تسعى) في قوله: ﴿فَأَلْقَيْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾¹، وفي سورة الأعراف وصفها بـ (الثعبان) في قوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾²، وفي سورة التمل وصفها بـ (الجان) في قوله: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾³، وتفصيل ذلك:

أ/ وصف (الحية):

وظّفه القرآن الكريم في السور التي فيها "سياق خطاب تكليف لموسى -عليه السلام-، للدلالة على أن عصا موسى -عليه السلام- الجماد التي ليس بها حياة انقلبت (حية) فيها حياة وهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الله لأن الحياة لا تكون إلا بأمره وقدرته"⁴.

ثم إنّ السياق في هذه الآية سياق "تسليّة للنبي [محمد] -صلى الله عليه وسلم- وتسرية عنه وإزالة لما بنفسه من همّ وقلق (...). ولذا كان عرض المسائل في هذه القصة عرضا هينا لينا يدفع إلى النفس الثقة والطمأنينة ويدفع عنها الهمّ والحزن ومن هنا كانت لفظة (الحية) أليق بالمقام"⁵.

¹ - سورة طه، الآية: 20.

² - سورة الأعراف، الآية: 107.

³ - سورة التمل، الآية: 10.

⁴ - إخوان عملي: معنى "ثعبان" "حية" و"جان" في قصة موسى (دراسة دلالية)، Journal of Islamic Studies،

جامعة أكسفورد، إنجلترا، المملكة المتحدة، مج1، ع1، 2018، ص: 76.

⁵ - محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، سينا للنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1999، ص: 171.

ب/ وصف (ثعبان):

هو الحية الطويلة الضخمة الذَّكَر، وظَّفه القرآن الكريم في سياق مواجهة سيدنا موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون وذلك لإخافتهم وإدخال الرهبة في قلوبهم، وإظهار عظمة المعجزة، "فالموقف موقف تحيّر وطلب بينة ومن هنا كان لا بد للعصا من أن تكون ثعبانا ولا بدّ لثعبان من يكون مبينا ليسهل الإقناع"¹، لذلك ألقى السحرة ساجدين بعدما رأوا هذه المعجزة العظيمة أنها حقيقة وليست خيالية ووهمية كما يزعمون بسحرهم.

ج/ وصف (الجان):

وظَّفه القرآن الكريم في سياق الحديث عن التجربة العملية لموسى -عليه السلام- على معجزته حتى لا يخاف. "والجان: ضرب من الحيات أكحل العينين يضرب إلى الصُّفرة لا يؤذي"²، ولهذا جاء بعدها الطلب من موسى -عليه السلام- ألا يخاف، ولو أن الله تعالى في هذه التجربة العملية ذكر لفظ ثعبان أو أفعى لخاف موسى بطبيعته البشرية أن يلتقطها ولكن وصفها على أنها جان وصغيرة لعله يتشجع فيلتقطها.

3- تكرار القصص القرآني هو تكرار بالمعنى: هدفه تثبيت تلك المعاني في أذهان المتلقين والزيادة في إفهامهم وتحذيرهم.

4- ملائمة القصة للهدف العام للسورة: ترد القصة في القرآن الكريم ملائمة لغرض السورة ومتناسقة مع نسيجها اللفظي والمعنوي، حتى إنه لا يمكن نقلها إلى سورة أخرى، ولو حدث لترتب عليه الاضطراب وفساد النظم.

¹ - محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص: 172.

² - ابن منظور: لسان العرب، مج 1، ص: 704. مادة (جنن).

5- إظهار فصاحة القرآن وبلاغته: تكرار القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، تؤدي معنى واحداً أمر صعب، تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة¹.

6- تقرير عقيدة التوحيد وإبطال غيرها: تكرار القصص القرآني يسهم في ترسيخ العقيدة الصحيحة، لأن الأمر - كما تقول العرب - إذا تكرّر تقرّر.

7- تكرار القصص القرآني هو وراء تسمية القرآن بالثاني: قال الإمام السيوطي (ت911هـ) - رحمه الله -: "وأما الثاني: فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثانٍ لما تقدمه. وقيل: لتكرار القصص والمواعظ فيه. وقيل لأنه نزل مرةً بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى،

كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾² 311.

8- بيان تفضيل الأنبياء والرسول: التكرار لبعض قصص الأنبياء يدخل في باب رفع درجات بعضهم على بعض⁴.

9- الوعظ والتذكير: تكرار القصص كان لتثبيت الوعظ والتنبيه من الغفلة، يقول ابن قتيبة (ت276هـ) في هذا: "وأما تكرار الأنبياء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض: تيسيراً منه على العباد، وتدرجاً لهم إلى كمال دينه،

¹ - ينظر: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، ص: 61.

² - سورة الأعلى، الآية: 18.

³ - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 117.

⁴ - ينظر: عبد الحليم ريوقي: بلاغة تكرار القصص في القرآن الكريم، مجلة الجمع الجزائري للغة العربية، الجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر العاصمة، مج14، ع1، 25 جوان 2018، ص: 84.

وَوَعَظْ بَعْدَ وَعْظٍ: تنبيهاً لهم من سِنَةِ الغفلة، وشَحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّدِ الموعظة، وناسخٍ بعد منسوخٍ: استعباداً لهم واختباراً لبصائرهم¹.

10- أخذ العبرة من العداوة بين بني آدم وإبليس: فقد تكررت قصة آدم "لتنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير! ولما كان هذا موضوعاً خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى"².

11- تسليّة وتثبيت قلب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-: فقد وقع له ما اتفق للأنبياء مثله مع أمهم قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖ فَوَّادِكُ﴾³⁻⁴.

12- إبراز صدق القرآن الكريم: فتكرار القصص في القرآن يظهر صدق القرآن وأنه من عند الله حيث تأتي هذه القصص متنوعة بالتكرار بدون تناقض.

13- إظهار خاصّة القرآن: "حيث لم يحصل مع تكرار ذلك [القصص] فيه هُجْنَةٌ* في اللفظ، ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلوقين"⁵.

¹ عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص: 232.

² سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 154.

³ سورة هود، الآية: 120.

⁴ ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 638.

* الهُجْنَةُ من الكلام: ما يعيبك. (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مج6، ص: 4625. مادة (هجن)).

⁵ فراس يحيى عبد الجليل: تكرار ألفاظ النصوص القرآنية وأثرها في تنوع المعنى، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، الرمادي، العراق، مج10، ع 40، س 10، 2019، ص: 23.

14- تحقيق الالتداذ بمعاني مشاهدتها: تفرق معاني القصة الواحدة في مواضع مختلفة يحقق

"ميلا إلى سماعها لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتداذ به مستأنفة"¹.

15- بيان أن دعوة الرسل واحدة والشرعية واحدة: "فكان من أغراض [تكرار] القصة بيان

الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة"².

16- خلق صور جديدة وتحقيق الفهم: يدخل التكرار الواقع في القصص القرآني في "باب

إعادة الصياغة التي تمنح النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة، كما أنه يساعد على الفهم والتفسير، إذ لا بد أن يسهم أحد مواضع التكرار في فهم سائرهما، فهو ضرب من التوليد ونوع من الترادف يؤثر في ديناميكية النص وينتج تأويلات متعددة واحتمالات كثيرة وصورا جديدة"³.

فتكرار قصص الأنبياء في القرآن الكريم وجه من وجوه الإعجاز وسر دقيق من أسرارها، "وقد كرر القرآن قصصهم فأبدأ وأعاد، وأجمل وفصل، في أسلوب معجز في تشابهه ونظمه، قوي في تأثيره وفعله، شديد في ردعه وزجره، لطيف في دعوته واستمالته"⁴.

¹ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 639.

² - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 151.

³ - فاطمة أيوبي وآخرون: جمالية التكرار في القصة القرآنية، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، جامعة البعث، سوريا، مج39، ع17، س2017، ص: 117.

⁴ - عبد الرحمن محمد الشهري: التكرار مظاهره وأسراره، رسالة ماجستير، إشراف: علي محمد حسن العماري، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1983، ص: 274.

وإذا كانت بعض العبارات أو المعاني تكررت، فإنَّ التكرار لم يكن لمجرد التكرار، بل هو تجديد للمعاني، وليس ترديدًا، والفرق بين التجديد ومجرّد التّرديد أنّ التّرديد يكون تكرارًا لا غاية لها، أو يكون لمجرد التّوكيد¹، وتكرار القرآن ليس على هذا، فإنه يكون لغاية لا تتمّ إلا به.

5-1- نماذج لبلاغة تكرار السرد القصصي في القرآن الكريم

لكي يتبين لنا ذلك نذكر قصة سيدنا موسى -عليه السلام- مثالاً عن بلاغة تكرار السرد وأسراره في القصص القرآني.

قصة سيدنا موسى -عليه السلام- تكرر سردها في القرآن الكريم كثيراً، إذ كرّرت مع فرعون وبني إسرائيل سبع عشرة مرة متباعدة في الطول والتفاصيل، وذكر اسمه مئة وواحد وثلاثين مرة، "لأنه هو الذي نزلت عليه التوراة، وفيها المبادئ المقررة في الشرائع السماوية، وكثير من أحكام المعاملات فيها لم ينسخ، بل جُلها صدق عليه القرآن الكريم، كما وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾²، ولأنها تبين أحوال اليهود، ولأن فيها أوصافهم الحقيقية من الشك والتردد في الحق، وخذلانه، وما وسموا به من خنوع وخضوع إلى آخر ما ذكره القرآن عنهم"³.

ولن نحصى كل المشاهد بل سنقتصر على ما بعضها.

¹ - محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن "نزوله- كتابته- جمعه- إعجازه- جدله- علومه- تفسيره- حكم الغناء به"، دار

الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 194.

² - سورة آل عمران، الآية: 50.

³ - المصدر السابق، ص: 182، 183.

5-1-أ/ مشهد رؤية سيدنا موسى -عليه السلام- النار

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هَدًى ۖ﴾¹

وفي سورة النمل يقول الحق سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُم مِّنْهَا خَبْرٌ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۖ﴾²

وفي سورة القصص ورد قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۖ﴾³

المشهد واحد والموقف واحد، ولكن في سرده اختلاف في بعض المفردات، إلا أن المعاني واحدة في آيات السور الثلاث، فقد اشتملت الآيات على حدثين:

- رؤية سيدنا موسى -عليه السلام- النار.

- أمره أهله بالكموت حتى يأتيهم بقطعة يتدفؤون بها، أو يجد خبراً هناك يهتدون به.

لكن يلاحظ في هذه الآيات ما يلي:

- زيادة "امكثوا" في طه والقصص دون النمل.

- قوله: "لعلّي" في طه والقصص. وقوله: "ساتيكم" في النمل.

- قوله: "بقبس" في طه و"شهاب قبس" في النمل و"يجذوة من النار" في القصص.

¹ - سورة طه، الآيتان: 9، 10.

² - سورة النمل، الآية: 07.

³ - سورة القصص، الآية: 29.

- قوله: "أو أجد على النار هدى" و "خبر" في كل من النمل والقصص.
- أما الزيادة في مكان دون آخر كزيادة (أمكثوا) في طه والقصص دون النمل فهذا لا اعتراض عليه من حيث الإجمال في سورة والتفصيل في أخرى. أو الاكتفاء بما ذكر في إحدى السورتين وحذفه في الثالثة¹.
- وأما قوله: (لعلي) في طه والقصص التي تفيد الرجاء و(سآتيكم) التي تفيد اليقين في النمل. فالجواب على ذلك: أن مقام الخوف في طه والقصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن. ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر، ثم إن كل تعبير مناسب لجو السورة الذي وردت فيه القصة²، وعلى هذا فلا تعارض بين ما وقع في طه والقصص وما وقع في النمل.
- أما قوله: (بقبس) و(شهاب قبس) و(جذوة من النار) باختلاف العبارات في ذلك من سورة لأخرى في السور الثلاث فيجاء عن ذلك بأن الجذوة: القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار أو لم يكن³. والشهاب: شعلة نار ساطعة⁴. والقبس: شعلة من نار⁵، فهي في السور الثلاث تؤدي معنى واحدا.

¹ - ينظر: أمين محمد عطية باشا: التكرار في القصص القرآني "دراسة تطبيقية على قصة موسى -عليه السلام-"، د. دار نشر، د. ط، د. ت، ص: 27.

² - ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التتريل، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 2003، ص: 94، 93.

³ - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د. ط، 1989، ص: 46.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 306.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 456.

"وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف، ذكر الجمرة وفي غير موطن الخوف، ذكر الشهاب القبس"¹، وهنا نجد أن ما نطق به موسى -عليه السلام- من الكلمات الثلاثة يدل على معنى واحد وهو (شعلة من نار) لكن كل كلمة وضعت بما يناسب الجو العام للسورة.

● وأما قوله: (أو أجد على النار هدى) في طه و(خبر) في كل من النمل والقصص. فلا فرق بين التعبيرين "لأن الخبر الذي يتأتى به هو أن يجد على النار ما يهديه ويخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره، ووجوده الهدى وأن يخبر بخبر اهتدائه في طريقة أو غيره شيء واحد لا اختلاف فيه"².

وبهذا نرى أن الآيات في السور الثلاثة تصور مشهدا واحدا حصل لموسى -عليه السلام-

وكل تعبير وضع في مكانه المناسب، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾³.

5-1-ب/ مشهد وصول سيدنا موسى -عليه السلام- إلى النار

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ۖ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ ﴿١٢﴾﴾⁴.

وفي سورة النمل قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴿٨﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴿٩﴾﴾⁵.

¹ - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص: 96.

² - محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي: درة التزليل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار

الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص293.

³ - سورة آل عمران، الآية: 62.

⁴ - سورة طه، الآيتان: 11، 12.

⁵ - سورة النمل، الآيتان: 8، 9.

وفي سورة القصص قوله: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوبِي إِلَىٰ نَا أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾¹.

تسرد الآيات مشهدا واحدا، لكن الاستعمال القرآني مرة وظف الفعل (أتى) ومرة الفعل (جاء)، فما تعليل ذلك؟

● لقد خصت سورة طه بلفظ الإتيان دون المجيء لكثرة وروده فيها نحو: ﴿ فَأَيْنَهُ ﴾، ﴿ فَلَنَاتِنَنَّكَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَتَى ﴾، ﴿ ثُمَّ آتُوا صَفًّا ﴾، ﴿ حَيْثُ أَتَى ﴾².

كما خصت سورة النمل بلفظ المجيء لكثرة وروده فيها نحو: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ تَهُمُ ﴾، ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ ﴾³.

ثم إن المجيء يستعمل لما فيه مشقة وصعوبة، أما الإتيان فهو للأخف والأيسر، وما قطعه موسى -عليه السلام- على نفسه في النمل أصعب مما في طه والقصص، فقد قطع في النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في طه والقصص. والقطع أشق وأصعب من الترجي⁴.

5-1-ج/ مشهد رؤية فرعون وملئه معجزة العصا

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾¹⁰⁶ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ¹⁰⁷ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

¹ - سورة القصص، الآية: 30.

² - سورة طه، الآيات: 47-58-60-64-69.

³ - سورة النمل، الآيات: 13-22-36.

⁴ - ينظر: فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التثنية، ص: 104، 105.

لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ¹

وقوله عز وجل في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ ³⁴ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ ²

● لقد حكى القول في سورة الأعراف على لسان ملاً فرعون (قال الملاء من قوم فرعون)، وفي سورة الشعراء على لسان فرعون (قال للملاء)، فأخبر في الأولى أن قائل ذلك الملاء من قومه، وفي الثانية أن فرعون هو القائل ذلك لملائه وهذا اختلاف ظاهر في الخبرين.

وتفسير ذلك: أن القول في سورة الأعراف قول فرعون ورؤساء قومه (الملاء) أدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه، وإذا كان كذلك لم يخالف ما قاله في الشعراء من أنه قال للملاء حوله، بل يكون هو البادئ بذلك لمن حوله ليؤدّوا إلى من بعد عنه قوله ³.

¹ - سورة الأعراف، الآيات: 106 - 115.

² - سورة الشعراء، الآيات: 34 - 38.

³ - ينظر: محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي: درة التزئيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز،

- وزاد كلمة (بسحره) لمناسبة مقام التفصيل في الشعراء وللتأكيد على السحر فيها، وفيه زيادة تهييجهم ضد موسى -عليه السلام- ليتخذوا رد فعل قوي يناسب قوة التهمة ويناسب ما يعتريه من مشاعر الخوف، وخاصة أن فرعون هو الذي نزل في الميدان ومعه المواجهة¹.
 - وقال في الأعراف (وأرسل) وفي الشعراء (وابعث)، وذلك لكثرة تردد فعل (الإرسال) في الأعراف، فقد تردد ثلاثين مرة، أما في الشعراء فالمقام يقتضي ذكر الفعل (ابعث) دون (أرسل) لأن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة، فإن فيه معنى الإثارة والإنهاض والتهيج².
 - وقال في الأعراف (ساحر) بصيغة اسم الفاعل، وجاء في الشعراء (سحّار) بصيغة المبالغة، وهي تناسب المبالغة في قوة التحدي، وتناسب غضب فرعون واندفاعه للنيل من موسى -عليه السلام-، وهذا يتناسب أيضا مع مقام التأكيد على السحر الذي أكد وكرّر في الشعراء عشر مرات، بينما كرّر في الأعراف سبع مرات، فاسب كل مقام اللفظة التي وردت فيه³.
- وهكذا نلاحظ أن قصة موسى -عليه السلام- لم تكرر بألفاظها وتفصيلاتها في كل موضع، وإنما كرّر عزّ وجلّ بعض المشاهد والحوادث بما يلائم السياق، فاختصر وأجمل وأسهب وفصّل، وكان لكل موضع من مواضع التكرار جماليته وسحره.
- وغني عن البيان أنه كلما تكرر مشهد ذكرت فيه معان جديدة، والسياق هو الذي يحدد القدر الذي يعرض منها في كل مشهد، كما يحدد طريقة العرض والأداء بما يحقق التناسق والجمال الفني.

¹ - ينظر: سامح عبد الفتاح القليبي: إعجاز التكرار في قصص القرآن، ص: 445.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 445.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 447.

كما أننا لا نشعر أن هناك تكراراً مملاً أو نسخاً سمجاً، بل ثمة تنوع من حيث أسلوب العرض ومن حيث زاوية الرؤية، إذ اختص كل موضع بميزة وعبرة لا نجدها في غيره لأن المقصود في السرد القرآني هي المعاني أما الألفاظ فإنها تطرح وفق ما يقتضيه المقام والجو العام للسورة. ثم إن "المقصود من حكاية القصص في القرآن إنما هو المعاني. فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه ولم يكن هناك مناقضة فإن القصة كانت حين وقوعها بأوفى المعاني الواردة ثم إن الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكّر القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من الألفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام"¹.

هذا نزر قليل من بلاغة تكرار السرد في القصص القرآني، وقد يتساءل الدارس عن سبب اختلاف السرد في القصص القرآني مع أن المشهد واحد، فهذا إنما هو "من باب التفنن في الكلام، كما هي طريقة العرب، في ذكر القصة بأساليب متعددة في معنى واحد، تسليّةً للسامع لئلا يملّ من التكرار، وإظهاراً لروعة البيان والجمال"². ففي هذا التكرار إيقاظ للهمم ودفع للعقول إلى التأمل والتدبر.

¹ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي،

القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ج1، ص: 284.

² - أبو يحيى زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم،

بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص: 359.

الفصل الثالث

أدبيّة السرد القصصي في مشاهد

قصص بني إسرائيل

1- التعريف ببني إسرائيل

2- مواضع ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم

3- بحث الأدبيّة في درس الإعجاز القرآني

4- البنية الأسلوبية لمشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم

1- التعريف ببني إسرائيل

إسرائيل: اسم علم أعجمي، ممنوع من الصرف للعلمية والعُجمة، " ولا وزن لكلام من قال: هو عربي مشتق من (سرل) أو (سرأل)، لأن هذا قول باطل"¹، ذلك أن " إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا). بمعنى: عبد أو صفوة، و من (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، أو صفة الله"²؛ ومن أشهر أسماء (بني إسرائيل): العبريون، ويهود أو اليهود.

وقد اختلفت الآراء في سبب تسميتهم بـ (العبريين أو العبرانيين)، ف قيل: إنها نسبة إلى إبراهيم -عليه السلام- لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى، وقيل: إنها نسبة إلى (عبر) وهو الجد الخامس لإبراهيم -عليه السلام-، وقيل: نسبة إلى عبورهم وارتحالهم من موطن إلى آخر، وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان³.

أما عن سبب تسميتهم بـ (يهود أو اليهود)، ف قيل: إنها كلمة عربية من الهوّد: أيّ التوبة، هاد يهود هوّداً أو تهوّد أيّ تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، والتهوّد: التوبة والعمل الصالح⁴، وقيل إنهم سموا بذلك: لأنهم يتهوّدون، أيّ يتحركون عند قراءة التوراة، وقيل إنهم سموا يهوداً نسبة إلى (يهودا) الابن الرابع ليعقوب -عليه السلام-، وقد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصر عليه، ثم اتسعت هذه الكلمة فصارت تشمل جميع العبرانيين، وبني إسرائيل ومن دخل في اليهودية من الأجناس الأخرى.

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن "تعريف وبيان"، دار القلم، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت، ص: 63.

² - محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، مصر، ط2، 2000، ص: 12.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 9، 10.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص: 439.

ولا شك أن هناك فرقا في التوظيف القرآني بين (بني إسرائيل) و (اليهود)، فهو "عندما كان يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- أو كان يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة كان يطلق عليهم بنو إسرائيل، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة بعد هجرته إليها، ويكشف عن نفسياتهم ودسائسهم وتحريفاتهم ويفند شبهاتهم ودعائياتهم وأقوالهم كان يطلق عليهم اليهود، إذن يمكننا أن نقول أن هذا الشعب المعروف في التاريخ، يسمى بني إسرائيل في حياته السابقة منذ يوسف عليه السلام وانتهاء ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم وأخذ اسما جديدا وهو اليهود"¹، والقرآن الكريم يختص استعمال مفردة (بني إسرائيل) بالخطاب المكي، مع بعض الاستثناء الذي ورد في السور المدنية، أما مفردة (اليهود) فورد في الخطاب المدني فقط، من غير استثناء².

وقد وردت كلمة (إسرائيل) ثلاثا وأربعين مرة في القرآن الكريم: مرتان منها اسما آخر لبني الله يعقوب -عليه السلام-، وإحدى وأربعون مرة مضافة إلى (بني)، إخبارا عن (بني إسرائيل).

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات ومصير"، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص: 38.

² - ينظر: عبد الكريم حسين: فضاءات المفردة في الخطاب القرآني، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص: 315، 316.

2- مواضع ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم

من تقنيات السرد القرآني تكرار مشاهد القصة الواحدة في أكثر من موضع، "فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق"¹، والموضوع العام للسورة التي يرد فيها.

وهو ما نقف عليه في قصص بني إسرائيل، إذ تكرر سرد مشاهدته في القرآن الكريم بشكل لم تنله أمة من الأمم، وذلك ما يؤكد أهمية الموضوع في حياة المسلمين كلها، ولعل في التكرار فائدة في التأثير على المسلمين وتذكيرهم المستمر حتى لا ينحرفوا كما انحرف بنو إسرائيل فيحل عليهم غضب الله ولعنته.

وقد أفاض القرآن الكريم في سرد ملامح الإيذاء التي تعرض لها بنو إسرائيل على يد الفراعين، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾².

ثم بعث الله إليهم سيدنا موسى -عليه السلام- رسولا، ليخرجهم من ظلمات الكفر والتعذيب، إلى أنوار التوحيد والاستقرار، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾³ ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾⁴ 105. وواضح من هذا أن موسى -عليه السلام- لم يكن رسولا إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى دينه ويأخذهم بمنهج رسالته، إنما كان رسولا إليهم ليطلب

¹ - فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص: 283.

² - سورة القصص، الآية: 04.

³ - سورة الأعراف، الآيتان: 104، 105.

إطلاق بني إسرائيل ليعبدوا ربهم كما يريدون، وقد كانوا أهل دين منذ أبيهم إسرائيل، -وهو يعقوب أبو يوسف -عليهما السلام-، فبهت هذا الدين في نفوسهم، وفسدت عقائدهم، فأرسل الله إليهم موسى -عليه السلام- لينقذهم من ظلم فرعون ويعيد تربيتهم على دين التوحيد¹.

لكن غرور القوم وعنادهم جعلهم يخالفون موسى -عليه السلام- ومن بعده من الأنبياء ويكثرون جدالهم ثم لا يؤمنون لأنهم كما عبر عنهم القرآن الكريم ﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَوةٍ﴾²، فأهلكهم الله بألوان من العذاب كالطوفان والجراد والقمل والضفادع آيات بيّنات. ولم يخاطبهم الله سبحانه في القرآن إلا بـ (يا بني إسرائيل) دون (يا بني يعقوب) لحكمة تستحق الذكر؛ وهي "أنَّ الله خاطبهم وكأنه يقول لهم ويذكرهم دائماً بيا أبناء من كان عبداً لله! أي خاطبهم الله بنسبتهم لعبادته حثاً لهممهم وتذكيراً بدين آبائهم عظة لهم وتنبهاً من غيهم! إثباتاً للحقيقة الواضحة أنهم أهل لجأ وعناد يحتاجون دائماً إلى تذكيرهم بعبادة الله لكي لا يحدوا! ويا ليتهم يفعلون!"³.

والم تأمل في القصص القرآني المتعلق بهم يجد سرد الأحداث مفصلاً مقترناً بالوصف الدقيق لأحوالهم وأخلاقهم ومواقفهم من الأنبياء. ففي الآيات والسور المكية ذكر لأحوالهم المختلفة في العهود التي سبقت بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، أما في الآيات والسور المدنية فقد تحدثت عن مواقفهم من الدعوة المحمدية، وعما أسبغ الله عليهم من نعم، وما أنزله بهم من نقم، كما

¹ - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج: 5، ص: 2590.

² - سورة البقرة، الآية: 96.

³ - فوزي محمد أبو زيد: بنو إسرائيل ووعدهم الآخرة، دار الإيمان والحياة، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص: 08.

تحدث عن أخلاقهم ورذائلهم وعن مسالكهم المتنوعة لكيد الإسلام والمسلمين¹، بتفصيل وإطالة دون خطئ لأن القرآن إذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً، وزاد فيه²، و"ذلك مبالغة في إفهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ"³.

فالسرد القصصي في القرآن موجز في مواطن الإيجاز أو مبسوط طويل في مواطن الإطالة، دون إخلال أو خطئ بالمعنى الذي يقتضيه المقام أو المشهد، يقوم على نقل الأحداث وما يتعلق بها بلغة متميزة باستخدام أدوات أسلوبية وجمالية تجعل من بنية السرد ذات وظيفة تأثيرية وجمالية بوصف القرآن نموذجاً لفظياً متعالياً لما يحمله من خصائص نوعية تضمن له الفريدة والتميز، "فهو خطاب إلهي مطلق لا نهائي في (دواله/ألفاظه) و(مدلولاته/معانيه)، إنه من أكثر الخطابات إقناعاً وتعبيراً للحقيقة وتفعيلاً للحدث، لا يدخله الخلل أو النقصان"⁴، جاءت تراكيبه على نسق الكلام العربي، وفق نمط خاص مفارق لكل الأنماط التي ألفها العرب، رغم أنه مستمد من لغتهم العربية التي عهدوها لكنه يتعامل معها تعاملًا خاصاً، "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة"⁵، وبذلك شكّل الخطاب القرآني حضوراً أدبياً وجمالياً معجزاً.

والسرد القرآني قائم على تنويع في اختيار الحلقات [القصصية] التي تعرض، ومشاهد كل حلقة، والجانب الذي يختار من كل مشهد، وطريقة عرضه، ما يجعلها جديدة في كل موضع

¹ - محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص: 05.

² - ينظر: عثمان بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، ج1، ص: 94.

³ - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1973، ص: 195.

⁴ - لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، ص: 92.

⁵ - المرجع السابق، ص: 226.

متناسقة معه¹، في أسلوب معجز من البيان والجمال. لأن "حكمة العليم الخبير تعالت كلماته اقتضت ذكرها متفرقة الأجزاء في مواضع، لتكون كل عبرة بجوار خبرها في القصة، ولو اجتمعت في مكان واحد، لاختلطت العبرة بالقصة الخبرية وما تميزت كل عبرة تميزا يجعلها كونا مستقلا بالذات"². فقصاص بني إسرائيل في القرآن الكريم -وغيره من القصص- تمتاز عناصره مع السورة التي يرد فيها و"تسهم في بيان مضمون النص [السورة] وإيضاح معاني الخطاب وتعميق فكرته لدى المتلقي.. في جمال أسلوبه ورونق تعبيره وروعة لغوية ووحدة عضوية في إعجاز متكامل"³، "وكأن القرآن جملة واحدة متراصة كلماتها، ومحكمة في معانيها لا يغشاها اللبس، ولا يعتريها الغموض، تخاطب العقل والقلب في كل زمان ومكان"⁴ بعيدا عن الوهم والخيال أو مخالفة الواقع.

ولقد ذكر (بنو إسرائيل) في القرآن الكريم ما يقارب مائة مرة؛ وردت كلمة (إسرائيل) ثلاثا وأربعين مرة، مرتان منها اسما آخر لنبي الله يعقوب -عليه السلام-، وإحدى وأربعون مرة مضافة إلى (بني)، إخبارا عن (بني إسرائيل)، وسبع عشرة بلفظ (اليهود/هادو)، وثلاث بلفظ (قوم موسى -عليه السلام-)، وواحد وثلاثون بلفظ (أهل الكتاب) المشترك بينهم وبين النصارى*.

وأما قصة (بنو إسرائيل) فذكرت في السور الآتية: البقرة، المائدة، الأعراف، طه.

¹ - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج:5، ص: 2589.

² - محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، ص: 182.

³ - لطفي فكري محمد الجودي: المرجع السابق، ص: 137.

⁴ - أحمد قوفي: مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم "القصص نموذجاً"، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص: 179.

* - اعتمد الباحث في هذا الإحصاء على تطبيق: الباحث القرآني، من موقع: <https://tafsir.app>.

ونشير هنا إلى أن هناك فرقا في التوظيف القرآني بين (بني إسرائيل) و(اليهود)، فهو "عندما كان يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- أو كان يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة كان يطلق عليهم بنو إسرائيل، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة بعد هجرته إليها، ويكشف عن نفسياتهم ودسائسهم وتحريفاتهم ويفند شبهاتهم ودعائهم وأقوالهم كان يطلق عليهم اليهود، إذن يمكننا أن نقول أن هذا الشعب المعروف في التاريخ، يسمى بني إسرائيل في حياته السابقة منذ يوسف -عليه السلام- وانتهاء ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم وأخذ اسما جديدا وهو اليهود"¹.

ونظرا لطبيعة نفسيات بني إسرائيل وعقلياتهم فإن المشاهد القصصية عرضت بسرد عجيب، وترتيب فريد للحوادث، ووصف بديع للشخصيات، ذلك ما جعل لغة السرد القرآني لقصصهم تزخر باللمسات الأدبية والظواهر الجمالية، التي تشكل تربة خصبة لدراسة هذا السرد دراسة نقف فيها على مكامن الأدبية التي تولد فينا عند قراءته شعورا بالرغبة في اكتشاف الخصائص النوعية المؤسسة لخطاب هذا السرد، والتي تضيف عليه إيقاعات جمالية وفنية، وقد وقع اختيارنا على قصة بني إسرائيل في السور الموضحة في الجدول أعلاه، وذلك بعد تقسيمها إلى مشاهد ودراسة كل مشهد على حده.

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات ومصير"، ص: 38.

3- بحث الأدبية في درس الإعجاز القرآني

لا يمكن الحديث عن السرد القصصي في القرآن الكريم بمعزل عن الخطاب القرآني عامة، لأن السرد في القرآن لا ينفصل عن السورة التي يرد فيها، بل هو عنصر رئيس يخدم الموضوع العام للسورة، فالسرد القرآني معجز بسلاسة لفظه وشرف معناه وسمو بيانه، ولقد انكب علماء اللغة على تدارسه وكشف أسرارهِ وجماليته في مستوياته المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية والدلالية التي حققت أدبية السرد القرآني وفرادته، فهو يستوعب قدراً غير متناه من الأساليب التي لم تخل من السمات الفنية والجمالية، من خلال توظيف اللغة توظيفاً بديعاً معجزاً، ما يجعلها مرجعاً لأدبية السرد القرآني.

فأدبية الخطاب القرآني تكمن في "أنه يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقتة التعبيرية على أساس مبادئ للمألوف من طرائقهم، وله أسلوب خاص به لا تجد منه عند أي فن من الفنون العربية المعهودة"¹. ذلك أن القرآن الكريم لا يلتزم بطرائق الشعر أو النثر ولكنك حين تلقيه تشعر بذلك التناسق العجيب والتأثير الفريد رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والوعد والوعيد.

وهو الأمر الذي جعل الوليد بن المغيرة على أن يقول بعد سماع آيات من الذكر الحكيم: "فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلا، وإنه ليحطم ما تحته"²، فقد "أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان

¹ - محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن "تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل"، ص: 133.

² - عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: البشري بالنسخة المسندة من الخصائص الكبرى، تح: نبيل هاشم بن عبد الله الغمري، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2019، مج2، ص: 562.

وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفضلاء، وألغى بلاغة البلغاء...¹.

فالقرآن الكريم ضمّن اللغة العربية شحنات دلالية قوية جديدة، الأمر الذي جعل كل من يسمعه يدرك الفرق بين ما ألفه من كلام عربي وما أنزل منه في القرآن الكريم، وهذا ما جعل العلماء يتتبعون هذه اللغة تفهما وحفظا واستعمالا ودراسة، حتى يتسنى لهم الوقوف على حقيقة ذلك الفرق واكتناه أسرار استعمال التزييل المختلف لهذه الألفاظ، ذلك الاستعمال الذي استطاع تغيير ما في أنفسهم وما حولهم على السواء.

يربط الجاحظ (ت225هـ) أدبية الخطاب القرآني بأدبية العرب، إذ لا سبيل لإدراك الأولى دون الإمام بالثانية، "فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية، وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخر، ولها حينئذ دلالات أخر، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة"². فالقرآن نزل بلغة العرب، لكنه تحداهم على الإتيان بمثله بداية بعشر سور نزولا بعد ذلك عند الآية الواحدة، لكنهم عجزوا عن ذلك لأن بلاغته وفصاحته ونظمه أكبر من أن يضاهيه قول آخر حتى ولو برعوا فيه. فالجاحظ يدعو إلى فهم لغة العرب حتى يتسنى لنا فهم القرآن الكريم وتأويله، فلا يستطيع أي امرئ أن يدرك شيئا منه، وهو ليس من أهل هذا الشأن فقد يهلك ويهلك.

ويظهر اهتمام الجاحظ بأدبية القرآن، من خلال تركيزه على المسائل النظامية البيانية، حين أفاض في الحديث عن المجاز والتمثيل والتشبيه والاستعارة، معللا ومستدلا بآي الذكر الحكيم.

¹ - شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، د.ط، د.ت، ص: 05.

² - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، ج1، ص: 153، 154.

وهو بذلك يؤكد أن القرآن معجزة من حيث تميز أدبيته البيانية عن أدبية العرب، وتفوقها عليها نظما وتأليفاً، أي أن مناط التفوق، إنما هو كيفية الأداء وطريقة التبليغ.

هكذا كان التوجه في المقاربات الإعجازية الأولى، حيث السعي إلى مقابلة أدبية القرآن بأدبية العرب لتحقيق غرضين أساسيين: الأول إثبات جريان القرآن الكريم مجرى سنن القول وفنونه عند العرب، ومن ثم الرد على مزاعم الطاعينين والمشككين، في وقت احتدم فيه الجدل بين الفرق الإسلامية الكلامية من جهة، وفيما بينها وبين غير المسلمين من أهل الديانات والثقافات الأخرى، والتي راحت تمتزج بالثقافة العربية الإسلامية.

أما الغرض الثاني فيتأسس على الأول، ليخلص إلى إثبات آخر يؤكد تفوق أدبية القرآن على أدبية العربي، من حيث أن التجليات الأسلوبية للخطاب القرآني قد تجاوزت كل الطاقات الأدبية.

البشرية "فأقحمت أمراء البيان، وأرباب الفصاحة من العرب وغيرهم وجعلت مجرد التفكير في مجازة أسلوب القرآن وتقليده ضرباً من المستحيل"¹.

ومع أواخر القرن الرابع وخلال القرن الخامس هجريين، بدأ التأصيل للدرس الإعجازي، حيث راحت بحوثه تستقل تدريجياً عن الدراسات اللغوية والنحوية والنقدية، فضلاً عن الكلامية والفلسفية، دون أن تنفصل عنها نهائياً، وإنما اعتمدت مقدماتها وأدواتها في رصد الظاهرة الإعجازية.

وكان من ثمار هذا الاستقلال أن ظهرت مؤلفات شكّل لفظ "الإعجاز" عناوينها الرئيسية، ككتاب "النكت في إعجاز القرآن" لعلي بن عيسى الرماني (ت 386 هـ)، اهتم فيه بالجانب

¹ - صلاح رزق: أدبية النص "محاولة التأسيس منهج نقدي عربي"، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص:20،

البلاغي الذي بلغ القرآن به حد الإعجاز، أكثر من بقية الوجوه التي عددها بقوله: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات، ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقيامه بكل معجزة"¹، فحين جاء إلى تفصيل الحديث في هذه الأوجه استأثر الجانب البلاغي عنده بحصة الأسد، تأكيداً على أنه الجانب الأهم والمقدم عنده في تقرير إعجاز القرآن².

وهذه النظرة الأدبية التي تناول بها النص القرآني يهدف من ورائها "إلى تحقيق معنيين: أحدهما متعلق بالأثر النفسي للبلاغة، وهو إيصال المعنى إلى القلب، والثاني: متعلق بالأسلوب أو الصورة البيانية للبلاغة: من اللفظ والصياغة أو النظم، وهو: في حسن صورة من اللفظ، وهو بهذه التحديد لمفهوم البلاغة يضع عنواناً لهذه المجموعة من الخصائص الأسلوبية والجمالية في البيان، كما أنه بهذا التجديد يشير إلى أن الغرض المنشود من وراء كل فن من فنون القول هو تحقيق أثره البالغ في النفوس"³. وفي هذا الكتاب قنن للكثير من الفنون البلاغية، وحدد أقسامها بدقة من خلال الدرس الإعجازي، وبذلك عبّد الطريق لمن جاء بعده، حيث استفاد من آرائه جل النقاد والبلاغيين اللاحقين⁴.

وكتاب "بيان إعجاز القرآن" لأحمد بن محمد إبراهيم الخطابي (ت 388 هـ) الذي عرض فيه أوجه الإعجاز القرآني عند سابقه من الإخبار عن الأمور المستقبلية، والإعجاز بالصرفة -

¹ - علي بن عيسى الرماني: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص: 75.

² - ينظر: أحمد سيد عمار: نظرية الإعجاز وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1998، ص: 78.

³ - صلاح الدين محمد عبد التواب: النقد الأدبي "دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2003، ج 1، ص: 61.

⁴ - ينظر: عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص: 176، 177.

الذي رفضه الخطابي-، إلى الإعجاز البلاغي، وهو في ذلك يرد على وجهة كل فريق "ردّا ينمّ عن إدراك الرّجل لقضيّة الإعجاز في خصوصيتها الأدبيّة التّظيمية من جهة، وفي طبيعتها الشّمولية من جهة أخرى"¹، ويرى الخطابي أن القرآن الكريم تحقّقت فيه الأدبيّة من حيث فصاحة اللفظ، وصحّة المعنى في رباط نظمي حسن التّأليف، يقول في هذا الشّأن: "واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف، مضمناً أصح المعاني"²، فأدبيّة الكلام عنده تتحقّق حين "وضع كل نوع من الألفاظ التي تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه، إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"³، وذلك مناط الإعجاز عند الخطابي، لأنّ تصريف الكلام وفق هذا النحو ممّا يعجز عنه البشر أن قدرتهم قاصرة عن رصد "جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون اتّلافها وارتباط بعضها ببعض"⁴. ويضرب لذلك مثالا "عن ظاهرة (الترادف) في اللغة، فينبهنا -بحس الخبير اللغوي المتأدّب- إلى أن الألفاظ مهما تماثلت معانيها وتقاربت لا تصل إلى حد التساوي المطلق في الدلالة"⁵ كالعلم والمعرفة، والحمد

¹ - رشيد بن يمينة: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. محمد عباس، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2008-2009، ص: 35.

² - أحمد بن محمد إبراهيم الخطابي: بيان إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ص: 27.

³ - المصدر نفسه، ص: 29.

⁴ - المصدر نفسه، ص: 27.

⁵ - المرجع السابق، ص: 36.

والشكر، والبخل والشح... مؤكداً أن "لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضهما"¹.

من ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ قَالُوا يَتَّبِعَانَا إِنَّنا ذَهَبًا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾²، يبرر الخطابي إسناد (الأكل) للذئب بدل (الافتراس) قائلاً: "فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إذا ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم بإهم بأثر باق منه شهيد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل"³.

إن الخطابي إذ يقرر مسوغات اختيار الخطاب القرآني لفظ (الأكل) دالاً بدل (الافتراس)، "فلارتباط مدلول الأول بسياق الموقف القصصي المعني بإبعاد يوسف -عليه السلام- عن والده كلية، وإخفائه عن أنظاره حياً أو ميتاً. وكأن الخطابي، وعياً منه بكثافة التعبير القرآني، قد أدرك تلك الفجوة المحذوفة في سياق سعي الإخوة المعتدين إقناع يعقوب -عليه السلام- بموت ابنه من جهة، وتبرئة أنفسهم من دمه من جهة ثانية، فبادر إلى استحضارها وتصورها انطلاقاً من قرينة (الأكل) بوصفها علامة دالة"⁴.

¹ - أحمد بن محمد إبراهيم الخطابي: بيان إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ص: 29.

² - سورة يوسف، الآية: 17.

³ - المصدر السابق، ص: 41.

⁴ - رشيد بن يمينة: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، ص: 38، 39.

وهذا ملمح أسلوبى من ملامح الدرس الإعجازى عند الخطابي، حيث التأكيد على وظيفة السياق في تحديد الدلالة المقصودة إذ "إن أهم ما يعول عليه في تجاوز المعنى الحرفى المباشر، إلى المعنى لأسلوبى المفارقى، هو السياق"¹، كما أن الأسلوب نفسه يعرف "بأنه تنوع لغوى مرتبط بالسياق"².

وكتاب "إعجاز القرآن" لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلاى (ت 403 هـ)، تحدث فيه عن أوجه إعجاز القرآن الكريم (الإخبار عن الغيوب، الإعجاز القصصى، الإعجاز البلاغى)، "ويمكننا حصر أهم المسائل والمحاور التى تناولها الباقلاى فى سياق حديثه عن السردية الإعجازية فى ثلاثة محاور أساسية: محور يخص الكلمة فى القرآن، مفردة كانت أو جملة، وآخر يتعلق بالنظم والفاصلة، أما الأخير فمحاله التصريف أو تنوع طرق عرض القصة الواحدة"³.

من ذلك وقوفه عند كلمة (ليأخذوه) فى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ﴾⁴ وكذلك حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ⁵ قائلًا: "وجه الوقوف على شرف الكلام، أن نتأمل موقع قوله (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) وهل تقع فى الحسن موقع قوله (ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقامه فى الجزالة لفظة؟ وهل يسد مسده فى الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك "ليقتلوه" أو

¹ - محمد العبد: المفارقة القرآنية "دراسة فى بنية الدلالة"، دار الفكر العربى، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص: 39.

² - المرجع نفسه، ص: 41.

³ - رشيد بن يمين: جمالية السرد الإعجازى "بحث فى اتجاهات دراسة القصص القرآنى"، ص: 48.

⁴ - سورة غافر، الآيات: 5، 6.

"ليرجموه" أو "لينفوه" أو "ليطردوه" أو "ليهلكوه" أو "ليذللوه"؟ ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا ولا بارعا، ولا عجيبا، ولا بالغا¹.

ثم يردّ بلهجة الناقد الناصح قائلا: "فانقد موضع هذه الكلمة، وتعلم بها ما تذهب إليه من خير الكلام، وجميل الألفاظ، والاهتداء المعاني"².

ولا يقف الباقلاني عند حدود المفردة القرآنية فحسب بل يتعداها إلى التركيب وبديع نظمها، "وحين ينتقل الباقلاني بين عينات مختارة من القصص القرآني مقتفيا معالم الجمالية الإعجازية عبرها، نقف على مدى وعي الرجل بطبيعة النظم القرآني في بنية الخطابية الشمولية، إذ نلفيه يرصد مظاهر انسجام النص القرآني، واتساقه تركيبا ودلالة، وصولا إلى إثبات تماسكه، وتلاحم آياته وسوره كأنها كلمة واحدة"³.

ومن الشواهد التي وظفها الباقلاني في هذا السياق مشهد رؤية موسى -عليه السلام- النار من جانب الطّور، فيبسط أمامنا ثلاث صيغ حوارية لهذا المشهد: الأولى في سورة "النمل":

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ -إِتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

تَصْطَلُّونَ﴾⁴ والثانية من سورة "طه": ﴿إِذْ بَرَأْنَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

¹ - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ص: 143.

² - المصدر نفسه، ص: 143.

³ - رشيد بن يمينة: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، ص: 49.

⁴ - سورة النمل، الآية: 7.

لَعَلِّيْ ءَايَتِكُمْ مِّنْهَا يَّقْبَسِ اَوْ اَجِدْ عَلٰى الْبَارِ هُدًى ﴿١٠﴾¹ أما الثالثة ففي سورة القصص: ﴿لَعَلِّيْ ءَايَتِكُمْ مِّنْهَا يَخْبَرِ اَوْ جَذُوَّةٍ مِّنَ الْبَارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَ﴾².

"إن هذا التنوع الأسلوبي في عرض الواقعة الواحدة أو وصف الموقف نفسه، يعد في نظر الباقلاني معلما بارزا من معالم انسجام الخطاب القرآني، وهو يقوم هنا على علاقة التكرير أو التصريف* -بتعبير القدامى- التي من شأنها أن تحقق للموضوع الواحد وحدته الدلالية مهما تعددت وتنوعت صيغ عرضه؛ في الوقت الذي تكشف فيه طرق العرض تلك عن طاقات تعبيرية جمالية لا محدودة للأسلوب القرآني، فيكون اجتماع هذه بتلك من أقوى الدلائل على إعجازه الخارق"³، أو كما يقول (الباقلاني) معلقا على الآيات السابقة: "قد تصرف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم وأظهر للحجة عليهم. وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها"⁴.

ثم يعود المؤلف ليربط المشهد السابق، كما ورد في سورة "النمل"، بلاحقه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي الْبَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁵ "ليكشف لنا عن ملمح آخر من ملامح انسجام النص القرآني، ذاك المتعلق بتسلسل وترابط آياته في نسق دلالي منظم،

¹ - سورة طه، الآية: 10.

² - سورة القصص، الآية: 29.

* - **تصريف القول:** "هو المغايرة في طرائق العرض، والتنوع في أساليب الصياغة والتعبير، وهو مظهر إعجاز البيان القرآني المتفرد". (احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام"، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2018، ص: 39).

³ - رشيد بن عينة: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، ص: 50.

⁴ - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ص: 137.

⁵ - سورة النمل، الآية: 8.

ترفده جملة من الأدوات والآليات والقرائن اللغوية والمعنوية كالعطف، والفصل والوصل، والفاصلة وغيرها من الروابط التي تحقق للنص اتساقه وتماسكه. يربط المؤلف بين المشاهد الحوارية في بداية سورة النمل كما وردت متسلسلة عبر الآيات حتى قوله تعالى: ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾¹ ليعتبرها حلقات موصولة في رباط نظمي محكم² شارحا ذلك بقوله: "فانظر إلى ما أجرى له الكلام من علو أمر هذا النداء، وعظم شأن هذا الثناء، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الربوبية، وما دل به عليها؛ من قلب العصا حية، وجعلها دليلا يدلّه عليه، ومعجزة تهديه إليه"³.

ثم يردف منوها بالبعد البلاغي لهذا النظم، مشيدا -بشكل خاص- باللمسة البيانية في اختيار اليد البيضاء معجزة وبرهانا، كناية عن نور اليقين وصفائه من كل شائبة "وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثم ما شفع به هذه الآية، وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء"⁴.

هذا بالإضافة إلى مصنفات أخرى كثيرة، لعل أبرزها كتاب عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) الموسوم بـ "دلائل الإعجاز"، حيث ظهر أن أولى تلك الدلائل الإعجازية له هي ما اتصلت بتكوينه الأسلوبي والبياني، فأعجز أهل اللغة البارعين في فهم غاياتها، والعارفين سبل دلائلها، إذ "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع

¹ - سورة النمل، الآية: 12.

² - رشيد بن ميمنة: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، ص: 51.

³ - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ص: 137.

⁴ - المصدر نفسه، ص: 137.

راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مَضْرِب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعُشرا عُشرا، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمةً يَنبُو بها مكانها ولفظةً يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخْلَق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتثاماً، وإتقاناً وإحكاماً¹. فبلاغة الخطاب القرآني مظهر إعجازه وهي الأداة التي تساعد في إيصال المعنى إلى المتلقي والتأثير فيه من خلال تخير اللفظ المناسب لأنه أصل الذي تصاغ به المعاني

فالتعبير القرآني رافد إعجازي خارق قوامه الصواغات القرآنية التركيبية والتكثيف الدلالي، فهو ينطوي على عنصرين مهمين هما:

-الصواغة الأدبية ذات الصلة بالبنى النصية والسياقات النصية المختلفة.

-الدلالة التي تتسع لتحمل معها وظائف إفهامية وتشريعية وإخبارية وإرشادية وجمالية وإيحائية تقوم على تآلف غريب عجيب بين الفنية والمضمون المتعدد المشارب².

وبهذا انتقل البحث إلى تحليل الظاهرة الإعجازية، والسعي للكشف عن مقوماتها الجمالية في تساميتها الضمني.

ومع انقضاء المرحلة السابقة، لم تتوقف الاجتهادات في هذا الميدان، بل صارت الحاجة أكثر ضرورة لإدراك سر الإعجاز واستجلاء طبيعة أدبيته، ولم تعد تلك المسلمات، والأحكام التقديرية لتشبع فهم الباحثين والنقاد، وتقنع المجتهدين المبدعين منهم خاصة، نخص بالذكر أحد

¹ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 39.

² - ينظر: صباح عباس عنوز: إعجازية التكوين الأسلوبي في النص القرآني ومهمتا البيان التفسيرية والتأويلية، المركز الإسلامي الثقافي، حارة حريك، لبنان، ط1، 2017، ص: 26، 27.

أقطاب البلاغة وأعلام النقد في التراث العربي ذاك هو الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي استثمر في إنتاجه الإبداعي النقدي انجازات سابقة وعبد الطريق للاحقيه.

تناول عبد القاهر الجرجاني موضوع الإعجاز في سياق نظرية "النظم" التي تبناها في التقعيد والتحليل النقديين لمختلف الخطابات الأدبية، مواصلا بذلك ما درج عليه بعض سابقيه، من التعويل على النظم في صناعة الكلام، ولكن بنظرات أدق، وتناول أعمق.

من هذه المنطلقات أسس عبد القاهر لأدبية الإعجاز، حيث نفى تحققها في الكلم مفردة، أو في إيقاع الفواصل المتناغمة وحدها، أو اختصاصها بالاستعارة وضروب المجاز مفردة... وإنما مناط تلك الأدبية ليس إلا أن يكون في النظم والتأليف، والنظم هنا لا يعني توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلام فحسب، بل يقتضي استحضار البعد البلاغي الجمالي أيضا، فتكون الأدبية الإعجازية ثمرة اللحمة بينهما.

وعلى منوال هذا التنظير الدقيق، والتحليل العميق، مضى الجرجاني في استكناه جمالية الخطاب القرآني، مستدلا "على منهجه الأدبي في تفهم آي القرآن الكريم بسمو النظم فيها، وما ينسجم فيه من أوامر التناسق، وتآلف كلماته بالتضامن والترابط إلى بعضها، وهو يستعين بالدراسة البلاغية والنقدية في استذواق كاف لاستخراج النتائج المحللة بالعلة والتفسير"¹. لتتصافر نظرية الإعجاز القرآني وأدبية الخطاب معا لبيان إعجاز هذا الكتاب الخالد من ناحية، وحمايته من الاختراق من ناحية ثانية².

وكتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، وهو تلخيص لكتابي (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، ونجد الرازي يتحدث في

¹ - محمد عباس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1999، ص: 77.

² - ينظر: عمر حسن القيّام: أدبية النص القرآني "بحث في نظرية التفسير"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2011، ص: 12-14.

مقدمة كتابه عن إعجاز القرآن وشرف الفصاحة، ثم يبسط القول في الحديث عن مفردات القرآن ونظمه، وكتابه أقرب إلى روح كتابي عبد القاهر الجرجاني لولا بعض الملاحظات فقد كان ينهل في بحوثه من معين عبد القاهر، وفي هذا يقول: "ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاهد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراعت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير، وضبطت أَوَّابَ الإجماليات في كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الإطناب الممل والاحتراز عن الإيجاز المخل"¹.

ومن هنا فقد كانت نظرات دارسي الإعجاز في النص القرآني نظرات جمالية جزئية تحتفي بحسن الكلام وانتظامه من خلال مراعاة التناسب والتنسيق والمواءمة، وهذا الاهتمام بالقيم الجمالية الأدبية في الخطاب القرآني تبلور في إظهار أدبية القرآن وفرادته.

ولعل توفر هذه المرجعية النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب القرآني هو ما دفع الباحثين المعاصرين إلى الإفادة مما أنتجته السردية المعاصرة وانتخاب ما يتناسب مع طبيعة الخطاب القرآني بهدف "استجلاء آفاق جديدة من عالم القصة القرآنية وتقنياتها التي تتلاقى وتتلاقح -في معظمها- مع السردية الحديثة التي يكرسها النقد الأدبي الحديث والمعاصر"².

في حين نجد باحثين آخرين يتحفظون على مثل هذا الطرح، أو بالأحرى على المبالغة في الانسياق وراءه وإذا كانوا لا يمانعون من الاستفادة والاستعانة بالعدة الإجرائية الحداثية المعتمد في تحديد الميكانيزمات السردية للخطاب الوضعي فإنهم بالمقابل يحرصون على التنبيه إلى خاصة

¹ - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 25.

² - شارف مزارى: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية "دراسة"، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص: 27.

المفارقة الجذرية بين ذلك الخطاب وبين المعطى السردى القرآني من حيث مصدرية الأخير المحيلة على الله، والمحددة الغاية في السعي إلى تحقيق القابلية لدى المتلقي لمعانقة عقيدة التوحيد¹. ومن ثم "فالسارد القرآني كلي، يتحرك بالمسرود في ضمن وعي مسبق لا شأن لمنطق الصدفة أو المفاجأة في برنامجه القصصي، وما يسرده، هو مقصوص يحيل على وقائع لها واقعيتها التاريخية، أو لها موضوعاتها الواقعية أو هي تجسد سردتها الفكرة المنسجمة مع روح العقيدة التوحيدية"².

لذلك كانت "محاولة الخوض في أدبية الخطاب القرآني مغامرة تكتنفها المزالق من كل صوب، بالنظر لما يطبع أدبية الإعجاز من خصائص إفضائية، تلامس مع الخارق، أو مع ما يمكن أن يسمى: ميتافيزيقيا الجمال"³. فالمغامرة مردها إلى الفارق بين الخالق والمخلوق، وإلى طبيعة الخطاب القرآن من حيث هو كلام الخالق المعجز.

ولكن عملا بقول الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾⁴ فإنه لا مناص لنا من أن نعتبر النص القرآني كيانا متفردا، هو وحي سماوي، خارج عن التحيز الذاتي، ومن ثمة فإنه لا مجال لسير كنه أدبية القول القرآني بمسير الإبداعية الإنسية، رغم أنها أدبية تجانس أدبية العرب من حيث مظاهر التشكل والتمظهر، إلا أن النص القرآني بحكم طابعه الإلهي يتأبى إلى حد كبير أن يضاء بعدة إجرائية وضعية⁵، لأن الإعجاز القرآني فوق أدبية العرب والعدّة الإجرائية.

¹ - ينظر: سليمان عشراقي: الخطاب القرآني "مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي"، ص: 195.

² - المرجع نفسه، ص: 196.

³ - المرجع نفسه، ص: 3.

⁴ - سورة النساء، الآية: 82.

⁵ - ينظر: المرجع السابق، ص: 3-5.

ولكن هذا لا ينفي البحث في النص القرآني وملامسة جمالياته بمصطلحات نقدية حديثة كالسرد، والحدث والشخصية والحوار... مع تحفظ وحذر من الطعن في خصوصيات القرآن الكريم وقديسيته لأن أدبية القرآن لا شريك لها.

ولذلك سيكون مفهوم الأدبية على اتساعه ومرونته وبحسب الدلالة التي خصصناه بها في مدخل هذا البحث، إطاراً تطبيقياً للتدليل على خصوصية السرد القرآني لقصاص بني إسرائيل من حيث استشفاف بنيته الأسلوبية التي لها خصائص تشكيلية وبنائية جمعت بين البعد النفعي والبعد الجمالي اللذين لا يقوم أحدهما دون الآخر، وهو ما يدفعنا إلى الوقوف على المفردات والتراكيب التي وظفها القرآن في سرد قصص بني إسرائيل لرصد ما توافرت عليه من مميزات تحقق البعد الجمالي لهذا السرد.

4- البنية الأسلوبية لمشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم

دراسة البنية الأسلوبية لقصص بني إسرائيل في القرآن الكريم هي تحليل عناصر الأدبية الجمالية الموظفة توظيفاً بديعاً معجزاً لغاية أدبية إمتاعية وتأثيرية إقناعية تتجاوز مستوى الإخبار، فدراسة أدبية السرد لقصص بني إسرائيل على مستوى الأسلوب، تتيح لنا فرصة البحث في القيم الجمالية لسرد هذه الأحداث والتي تقيم تجانساً بين المبنى والمعنى يحقق بُعدي الإمتاع والإقناع. ذلك أن "ما هو مهمّ في دراسة القصة - فيما يرى بروب Propp - هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، وليس السؤال عن فعل هذا الفعل، أو كيف فعله؛ فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع فحسب"¹، ولا شك أن تلك الأحداث التي تقوم بها الشخصيات هي بنية مكتملة تحمل معناها الخاص، قوامها المبنى والمعنى أو ما اصطلح عليه في النقد: ثنائية اللفظ والمعنى.

ولأن قصص بني إسرائيل من القصص الذي وردت مشاهد مفرقة في سور عدة تبعا لمناسبة سياق السورة، وتحقيقاً لهدفها العام، فقد سعينا في هذا البحث التطبيقي إلى جمع تلك المشاهد وترتيبها حسب تسلسلها التاريخي، بغية تركيب وحدة قصصية من شأنها أن تسهل - في رأينا - معالم الدراسة والكشف عن مواطن أدبية السرد وجمالية النظم القرآني فيها مع الاستفادة في ذلك بآراء العلماء والدارسين.

¹- V. Propp, Morphologie du conte, Traduction française, Ed. du Seuil, coll. Points, 1970, p. 31

نقلاً عن: محمد مشرف خضر: تجليات الإعجاز السرد في قصص القرآن، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، محافظة دسوق، مصر، د.ط، 2024، ج1، ص: 26.

والسبب في جمع وترتيب هذه المشاهد وفق التركيب العام للقصص لأن عزل كل مشهد عن آخر يبذل طاقة القصة ويذهب التلاحم الذي يكسبها فاعليتها النابعة من الاندماج الكلي في البناء العام والوحدة القصصية.

4-1- دراسة مشهديات قصص بني إسرائيل

في هذا الفصل التطبيقي اتبعنا آلية تحليل ارتكزت على خطوات ثلاث:

أ/ بيان التدرج المشهدي لقصص بني إسرائيل في القرآن الكريم، والتي شملت ستة مشاهد.

ب/ عرض آيات كل مشهد من المشاهد قبل تحليله.

ج/ شرح تفصيلي لأهم الأحداث الكبرى التي وقعت في كل مشهد.

د/ البحث في أدبية وجمالية المشهد القصصي من خلال الحديث عن معاني ودلالات الآيات في الدرس التفسيري والإعجازي، دون فصل بين المفردة والتركيب، فمرة تستوقفنا التفاتة دلالية لكلمة أو جملة، ومرة تستوقفنا التفاتة أسلوبية، وهكذا يتم الحديث عن الأدبية والبنية الأسلوبية لمشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم من خلال الحديث عن دلالات الآيات ومعانيها. وقد اهتمنا لهذه المنهجية أثناء التحليل حين تعمّر علينا التعامل مع الأسلوبية السردية للخطاب القرآني، فهي أسلوبية إعجازية، لا تركز على عناصر القصة منفصلة عن بعضها أو معزولة عن لغة القرآن الكريم، إنما هي أسلوبية تسرد المشهد وأحداثه بلغة بديعة وأدبية سرديّة، يكون المشهد فيها حاضراً أحياناً في مفردة واحدة، وأحياناً في جملة من الآيات، فاختارنا استنطاق الأدبية وأسلوبية السرد القرآني من خلال استنطاق دلالات المفردات ومعاني الآيات التي تشكل نقطة ارتكاز المشهد وتتضح من خلالها أسلوبية السرد القرآني في توظيف المفردات والتراكيب توظيفاً معجزاً يحرك عواطف المتلقي ويشد انتباهه، ويجعل المشهد حيّاً بين ناظره، وعدّتنا الإجراية في ذلك هي شروحات القدامى والمحدثين وتخريجاتهم البلاغية التي لا تمس بقداسة

الخطاب القرآني - نص المدونة القرآنية موضع التحليل-. ولدراسة المشهديات في قصص بني إسرائيل ارتأينا أن نخرج بدءاً على مفهوم (المشهد)، هذا المصطلح الذي تتجاذبه عدة فنون كالرسم والمسرح والأدب، ويختلف مفهومه تبعاً لذلك.

مفهوم المشهد

لغة: يحيل المشهد في اللغة إلى مجمع الناس، أو محضر الناس¹. فهو يرتبط في مدلوله اللغوي بالمكان العامر بالناس الذين يمنحونه حيوية وحركة.

اصطلاحاً: تعددت تعريفات الدارسين لمصطلح (المشهد)، ولعل أجمعها -في نظرنا- أن المشهد "هو الخطاب الذي يتساوى فيه -نسبياً- حجم النص مع زمن المتن أو الحكاية، ويأتي على شكل سرد تتوالى فيه الأفعال بحيث يشعر القارئ بتطور الحدث و تناميّه، ويشعر أن النص غطى مدة زمنية مناسبة، وقد يأخذ المشهد شكل الحوار وهذا الشكل هو الغالب على المشاهد حيث تتساوى أحياناً مساحة النص مع زمن الحكاية"².

وبالتالي يعمل المشهد على التقليل من السير السريع للسرد حتى يتساوى بذلك حجم المتن الحكائي مع المبنى المجسد في النص، وهو بذلك تعبير للشخصيات عن الآراء عن طريق الحوار القائم بين اثنين أو أكثر، ومنه يصبح القارئ مشاركاً في العملية السردية لأنه يشعر بتطور الأحداث، بهذا يقلص حجم النص مقارنة مع حجم الحدث الذي يكون أصغر، فيتعطل بذلك السير الطبيعي للسرد.

¹ - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج4، ص: 2349، 2350. مادة (شهد).

² - محمد علي الشوابكة: السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص: 92.

"ويقوم المشهد أساساً على الحوار المعبر عنه لغوياً، والموزع إلى ردود متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية"¹، يجري هذا الحوار بين شخصيتين أو شخصيات للتعبير عن الآراء المختلفة وكشف ردود الأفعال المتباينة لكل طرف من الأطراف، ويكون باستعمال اللغة التي تتم بها عملية التواصل، ومنه يؤدي المشهد وظيفة بنائية مهمة داخل القصة ذلك لأن الشخصيات عديدة، تختلف آراؤها وتوجهاتها، وبالتالي نستطيع من خلال الحوار كشف الطبائع النفسية لكل واحدة منها، وذلك من خلال توقيف الراوي لمجرى السرد حتى يفسح المجال أمامها للتعبير عن توجهاتها وطبائعها النفسية والاجتماعية. وتكون وظيفة المشهد القيام بدور حاسم في تطور الأحداث والكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات²، ومن ثم كان التركيز عليه لإعطاء السرد حركية تقوي أثر الواقع داخل النص لأنه يقوم بتسليط الضوء على الحوادث الرئيسية المؤثرة في السياق القصصي.

والمشهد من منظور (سيد قطب) أشبه بخشبة عرض أرضيتها الصور المتخيلة؛ حيث تنقل المعاني الذهنية والحالات النفسية من التجريد إلى التعيين، إذ تتضمن الصور الحوادث المحسوسة القابلة للمعينة البصرية، كما تجسد الصور النماذج الإنسانية والطبيعة البشرية بصفة ساكنة وثابتة، ولكن عند تدخل الحركة نحصل على مشهد يتمكن من رصد هيئة وحركة الشخص، من خلال المعاني الذهنية الكامنة في الصورة؛ حيث تتحول الحالات النفسية والطبيعة البشرية والنماذج الإنسانية من السكون إلى الحركة، والتشخيص الحي القابل للمعينة البصرية تحت سلطة الـهنا والآن، وإذا تدخل الحوار اكتملت عناصر التخيل لاستحضار المشهد برمته³. فالمشهد حسب (سيد قطب) عالم حي بحركة الشخصيات، مليء بالأصوات والنبرات الألوان،

¹ - حسن مجراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص: 166.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 166.

³ - ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 36.

يجذب إليه المتلقي ليتفاعل معه، "فالإنسان عندما يقرأ الآيات يتخيل في خياله مناظر فنية وكأنه يرى صوراً ومشاهد ولقطات معروضة على شاشة أو خشبة المسرح المتخيّلة"¹، ويحسب نفسه طرفاً فاعلاً فيها.

وتتجلى حكمة تفرقة مشاهد القصة الواحدة على السور القرآنية وعدم ذكرها مفصلة في موضع واحد، أن ذلك يكون "تبعاً لمقتضى الحال وما يتطلبه السياق من دعوة إلى التدبر واستخلاص العبر وتراتبية الأحداث"². ومن ثمة ينسجم السرد المشهدي في القرآن الكريم مع موضوع وسياق السورة التي يرد فيها.

وسرد المشاهد في القرآن الكريم عجيب لطيف، فهو يجسّد الأحداث ويحرك الشخصيات، بأسلوب يجعل المتلقي يعيش القصة بأجمعه، "فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه (...) وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع (...) إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة"³. لذلك وجب عليه أخذ العبرة من القصة والعمل على اتباع طريق الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين.

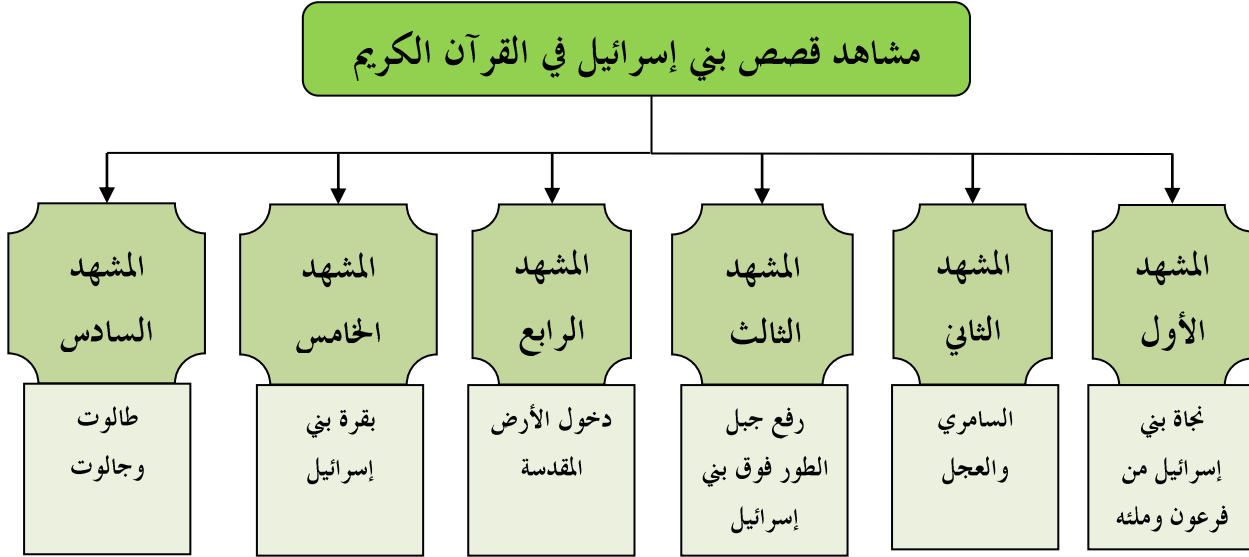
¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمان، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص: 338.

² - أحمد قوفي: مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم "القصص نموذجاً"، ص: 193.

³ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص: 36.

4-2- التدرج المشهدي لقصص بني إسرائيل في القرآن الكريم

يتفرع البناء العام لأحداث قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم إلى ستة مشاهد* تكون في مجملها تلك الصورة الكلية للقصة على النحو الآتي:



الشكل رقم (09): مشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم.

المشهد الأول:

مشهد نجاة بني إسرائيل من فرعون وملئه في سورة الأعراف الآيات (138 - 141)

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ أَرْضٍ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا
مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَاتُّوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

* - راعى الباحث في ترتيب هذه المشاهد الستة التسلسل التاريخي لأحداث قصص بني إسرائيل، حتى تكون القصة منظّمة الترتيب تبعاً لذلك التسلسل.

تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونََكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾¹

أ/ توصيف المشهد الأول:

في هذا المشهد ثلاثة أحداث:

ح1- نجاة بني إسرائيل، وهلاك فرعون وقومه. (الآية: 137).

ح2- انحراف فطرة بني إسرائيل، وفساد طبيعتهم. (الآيات: 138 - 140).

ح3- تذكير بنجاة بني إسرائيل من تعذيب آل فرعون وبطشهم. (الآية: 140).

يستهل القرآن المشهد السردى بالتذكير بنعم الله على بني إسرائيل أن:

* أورثهم مشارق الأرض ومغاربها المباركة،.

* أتم كلمته الحسنى عليهم.

* دمر ما صنعه فرعون وقومه.

* أنجاهم من فرعون ومن الغرق في البحر.

بعدما أهلك الله تعالى فرعون وجنود ونجى موسى -عليه السلام- ومؤمني بني إسرائيل من الكرب العظيم، انتهت متاعب موسى -عليه السلام- وأخيه هارون من فرعون وملئه، لكن بدأت متاعب أخرى من بني إسرائيل، فرغم أن الله سبحانه أظهر لهم معجزة انفلاق البحر

¹ - سورة الأعراف، الآيات: 137 - 141.

ونجاهم من فرعون وجنوده وأغرقهم، إلا أن بني إسرائيل لم يشكروا النعمة. وطلبوا من موسى -عليه السلام- أن يجعل لهم صنما إلها كإله القوم الذين أتوا عليهم.

وبعدها يختم المشهد بتذكير بني إسرائيل بنعمة أخرى أن:

* أنجاهم الله تعالى من تعذيب آل فرعون وبطشهم.

لكن خاتمة هذا المشهد لا تعني نهاية قصة بني إسرائيل، إنما هي بداية لجانب آخر من القصة "يتكفل بإظهار فساد طبيعة بني إسرائيل، وانحراف فطرتهم، وهم الفريق الناجي المفترض فيه الإيمان، لكن طبيعتهم الخبيثة تمنعهم أن يثبتوا على العقيدة الصحيحة، فنراهم ينحرفون مرة بعد مرة، وما يزال الرسول [موسى -عليه السلام-] بين ظهرائهم"¹.

ب/ أدبية التصوير في المشهد الأول من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

﴿وَأَوْزَنَّا﴾: المراد هنا تمليك بني إسرائيل جميع الأرض المقدسة بعد أهلها من الأمم التي كانت تملكها من الكنعانيين وغيرهم. والقوم الذين كانوا يُستضعفون هم بنو إسرائيل كما وقع في الآية الأخرى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾²، وعدل عن تعريفهم بطريق الإضافة إلى تعريفهم بطريق الموصولية لُنكتين*:

أولاهما: الإيماء إلى علة الخبر، أي أن الله ملكهم الأرض وجعلهم أمة حاکمة جزاء لهم على ما صبروا على الاستعباد، غير أن الله على عبده. الثانية: التعريض ببشارة المؤمنين بمحمد -صلى

¹ - محمد مشرف خضر: تجليات الإعجاز السرد في قصص القرآن، ج1، ص: 57.

² - سورة الشعراء، الآية: 59.

* - النُّكْة: "هي مسألة لطيفة، أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر، من نكت رحمه بأرض: إذا أثر فيها، وسميت المسألة الدقيقة: نكته؛ لتأثير الخواطر في استنباطها". (علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص: 390).

الله عليه وسلم- بأنهم ستكون لهم عاقبة السلطان كما كانت لبني إسرائيل، جزاء على صبرهم على الأذى في الله، ونذارةُ المشركين بزوال سلطان دينهم¹.

﴿كَانُوا يُسْتَزْعَفُونَ﴾: نجد الغاية من إدخال الزمن الماضي بوساطة الناسخ الفعلي

(كان)، الذي أريد به تحويل الزمن المضارع وفقاً لصيغته إلى ماضٍ، وبالتالي تتضح لنا القيمة الدلالية لإيراد الناسخ، وهي إثبات الصفات المحمولة بأخبارها في الماضي وتأكيد استمرارها في الزمن الحاضر والمستقبل، فكأنما أراد الله -عزّ وجلّ- تبيان صفات بني إسرائيل المتأصلة وإظهارها، وهي (هوانهم وذلهم واستضعافهم)، وبدخول (كان) نجد أن القيمة الدلالية هي

الماضي المتجدد². والقيمة الدلالية يحملها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ

وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ وقوله: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وذكرنا بهذا الوصف دون (بني

إسرائيل) "إظهاراً لكمال اللطف بهم وعظم الإحسان إليهم؛ حيث رفعوا من حضيض المذلة إلى أوج العزة، ولعل فيه إشارة إلى أن الله سبحانه عند القلوب المنكسرة"³

﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾: أي الكاملة لبركاتها وهي أرض الشام من الفرات إلى بحر

سوف، الموضع الذي خرجوا منه من البحر وغرق فيه فرعون وآله⁴.

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 76.

² - ينظر: عماد الدين نايف الشمري وعاطف عادل الحاميد: دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن، مج15، ع1، 2019، ص: 299.

³ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود آلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج9، ص: 37.

⁴ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص: 44.

﴿أَلَيْسَ بَرَكَاتٍ فِيهَا﴾: "أي في أرضها بالمياه والأشجار والثمار والخصب، وفي أرزاقها بالكثرة والطيب، وفي رجالهم بالعلم والنبوة، وفي طباعهم بالاستقامة، وفي عزائمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم بأنه لا يغيهم ظالم إلا عوجل بالنقمة"¹.

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أي أهلكنا إهلاكاً عظيماً جعل يدمره كالرماد، لا خير فيه أصلاً².

والعدول إلى صيغة المضارع في قوله: ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ لاستحضار الصورة³.

﴿وَجَوَزْنَا﴾: قطعنا. "وساقه على طريق المفاعلة تعظيماً له"⁴، والمجازة هي البعد عن المكان، أما الضمير الجمعي (نا) في هذه الأفعال فيعود على الله سبحانه وتعالى، يوحي بالعظمة والجلال، "والقرآن الكريم يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضل بخلاف الشر والسوء فإنه لا يذكر فيه نفسه تزيهاً له عن فعل الشر وإرادة السوء"⁵، وإظهاراً لرحمته التي سبقت غضبه وسخطه.

وذكر المكان المجاوز (البحر) فيه دلالة إلى مكانين: مكان قديم محلّ العذاب والذلّ، وآخر جديد محلّ التّجاة من ذلك كلّ، وهذا من نعم الله على بني إسرائيل.

¹ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص: 44.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص: 44.

³ - ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج9، ص: 39.

⁴ - المصدر السابق، ج7، ص: 64.

⁵ - فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص: 313.

في قوله تعالى: ﴿وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾¹ إطناب* بزيادة الجار والمجرور (لهم)، إذ "وصفت الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى، بأنها (لهم) زيادة في تشنيع حالهم، وتقبيح انحرافهم العقدي وهذا تنبيه على جهلهم وغوايتهم في أنهم يعبدون ما هو ملك لهم، فيجعلون مملوكهم إلههم وه ومن الإطناب المفيد"¹.

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾: أي أتوا قوما ولكن الفرق بينهما أن الفعل (أتوا) عندما يتجرد من حرف الجر (على) يعنى الإتيان بقصد الإقامة والبقاء في ذلك المكان الذي أتوا إليه، لكن عندما يأتي مع حرف الجر (على) يعنى الإتيان من غير قصد الإقامة والمكوث الدائم فـ (لما ضمن أتوا) معنى مروا عدي بـ (على)، لأنهم لم يقصدوا الإقامة، ولكنهم ألفوهم في طريقهم². ووظف القرآن ﴿يَعْكُفُونَ﴾ العكوف هو الملازمة بنية العبادة، وتعدى بـ (على) لما فيه من معنى التزول وتمكنه³.

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ دل التنكير على تحقير الأصنام وأنها مجهولة، وزاد (لهم) دون الاكتفاء بـ (أصنام) "بأنه زيادة تشنيع بهم وتنبيه على جهلهم وغوايتهم في أنهم يعبدون

* - الإطناب: "أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف". جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: تلخيص المفتاح في

المعاني والبيان والبدیع، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2002، ص: 119.

¹ - احمد محمد صافي المستغاثي: تصريف القول في القصص القرآني "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى -عليه السلام-"، ص: 63.

² - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 80.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 80.

ما هو مُلكُهم فيجعلون مملوكهم إلههم"¹، وسمّوا الصنم إلهًا دلالة على جهلهم، فهم يحسبون الصنم يجدي صاحبه².

والأفعال ﴿وَأَوْرَثْنَا، بَنَرَكْنَا، وَدَمَّرْنَا، وَجَوَزْنَا، أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ جاءت بصيغة الماضي الذي يحمل دلالة الإثبات والتقدير، واتصل بها ضمير الجمع (نا) الذي يوحي بالعظمة والجلال يعود على الله سبحانه عز وجل.

﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ دلالة على الاستخلاف والتمكين، واستعمل لفظ الوراثة لكون ذلك بغير ثمن ولا منة³.

﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ "سَمَّوْا [سيدنا موسى -عليه السلام-] كما ترى بِاسْمِهِ جَفَاءً وَغِلْظَةً اعتماداً على ما عَمَّهم مِنْ بَرِّهِ وَحِلْمِهِ غير مُتَأَدِّينَ بِمَا بَهَرَهُمْ مِنْ جَلَالَةِ حَظِّهِ مِنَ اللَّهِ وَقَسَمِهِ"⁴. وهم ينادونه باسمه المجرد (يا موسى) دائماً دونما إضافة كلمات تقدير واحترام، وفي ذلك بيان على سوء أدبهم مع رسول الله موسى -عليه السلام-.

﴿إَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ في هذه الآية الكريمة تم تقديم الجارّ والمجرور (لنا) على المفعول به (إلهًا)، والأصل مجيء الجارّ والمجرور بعد أن يستوفي الفعلُ فاعله ومفعوله. والغرض البلاغي من هذا

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 80.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 81.

³ - ينظر: مني عبد الواحد عثمان مصطفى: ألفاظ الميراث في القرآن الكريم "دراسة لغوية"، حولية كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مصر، مج:30، ع:4، 2014، ص: 935.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص: 69.

التقديم "العناية بالمُقدّم والتشويق للمؤخّر؛ لأنّ العرب على حدّ قول سيبويه يقدّمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى"¹.

طلبوا من موسى -عليه السلام- الذي كان سببا في إنجائهم، أن يتخذ لهم وثنا يعبدونه من جديد، إنه طلب غريب فيه من بلادة تلك العقول وسفاهتها الشيء الكثير؛ "ولو أنهم اتخذوا لهم آلهة لكان أهون وأقلّ غرابة من أن يطلبوا إلى رسول رب العالمين"².

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾³ وصفهم بالجهل المطلق وأكّده لُبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل"³، حيث لم يذكر مفعول (تجهلون) للإطلاق والتعميم أو لإجرائه مجرى اللازم وأكّده بـ (إنّ) وتوسّط (قوم) وجعل ما هو المقصود بالإخبار وصفا له ليكون كالمتحقق المعلوم⁴. وحرص على ذكر (كاف الخطاب) المتّصلة بـ (إنّ) "لأنّ كاف الخطاب أبلغ في التنبيه"⁵، والتوكيد في التعبير القرآني يحمل قوة الخطاب من جهة ويصور نفسية المخاطب من جهة أخرى⁶.

¹ - احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني، ص: 90.

² - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص: 1366.

³ - محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي: حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، تح:

محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج4، ص: 285.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 285.

⁵ - بدر الدين بن جماعة: كشف المعاني في التشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، مصر، ط1، 1990، ص: 242، 243.

⁶ - ينظر: احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني، ص: 122.

وفي قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقديم للخبرين (متبر) و(باطل) على المبتدئين (ما) في الجملتين الواقعتين خبراً لـ (إنّ)، والمراد هو بيان أنّ ما هم فيه ما هو إلّا تبار وهلاك، وأنّ ما يعملون هو محض الباطل¹.

والغرض البلاغي من تقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لـ (إنّ) التّنبية على أنّ الدّمار لاحق لما هم فيه لا محالة، وأنّ الإحباط الكلّي لازب لما مضى عنهم تنفيراً وتحذيراً عمّا طلبوا². وبلاغة توظيف اسم الإشارة (هؤلاء) اسم (إنّ) فإنّه "من حيث كونه مما يشار إليه إلى البعيد يفيد التّحقير، وجعل المشار إليه ذريعة إلى تحقيره أبلغ في التّحقير"³. وكرر أداة التوكيد (إنّ) لما فيه من الزجر والإغلاظ. وجاءت الآيتان جملتان اسميتان، و"الجملة الاسمية أكد من الجملة الفعلية"⁴.

وجاءت جملة ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ بمعنى التعليل لمضمون: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ فلذلك فصلت* عنها وأكّدت⁵.

وكلّ ذلك يدلنا أن سيدنا موسى-عليه السلام- على علم تام بظلال القوم فجاء بكل المؤكّدات التي يتحملها نسيج تعبيره.

¹ - احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني، ص: 90.

² - ينظر: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي: حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج4، ص: 286.

³ - المصدر نفسه، ج4، ص: 285.

⁴ - عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية "المعاني-البيان-البدیع"، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، سوريا، د.ط، 2000، ص: 88.

* - الفصل: هو "ترك عطف جملة فأكثر على جملة أخرى، إما لأنّ الجملتين متحدتان مبنى ومعنى، أو بمترلة المتحدثين، وإما لأنّه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى". (عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية ص: 297).

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 82.

وفي مفردة ﴿مُتَّبَرٌ﴾ وثقل نطقها دلالة على شدة هلاكهم وتدميرهم، وقد اختار في تعريف حالتهم حين عبادة التماثيل وما يقتضيه من الضلالات الجملة الموصولة ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ "لأن الصلة تحيط بأحوالهم التي لا يحيط بها المتكلم ولا المخاطبون"¹.

وفي قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقديم وتأخير، إذ تقدم المسند إليه وهو الضمير المنفصل (هو) على المسند وهو الفعل (فضلكم)، وفي ذلك نوع من التخصيص لا نجده لو أن العبارة أُلِّفَت كالأتي: أغير الله أبغىكم إلهًا، وفضلكم هو على العالمين؟؟، وذلك لنكتة لطيفة هي بيان أن الله وحده هو الذي فضلهم، وليس ما يدعون من أصنام وآلهة مزيفة.

كما أن مجيء المسند فعلا مع تقدم المسند إليه عليه أفاد تخصيصه بذلك الخبر الفعلي أي: وهو فضلكم، لم تفضلكم الأصنام، وكان ذلك الإنكار عليهم تحميقا لهم في أنهم مغمورون في نعمة الله، ويطلبون عبادة ما لا ينعم².

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: "أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا، وهو فعل بكم ما فعل دون غيره، من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم، لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره. ومعنى الهمزة: الإنكار والتعجب من طلبتهم-مع كونهم مغمورين في نعمة الله- عبادة غير الله"³. "وتقديم المفعول الثاني [كاف الخطاب] للاختصاص والمبالغة في الإنكار

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 83.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 84.

³ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج9، ص: 383.

أي: اختصاص الإنكار ببغي غير الله إلهاً¹، فهم في نعم الله يتمتعون ويطلبون إلهاً غيره يعبدون فكان الإنكار عليهم تحميلاً لهم.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي عالمي زمانهم، يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا

في عصر موسى -عليه السلام- وبعده، قبل أن يغيروا ما منحهم الله تعالى².

وتفضيل بني إسرائيل عليهم يمكن إجماله فيما يلي³:

- أنهم ذرية رسول وأنبياء.

- أن منهم رسلاً وأنبياء.

- أن الله هداهم إلى التوحيد.

- أن الله نجّاهم من فرعون ومكره.

- أن الله جعلهم أحراراً بعد أن كانوا عبيداً لفرعون وآله.

- أن الله أورثهم الأرض المقدسة.

- أن الله بعث فيهم رسولا ليقم لهم الشريعة.

ولأجل هذا الفضل والتفضيل أنكر عليهم سيدنا موسى -عليه السلام- طلبهم تقليد غيرهم

"لأن شأن الفاضل أن لا يقلد المفضول"⁴. هذا التفضيل وإن كان لآبائهم فإنه يحصل به

الشرف لأبنائهم وخلفهم من بعدهم.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 83.

² - ينظر: ناصر الدين أبو الخير عبد الله البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تح: محمد عبد

الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1997، ج1، ص: 78.

³ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ج9، ص: 84.

⁴ - المصدر نفسه، ج9، ص: 84.

وفي تكرار الفعل (قال) المسند إلى سيدنا موسى -عليه السلام- نكتة لطيفة إذ "يعاد في حكاية الأقوال إذا طال المقول، أو لأنه انتقال من غرض التوبيخ على سؤالهم إلى غرض التذكير بنعمة الله عليهم، وأن شكر النعمة يقتضي زجرهم عن محاولة عبادة غير المنعم، وهو من الارتقاء في الاستدلال على طريقة التسليم الجدلي"¹.

وقد وظف القرآن في هذا المشهد مفردة (إلهًا) و(آلهة) و (الله) في موقف التأليه والتعظيم، فافتضى السياق توظيف ما يناسب المقام، ووظف (ربكم) في موقف التربية والتعليم، فافتضى السياق توظيف ما يناسب ذلك.

وفي مفردة (الله) خاصيتان ذكرهما علماؤنا، إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها حرف شفهي؛ إشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب لا من الشفتين. الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾: أي اذكروا وقت أن أنجينا آباءكم -والخطاب موجّه للأبناء المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم- وفي نجاة آبائهم نجاة لهم، والنجاة: النجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها، ثم سمي كل فائز وخارج من ضيق إلى سعة ناجيا وإن لم يلق النجوة².

وفيه امتنان من الله وانتقال من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة، بخلاف **﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾** التي وردت في سورة البقرة في سياق تعداد النعم ليزدجروا عن المخالفة والعناد فناسبه التضعيف.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 83.

² - ينظر: أبو الطيب صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص: 164.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾*: أي من أتباعه وخاصته، فهم عَوْن له. "والآل يضاف إلى ذوي

الخطر ولا يضاف إلى البلدان فلا يقال من آل المدينة، وجوزه الأخفش"¹.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: "سامه يسومه أولاه وألزمه، وقيل من السَّوم بمعنى الدوام، أي من يديمون

تعذيبكم"².

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشد العذاب وأسوأه وأفظعه، "وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة

كذا، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في الأعمال أصنافاً: صنف

بينون ويزرعون، وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية"³. وفي الآية وصف

من الله تعالى لتعذيب فرعون بني إسرائيل وبيان قسوته عليهم، ومن ثم التهويل بشأن صنيع

فرعون بهم.

﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: اكتفى هنا بالتعبير بالقتل في قوله: (يقتلون)

لعدم القصد إلى صفة التشنيع في التقتيل التي قصدها في (يذبحون) من قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ

نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي

*- فرعون: قيل: هو اسم ذلك الملك بعينه، وقيل: إنه اسم لكل ملك من ملوك العمالة أولاد عمليق بن لاوز بن أرم بن سام بن نوح، كما يسمى من ملك الفرس كِسْرَى، و من ملك الروم قَيْصَر، ومن ملك الحبشة التَّجَاشِي. وقيل فرعون: اسم على كل من يملك مصر من القبط والعماليق. واسم فرعون موسى المذكور هنا "قابوس" في قول أهل الكتاب، وعمر أكثر من أربعمئة سنة. (ينظر: أبو الطيب صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج1، ص: 164).

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص: 164.

² - عبد الرحمن محمد عبد الرحمن: أسلوب القرآن في دعوة أهل الكتاب، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 2009، ص: 274.

³ - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، مج1، ص: 43.

ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾¹، ثم إن الذبح "منبئ عن القتل وصفته"². وأما القتل فهو أعم من ذلك، قال الراغب الأصفهاني: "أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد"³، وقال في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾⁴: "فإنه ذكر لفظ القتل دون الذبح والذكاة؛ إذ كان القتل أعم هذه الألفاظ تنبيهاً أن تفويت رُوحه على جميع الوجوه محظور"⁵، وأما ابن فارس فقال: "القاف والتاء واللام أصل يدل على إذلال وإماتة"⁶، فزاد للقتل قيدا وهو الإذلال المصاحب لإزالة الروح.

ففي هذه الآية ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ من سورة الأعراف تذكير لبني إسرائيل بنعمة الخلاص من الفناء الذي كان يرومه لهم فرعون وقومه، "فكان لفظ (القتل) وهو اللفظ الأعم الشامل لجميع أنواع القتل، هو اللفظ المناسب، إذ المقصود بيان خلاص القوم من الاستئصال والفناء"⁷.

¹ - سورة البقرة، الآية: 49.

² - أحمد بن إبراهيم الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ج1، ص: 199.

³ - الحسين بن محمد المعروف بـ "الراغب الأصفهاني": مفردات غريب القرآن، ص: 655.

⁴ - سورة المائدة، الآية: 95.

⁵ - المصدر السابق، ص: 656.

⁶ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 56. مادة: (قتل).

⁷ - فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى -عليه السلام-

رسالة ماجستير، إشراف: أ. محمد بن عمر بازمول، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005، ص: 192.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبْقون النساء أحياء للخدمة فلا يقتلوهن¹، "وعبر عن البنات

باسم النساء لأنه جنس يصدق عليهن (...). ولا يخفى ما في قتل الأبناء واستحياء البنات للخدمة ونحوها من إنزال الذل بهم وإصاق الإهانة الشديدة بجميعهم لما في ذلك من العار"².

﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: أي اختبار وامتحان، والبلاء يطلق على النعمة

العظيمة، وعلى المحنة الشديدة؛ ليختبر الله على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر، فإن حُمل هنا على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة، وإن حُمل على الإنجاء كان من النعمة، "وفي النجاة من الهلاك أو الهلاك اختبار من الله تعالى حتى يظهر شكر الناجي وصبر الهالك"³.

وقد استعمل القرآن الكريم في المشهد مفردتي (القوم وبني إسرائيل) وفي ذلك دلالة، وهي أن القوم: الجماعة من الرجال دون النساء، وربما دخلت النساء فيه بحكم التبع. والقوم: اسم جمع لا واحد له من لفظه⁴.

أما بني إسرائيل: فالقرآن الكريم لم يناديهم بغير هذا الاسم، وبلاغة ذلك أنهم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم، تنبيها لهم من غفلتهم، سموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه. ذلك أن "إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا). بمعنى: عبد أو صفوة، و من (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، أو صفة الله"⁵.

¹ - ينظر: ابن منظور لسان العرب، ج14، ص: 219. مادة (حيا).

² - أبو الطيب صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج1، ص: 165.

³ - محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، مصر، ط5، 1964، ج1، ص: 37.

⁴ - ينظر: ابن منظور لسان العرب، ج12، ص: 505. مادة (قوم).

⁵ - محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص: 12.

المشهد الثاني:

مشهد السامري والعجل في سورة طه الآيات (83-98)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۖ﴾ (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۖ﴾ (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ﴾ (85) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالَ يَقُومُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ۖ﴾ (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ﴾ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۖ﴾ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ﴾ (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ﴾ (90) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ﴾ (91) قَالَ يَهْدُونَ مَآمَنَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ﴾ (92) أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ﴾ (93) قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۖ﴾ (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعِي ۖ﴾ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ﴾ (96) قَالِ فَاذْهَبِي فَإِنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا

لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرِ إِلَى إِلَيْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ إِلَهُهُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾¹.

أ/ توصيف المشهد الثاني:

في هذا المشهد حدثان:

ح1- اتباع بني إسرائيل أهواءهم وعبادتهم عجل السامري. (الآيات: 83- 89).

ح2- عودة موسى -عليه السلام- من ميّعاد ربه، وإحراقه العجل ونسفه في اليم. (الآيات: 90- 98).

ب/ أدبية التصوير في المشهد الثاني من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

ذهب سيدنا موسى -عليه السلام- للقاء ربه عند جبل الطور، وأخبر قومه بني إسرائيل أنه سيمكث ثلاثين ليلة، فلما أبطأ عليهم في العشر الزائدة ومضت ثلاثون ليلة، قال بنو إسرائيل للسامري -وكان رجلاً صالحاً مطاعاً فيهم- قم واعمل لنا إلهاً، فطلب منهم أن يحضروا له ما كان معهم من الحلبي، فأحرقه وشكّل منه عجلاً، ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل -عليه السلام-، حيث أنه رأى يوم أنجاهم الله تعالى وأغرق فرعون وجنوده حافر فرس جبريل -عليه السلام- كلما ارتفعت عن الأرض تركت أثراً للحياة، حيث أن الأرض تخضر تحت حافر الفرس، فقال حين رآه: إن لهذا شأنًا عظيماً، فأخذ من تربة حافر الفرس وخبأها في عمامته، فعندما ألقاها على العجل الذهبي صار عجلاً جسداً له خوار، قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا

¹ - سورة طه، الآيات: 83- 98.

وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِنَفْسٍ ﴿٩٦﴾¹، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى،

فأعلمه الله بالذي أحدثه قومه ﴿٩٦﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾².

قالوا هذا -يقصدون العجل- إلهكم وإله موسى، وهي قولة تضيف إلى بلادهم وبلاهم اتمامهم النبي موسى -عليه السلام- وطعنا في توحيد وعصمته، بأنه ضل ونسي الطريق إلى ربه³.

وبعد حوار سيدنا موسى -عليه السلام- مع السامري، وبيان ضلاله قام إلى العجل الذي صنعه فأحرقه سيدنا موسى -عليه السلام-.

في الآية: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٨٣﴾ "الاستفهام مستعمل في اللوم. أن موسى تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبان الذي عينه الله له، اجتهداً منه ورغبة في تلقي الشريعة حسباً وعدة الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكرًا"⁴.

¹ - سورة طه، الآية: 96.

² - سورة طه، الآية: 85.

³ - ينظر: هاني أحمد منصور: عجل بني إسرائيل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، مج16، ع3، آذار 2009، ص: 06.

⁴ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 277.

"وإنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم: أن يعلم موسى أدب السفر، وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطا بطائفته وناظرا فيهم ومهيئنا عليهم. وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم"¹.

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (84) "أتى بِاسْمِ الإِشَارَةِ وَأَسْقَطَ مِنْهُ هَاءَ التَّنْبِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِخِطَابِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ*: وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنَ الْأَصْفِيَاءِ خَاطَبَ رَبَّهُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَاطَبَ بِهِ الْكُفَّارَ لِعِبَاوَتِهِمْ"².
والأثر: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدم أو حافر أو خف. وفي الآية دل على أنهم كانوا سائرين خلفه وأنه سبقهم إلى المناجاة. "والمعنى: هم أولاء سائرون على مواقع أقدامي، أي موالون لي في الوصول"³.

¹ - أبو القاسم جاز الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج16، ص: 663.

* - [282] ابن هُبَيْرَةَ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِي: هو أَبُو الْمُظَفَّرِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَهْمٍ الشَّيْبَانِي، الدُّورِيُّ، الْعِرَاقِيُّ، الْحَنْبَلِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. وَلَدَ بَقَرَةَ بِنَى أَوْقَرَ مِنَ الدُّورِ - أَحَدِ أَعْمَالِ الْعِرَاقِ - فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ. وَدَخَلَ بَغْدَادَ فِي صِبَاهُ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ، وَجَالَسَ الْفُقَهَاءَ، وَتَفَقَّهَ بِأَبِي الْحُسَيْنِ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَالْأَدْبَاءِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَلَا بِالسَّبْعِ، وَشَارَكَ فِي عُلُومِ الْإِسْلَامِ، وَمَهَرَ فِي اللُّغَةِ، وَكَانَ يَعْرِفُ الْمَذْهَبَ وَالْعَرَبِيَّةَ وَالْعَرُوضَ، لَهُ كِتَابُ (الإِفْصَاحِ عَنْ مَعَانِي الصَّحَاحِ) شَرَحَ فِيهِ (صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ) فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ، وَأَلَّفَ كِتَابَ (الْعِبَادَاتِ) عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ، وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي (الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ)، وَأُخْرَى فِي (عِلْمِ الْخَطِّ)، وَاخْتَصَرَ كِتَابَ (إِصْلَاحِ الْمُنَطِقِ) لِابْنِ السَّكِّيتِ. فِي لَيْلَةٍ ثَلَاثَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ اسْتَيْقَظَ وَقَتَ السَّحَرِ، فَقَاءَ، فَحَضَرَ طَبِيبُهُ ابْنَ رَشَادَةَ، فَسَفَّاهُ شَيْئًا، فَيُقَالُ: إِنَّهُ سَمَّهُ فَمَاتَ. (ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص: 426 وما بعدها).

² - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص: 322.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 278.

فسيدنا موسى -عليه السلام- حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله، فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام؛ فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقول: طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك. وقوله هُمُ أولاءِ على أثري كما ترى غير منطبق عليه.

وجوابه ذاك متضمن أمرين:

أحدهما: إنكار العجلة في نفسها.

والثاني: السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه، فكان أهم الأمرين إلى موسى -عليه السلام- بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه، فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير، مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به. وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم¹.

في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (85) "إِسْنَادُ الْفِتَنِ إِلَى اللَّهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مُقَدَّرُهُ وَخَالِقُ أَسْبَابِهِ الْبَعِيدَةِ. وَأَمَّا إِسْنَادُهُ الْحَقِيقِيُّ فَهُوَ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)* لِأَنَّهُ السَّبَبُ الْمُبَاشِرُ لِضَلَالِهِمُ الْمُسَبَّبِ لِفِتْنَتِهِمْ"². وأدخل الجارَّ على الظرف فقال:

¹ - ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص: ج4، ص: 102.

* - السَّامِرِيُّ: "يُظْهِرُ أَنَّ يَأْءُهُ يَاءُ نِسْبَةٍ، وَأَنَّ تَعْرِيفَهُ بِاللَّامِ لِلْعَهْدِ. فَأَمَّا النِّسْبَةُ فَأَصْلُهَا فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ تَكُونَ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَالسَّامِرِيُّ نُسِبَ إِلَى اسْمِ أَبِي قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ غَيْرِهِمْ يُقَارَبُ اسْمُهُ لَفْظَ سَامِرٍ، وَقَدْ كَانَ مِنْ = الْأَسْمَاءِ الْقَدِيمَةِ (شُومِر) وَ (شَامِر) وَهُمَا يُقَارَبَانِ اسْمَ سَامِرٍ لَا سِيَّمَا مَعَ التَّعْرِيبِ". (محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 276).

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 276.

﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ أَي خَالَطْنَاهُمْ بِأَمْرِ مِنْ أَمْرِنَا مُخَالَطَةً أَحَالَتْهُمْ عَمَّا عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْفِتْنَةَ لَمْ تَسْتَعْرِقْ جَمِيعَ الزَّمَنِ الَّذِي كَانَ بَعْدَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي بَعْضِهِ¹.

وقد أخبره الله تعالى سيدنا موسى -عليه السلام- بِوُقُوعِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ قُدُومِهِ الْمِيقَاتِ، إِنَّمَا بِاعْتِبَارِ تَحَقُّقِهَا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ، وَإِنَّمَا بِطَرِيقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُتَوَقَّعِ بِالْوَاقِعِ².

في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ ذكر (الغضب) وأردفه بـ(الأسف) إذ "الغضب: انفعالٌ لِلنَّفْسِ وَهَيَّجَانٌ يَنْشَأُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا يَسُوءُهَا وَيُسْخِطُهَا دُونَ خَوْفٍ، وَالْوَصْفُ مِنْهُ غَضْبَانٌ. وَالْأَسْفُ: انفعالٌ لِلنَّفْسِ يَنْشَأُ مِنْ إِدْرَاكِ مَا يُحْزِنُهَا وَمَا تَكْرَهُهُ مَعَ انْكِسَارِ الْخَاطِرِ. وَالْوَصْفُ مِنْهُ أَسْفٌ. وَقَدْ اجْتَمَعَ الْإِنْفِعَالَانِ فِي نَفْسِ مُوسَى لِأَنَّهُ يَسُوءُهُ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ وَهُوَ لَا يَخَافُهُمْ، فَانْفِعَالُهُ الْمُتَعَلِّقُ بِحَالِهِمْ غَضَبٌ، وَهُوَ أَيْضًا يَحْزِنُهُ وَوُقُوعُ ذَلِكَ وَهُوَ فِي مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي كَانَ يَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ سَبَبَ رِضَى اللَّهِ عَنْ قَوْمِهِ فَإِذَا بِهِمْ أَتَوْا بِمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ فَقَدْ انْكَسَرَ خَاطِرُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ"³.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقْوِمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدًا﴾ (86) إطناب بإضافة أداة النداء والمنادى (يا قوم)، وتوجيه ذلك أن سيدنا موسى -عليه السلام- ذكر قومه بوعده الله الحسن، وحذرهم من غضب الله؛ "من هنا حاول سيدنا موسى -عليه السلام- أن يستدرّ عطفهم، ويستميل قلوبهم

¹ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص: 323.

² - ينظر: محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 656.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 282.

بمناداتهم بالرابطة التي تجمعهم بهم، وتجمعهم به (يا قوم)¹. "لأن تصريح اسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به"².

والاستفهام في الآية إنكاري؛ فقد "نزلوا منزلة من زعم أن الله لم يعدهم وعدًا حسنًا لأنهم أجزوا أعمالهم على حال من يزعم ذلك فأنكر عليهم زعمهم"³. فا "الهمزة لإنكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على أبلغ وجه وأكده، أي: وعدكم بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره"⁴. و(الوعد الحسن) "هو ما وعدهم من الوصول إلى جانب الطور الأيمن، وما بعد ذلك من الفتوح في الأرض، والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مما وعد الله تعالى به أهل طاعته"⁵. ثم بين لقومه أنه "لم يبعد زمن وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم يأس من الوفاء فتكفروا وتكذبوا من بلاءكم الوعد وتعبدوا ربًا غير الذي دعاكم إليه من بلاءكم الوعد فتكون لكم شبهة عذر في الإعراض عن عبادة الله ونسيان عهده"⁶.

¹ - احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآن، ص: 66، 67.

² - محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى: البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص: 58.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 282.

⁴ - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 656.

⁵ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي

محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج4، ص: 58.

⁶ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 282.

"وَأَمَّ إِضْرَابُ إِبْطَالِيٍّ*. وَالْأَسْتَفْهَامُ الْمُقَدَّرُ بَعْدَ (أَمْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إِنْكَارِيٌّ أَيْضًا، إِذِ التَّقْدِيرُ: بَلْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ، فَلَا يَكُونُ كُفْرُكُمْ إِذَنْ إِلَّا إِلْقَاءُ بِأَنْفُسِكُمْ فِي غَضَبِ اللَّهِ كَحَالِ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ، إِذْ شَبَّهَ حَالَهُمْ فِي ارْتِكَابِهِمْ أَسْبَابَ حُلُولِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِدُونِ دَاعٍ إِلَى ذَلِكَ بِحَالِ مَنْ يُحِبُّ حُلُولَ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذِ الْحُبُّ لَا سَبَبَ لَهُ"¹.

"وَسُمِّيَ الْعَذَابُ غَضَبًا مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاشِئٌ عَنِ الْغَضَبِ، وَالْغَضَبُ إِنْ جُعِلَ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ فَهُوَ صِفَةُ ذَاتٍ، وَإِنْ جُعِلَ ظُهُورُ النِّقْمَةِ وَالْعِقَابِ فَهُوَ صِفَةُ فِعْلٍ، فَهُوَ مِنَ التَّرَدُّدِ بَيْنَ الْحَالَيْنِ"². وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَخْلَقْتُمْ مَّوْعِدِي﴾ "تَفْرِيعٌ عَلَى الْإِسْتَفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ الثَّانِي. وَمَعْنَى مَّوْعِدِي هُوَ وَعْدُ اللَّهِ عَلَى لِسَانِهِ، فَإِضَافَتُهُ إِلَى ضَمِيرِهِ لِأَنَّهُ الْوَاسِطَةُ فِيهِ"³.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (87) الْقَائِلُ بَعْضُهُمْ، تَصَدَّوْا مُجِيبِينَ عَنِ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ وَهُمْ كِبَرَاءُ الْقَوْمِ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ مِنْهُمْ. وَقَوْلُهُ: (بِمَلَكِنَا) - بِفَتْحِ الْمِيمِ -: بِإِرَادَتِنَا وَاخْتِيَارِنَا، أَيْ لِإِخْلَافِ مَوْعِدِكَ، أَيْ مَا تَجَرَّأْنَا وَلَكِنْ غَرَّهُمْ السَّامِرِيُّ وَغَلَبَهُمْ دَهْمَاءُ الْقَوْمِ. وَهَذَا إِقْرَارٌ مِنَ الْمُجِيبِينَ بِمَا فَعَلَهُ دَهْمَاؤُهُمْ. وَالِاسْتِدْرَاكُ بـ (لَكِنَّا) رَاجِعٌ إِلَى مَا أَفَادَهُ نَفْيُ أَنْ يَكُونَ إِخْلَافُهُمُ الْعَهْدَ عَنْ قَصْدٍ

* - الإضراب الإبطالي: هو إبطال الحكم السابق لأداة الإضراب والانتقال عنه إلى الحكم الذي بعدها. مثل قولنا: جاء زيد بل سافر.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 283.

² - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 58.

³ - المصدر السابق، ج16، ص: 283.

لِلضَّلَالِ وَالْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَهُ وَقَعَتْ بِإِيجَازٍ عَنْ حُصُولِ الْمَقْصُودِ مِنَ التَّنْصِلِ مِنْ تَبَعَةِ نَكْثِ الْعَهْدِ¹. فقد حملوا حلياً استعاروها من القبط حين هموا بالخروج من مصر، "وَلَعَلَّ تَسْمِيَتَهُمْ لَهَا أَوْزَارًا لِأَنَّهَا تَبْعَاتُ وَأَتَامٌ حَيْثُ لَمْ تَكُنِ الْعَنَائِمُ تَحِلُّ حِينَئِذٍ"²، فقدفوها في النار رجاء الخلاص من ذنوبها.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى

فَنَسِيَ^ص ﴿٨٨﴾﴾ أخرج السامري للقوم من الحلي المذاب عجلاً جسداً من ذهب لا روح فيه وله صوت، وتأخير (عجلاً) مع كونه مفعولاً صريحاً عن الجار والمجرور للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخيل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم³، "وقدم قوله: ﴿جَسَدًا﴾ على قوله: ﴿لَهُ خُورٌ﴾ لنعرف أن عجليته صورة لا معنى لئلا يسبق إلى وهم أنه حي، فتمر عليه لمحة على اعتقاد الباطل"⁴. وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ "يحتمل أن يكون من كلام بني إسرائيل، أي: فنسي موسى -عليه السلام- ربه وإلهه وذهب يطلبه في غير موضعه، ويحتمل أن يكون (فَنَسِيَ) إخباراً من الله تعالى عن السامري أنه نسي دينه وطريق الحق (...). فالنسيان في التأويل الأول بمعنى الذهول، وفي الثاني بمعنى الترك"⁵.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ هذا

الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي هذا العجل الذي زعموا أنه إلههم "﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 284.

² - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 657.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 656.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص: 330.

⁵ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 59.

وَالْإِلَهُ لَا يَكُونُ أَبْكُمْ ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ فَيَخَافُوهُ كَمَا كَانُوا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ فَيَقُولُوا ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ ضَرِّهِ ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ فَيَقُولُوا ذَلِكَ رَجَاءٌ لَهُ¹. ولقد نصحهم هارون ولكن دون جدوى. ففي هذا الاستفهام "تَسْفِيَةُ لَهُمْ فِيمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي لَا يَشْتَبُهُ بَطْلَانُهُ وَاسْتِحَالَتُهُ عَلَى أَحَدٍ وَهُوَ اتِّخَاذُهُ إِلَهًا"².

وفي قوله عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾﴾

توكيد عن طريق أسلوب القصر* حيث وعظ هارون -عليه السلام- قومه بعد غياب أخيه موسى -عليه السلام- بعدم العدول عن التوحيد إلى عبادة العجل، وبأن ربهم الحق هو الرحمن، وإنما فتنهم السامريّ بالعجل المصنوع، "ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي ما هو إلا فتنة لكم، وأوقعتم في الفتنة بالعجل"³. وقد وظّف القرآن في هذا المقام (ربّ) دون (إله) للأسباب الآتية:

"- إن (الرّبّ) لغة هو المالك، والسيد، والمدبّر، والمرّبّي، والقيّم، والمنعم.

- إن (الرّبّ) له التّصرّف في المسود والمملوك والعابد بما أراد من خير أو شر.

¹ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص: 331.

² - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 658.

* - القصر: هو تخصيص أمر بآخر بإحدى الطرق المعروفة (العطف، النفي والاستثناء، القصر بـ "إنما")، وهو من أساليب تقوية الكلام وتوكيده.

³ - احمد محمد صافي المستغامي: تصريح القول في القصص القرآني "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى -عليه السلام-"، ص: 142.

-إن (الرَّبَّ) اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلب الموجودات، فدخل تحتها العليم، والسميع، والبصير، والقيوم، والمريد، والملك، وما أشبه ذلك؛ لأن كل واحد من هذه الأسماء والصفات يطلب ما يقع عليه"¹. وفي إضافتها للضمير (كم) حصر لها للمخاطبين (بني إسرائيل) تنبيها وتذكيرا لهم عساهم يعقلون.

ثم أرفده باسم (الرحمن) دون غيره من الأسماء الحسنى لأن الرحمة هي إيصال المسار والمقام هنا مقام تطميع فيما عند الله². فلما استعمل (ربكم) كان العبيد (بنو إسرائيل) ضعفاء واحتياجهم للرحمة واضحا.

ومجاورة (الرحمن) لـ (ربكم) "قد أفادت التناسب؛ لأن كلا منهما يدخل تحته المؤمن والكافر والعاقل وغيره"³.

وفي قوله: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوَيْ﴾ (91) ﴿لَمَّا وَعَظَهُمْ هَارُونُ وَنَبَّهَهُمْ عَلَىٰ مَا فِيهِ رُشْدُهُمْ أَتَّبِعُوا سَبِيلَ الْعَيِّ وَ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ مُقِيمِينَ مُلَازِمِينَ لَهُ، وَغَيُّوا ذَلِكَ بِرُجُوعِ مُوسَىٰ وَفِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ عَدَمِ رُجُوعِهِمْ إِلَىٰ الْإِسْتِدْلَالِ وَأَخَذَ بِتَقْلِيدِهِمُ السَّامِرِيَّ وَدَلَالَةً عَلَىٰ أَنَّ (لَنْ) لَا تَقْتَضِي التَّأْيِيدَ خِلَافًا لِلزَّمْخَشَرِيِّ إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ مَوْضُوعِهَا التَّأْيِيدُ لَمَا جَازَتْ التَّعْيِيَةُ بِحَتَّىٰ لِأَنَّ التَّعْيِيَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ الشَّيْءُ مُحْتَمَلًا فَيُزِيلُ ذَلِكَ الْإِحْتِمَالَ بِالتَّعْيِيَةِ"⁴.

¹ - طه بن محمد بن طه القيسي: نظرية النظم القرآني "دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة وأول سورة البقرة"، دار مكتبي للطباعة، بغداد، العراق، ط1، 2018، ص: 370.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 346، 347.

³ - المرجع نفسه، ص: 386.

⁴ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج6، ص: 253.

وقد "جَعَلُوا رُجُوعَهُ [موسى] -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَيْهِمْ غَايَةً لِعُكُوفِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، لَكِنْ لَا عَلَى طَرِيقِ الْوَعْدِ بِتَرْكِهَا عِنْدَ رُجُوعِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، بَلْ بِطَرِيقِ التَّغْلِيلِ وَالتَّسْوِيقِ، وَقَدْ دَسُّوا تَحْتَ ذَلِكَ أَنَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَا يَرْجِعُ بِشَيْءٍ مُبِينٍ تَعْوِيلًا عَلَى مَقَالَةِ السَّامِرِيِّ"¹.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا⁽⁹²⁾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي⁽⁹³⁾﴾ حذف يدلُّ عليه ما ذكر، "تَقْدِيرُهُ: فَارْجَعَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَوَجَدَ الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، فَجَعَلَ يُؤَنِّبُ هَارُونَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ"².

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ "بِمَعْنَى: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي. وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي وَجْهِ دُخُولِ "لَا"، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هِيَ زَائِدَةٌ، وَذَهَبَ حُذَّاقُ النُّحَاةِ إِلَى أَنَّهَا مُؤَكَّدَةٌ، وَأَنَّ فِي الْكَلَامِ فِعْلًا مُقَدَّرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا مَنَعَكَ ذَلِكَ، أَوْ خَصَّكَ، أَوْ نَحْوَ هَذَا عَلَى (أَلَّا تَتَّبِعَنِ)؟ وَمَا قَبْلُ وَمَا بَعْدُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا وَيَقْتَضِيهِ"³. ذلك "أَنَّ النَّافِيَّ إِذَا زِيدَ فِي الْكَلَامِ كَانَ نَافِيًا لِضِدِّ مَضْمُونِهِ فَيُفِيدُ إِثْبَاتًا لِلْمَضْمُونِ وَنَافِيًا لِضِدِّهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي غَايَةِ التَّأْكِيدِ"⁴.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ "بِالصَّلَابَةِ فِي الدِّينِ وَالْمَحَامَاةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ لَهُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- (اخْلُفْنِي) مُتَضَمِّنٌ الْأَمْرَ بِهِمَا حَتْمًا، فَإِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِمُبَاشَرَةِ الْخَلِيفَةِ مَا كَانَ يُبَاشِرُهُ الْمُسْتَخْلَفُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا. وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ التَّوْبِيخِيِّ، وَالْفَاءُ لِلْعُطْفِ عَلَى مُقَدَّرٍ يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ، أَيْ: أَلَمْ تَتَّبِعْنِي أَوْ أَخَالَفْتَنِي فَعَصَيْتَ أَمْرِي"⁵.

¹ - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 660.

² - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 60.

³ - المصدر نفسه، ج4، ص: 60.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص: 334.

⁵ - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص: 661.

وفي قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِحَيْتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي

إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (94) ﴿"دَعَاهُ بِأُمِّهِ لِأَنَّ التَّدَاعِيَّ بِالْأُمِّ أَشْفَقُ وَأَشَدُّ اسْتِرْحَامًا"¹،
وَاسْتِعْظَامًا لِحَقِّهَا.

وفي الآية: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُيَّ﴾ (95) ﴿قال موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مُخَاطِبًا السَّامِرِيَّ:
فَمَا خَطْبُكَ؟ "وقوله: (فَمَا خَطْبُكَ) كَمَا تَقُولُ: مَا شَأْنُكَ؟ وما أَمْرُكَ؟، لَكِنَّ لَفْظَةَ الْخَطْبِ
تَقْتَضِي انْتِهَارًا؛ لِأَنَّ الْخَطْبَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْمَكَارِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَا نَحْسُكَ؟ وما شُؤْمُكَ؟ وما هَذَا
الْخَطْبُ الَّذِي جَاءَ مِنْ قِبَلِكَ"²، "خَاطَبَهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِذَلِكَ لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ بُطْلَانَ كَيْدِهِ
بِاعْتِرَافِهِ وَيَفْعَلَ بِهِ وَبِمَا صَنَعَهُ مِنَ الْعِقَابِ"³ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِلْمَفْتُونِينَ بِهِ وَبِالْعَجَل.

وفي قوله سبحانه: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (96) ﴿.

﴿بَصُرْتُ﴾ بضم الصاد، وقرئت (بَصِرْتُ) بكسر الصاد "فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ مِنَ الْبَصِيرَةِ،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ مِنَ الْبَصَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي أَمْرِ السَّامِرِيِّ مَا زَادَ عَلَى النَّاسِ بِالْبَصَرِ، وَهُوَ وَجْهُ
جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَرَسُهُ، وَبِالْبَصِيرَةِ، وَهُوَ مَا عَلِمَهُ مِنْ أَنَّ الْقَبْضَةَ إِذَا نَبَذَهَا [أَلْقَاهَا] مَعَ الْحُلِيِّ
جَاءَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُرِيدُ"⁴. "و(الرَّسُولُ) جَبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَ(الْأَثَرُ) هُوَ تُرَابٌ تَحْتَ حَافِرِ
فَرَسِهِ"⁵.

¹ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 60.

² - المصدر نفسه، ج4، ص: 60.

³ - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: المصدر السابق، ج3، ص: 661.

⁴ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 61.

⁵ - المصدر نفسه، ج4، ص: 61.

قال: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾، ﴿سَوَّلْتُ﴾: حَسَّنَتْ وَزَيَّنَتْ. أي: "كما وقع وحدث قَرَّبْتُ لِي نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ لِي سُؤلاً وَرَأْباً حَتَّى فَعَلْتُهُ"¹.

وفي قوله سبحانه: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾⁽⁹⁷⁾.

﴿مِسَاسَ﴾ "اسْمُ فِعْلٍ كَنَزَالٍ. والمرادُ نَفْيُ الْفِعْلِ أَي لَا أَمْسَكَ وَالسَّرُّ فِي عُقُوبَتِهِ عَلَى جَنَائِهِ بِمَا ذُكِرَ عَلَى مَا قِيلَ: إِنَّهُ ضِدٌّ مَا قَصَدَهُ مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ لِیَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَيُعَزِّزُوهُ، فَكَانَ سَبَبًا لِبُعْدِهِمْ عَنْهُ وَتَحْقِيرِهِ وَصَارَ لَدَيْهِمْ أَبْغَضَ مِنَ الطَّلِيَاءِ وَأَهْوَنَ مِنْ مِعْبَاةٍ. وقيل: لَعَلَّ السَّرَّ فِي ذَلِكَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُنَاسَبَةِ التَّضَادِّ فَإِنَّهُ لَمَّا أَنْشَأَ الْفِتْنَةَ بِمَا كَانَتْ مُلَابَسَتُهُ سَبَبًا لِحَيَاةِ الْمَوَاتِ عُوقِبَ بِمَا يُضَادُّهُ حَيْثُ جُعِلَتْ مُلَابَسَتُهُ سَبَبًا لِلْحُمَى الَّتِي هِيَ مِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ الْأَحْيَاءِ، وقيل: عُوقِبَ بِذَلِكَ لِيَكُونَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ"².
و(ظَلَّ) مَعْنَاهُ: "أَقَامَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَهَارًا، وَلَكِنَّهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الدَّائِبِ لَيْلًا وَنَهَارًا، بِمِثَابَةِ طَفِقَ.
و(عَاكِفًا) مَعْنَاهُ: مُلَازِمًا"³.

¹ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 61.

² - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8، ص: 566.

³ - المصدر السابق، ج4، ص: 62.

وفي قوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ تَضْعِيفُ مُبَالِغَةٍ لَا تَعْدِيَّةٍ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ تَحْتَمِلُ الْحَرْقَ بِالنَّارِ (...) مَعَ رَوَايَةٍ مَنْ رَوَى أَنَّ الْعِجْلَ صَارَ لَحْمًا وَدَمًا، وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَتَرَكَّبُ أَنَّ يَكُونُ هُنَاكَ حَرْقُ بِنَارٍ، وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ جَمَادًا مِنْ ذَهَبٍ فَإِنَّمَا هُوَ حَرْقٌ بِمَبْرَدٍ.

و(النَّسْفُ): تَفْرِيقُ الرِّيحِ الْعُبَارِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مِثْلُهُ كَتَفْرِيقِ الْغُرْبَالِ وَنَحْوِهِ فَهُوَ نَسْفٌ. و(الْيَمُّ): غَمَرِ الْمَاءِ مِنْ بَحْرٍ أَوْ نَهْرٍ، وَكُلُّ مَا غَمَرَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْمَاءِ فَهُوَ يَمٌّ. و(نَسْفًا) تَأْكِيدٌ بِالْمَصْدَرِ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: (لَنُحَرِّقَنَّهُ) لَامُ الْقَسَمِ¹.

وديدن العرب في كلامهم الإتيان بالمصدر بعد الفعل لتوكيده لأنه بمترلة تكرير الفعل، أو لإزالة الشك عن الحدث، ورفع توهم المجاز². ولا ريب أن المفعول المطلق (نسفا) في هذا السياق استعمل لتوكيد نسف العجل حتى يزول أثره.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁹⁸⁾. المعهود في أساليب العربية أَنَّ (إِنَّمَا) يُوْتَى بِهَا فِي تَوْكِيدِ خَبَرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ، وَلَا يَدْفَعُ صَحْتَهُ، أَوْ لِمَا يَتَرَّلُ هَذِهِ الْمَتَرَّلَةُ، وَلَهَا مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَدَوَاتِ الْمَفِيدَةِ لِلْقَصْرِ أَنْكَ تَعْقِلُ مَعَهَا إِيْجَابَ الْفِعْلِ لَشَيْءٍ وَنَفْيِهِ عَنْ غَيْرِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ³. والآية "مِنْ حِكَايَةِ كَلَامِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَمَوْقِعُهَا مَوْقِعُ التَّنْذِيلِ* لَوْعْظِهِ. وَقَدْ التَفَتَ مِنْ خِطَابِ السَّامِرِيِّ إِلَى خِطَابِ الْأُمَّةِ إِغْرَاضًا عَنْ خِطَابِهِ تَحْقِيرًا لَهُ، وَقَصْدًا لِتَنْبِيهِهِمْ عَلَى خَطِيئِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ صِفَاتِ الْإِلَهِ الْحَقِّ،

¹ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص: 62.

² - ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998، ج2، ص: 73.

³ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 335.

* - التَّنْذِيلُ: "هو تعقيب جملة بجملة، مشتملة على معناها؛ للتوكيد". (علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، ص: 96).

وَأَقْتَصَرَ مِنْهَا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَعُمُومِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْوَحْدَانِيَّةَ تَجْمَعُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ، كَمَا قُرِّرَ فِي دَلَالَةِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عَلَيْهَا فِي كُتُبِ عِلْمِ الْكَلَامِ. وَأَمَّا عُمُومُ الْعِلْمِ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الشَّامِلَةِ لِأَعْمَالِهِمْ لِيَرْفُؤُهُ فِي خَاصَّتِهِمْ. وَاسْتَعِيرَ فِعْلُ (وَسِعَ) لِمَعْنَى الْإِحَاطَةِ التَّامَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِنَاءَ الْوَاسِعَ يُحِيطُ بِأَكْثَرِ أَشْيَاءٍ مِمَّا هُوَ دُونُهُ. وَانْتَصَبَ (عِلْمًا) عَلَى أَنَّهُ تَمَيِّزُ نِسْبَةِ السَّعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيُتَوَلَّى الْمَعْنَى: وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ، أَيُّ لَا يَقْتَصِرُ عَنِ الْإِطْلَاعِ عَلَى أَخْفَى الْأَشْيَاءِ، كَمَا أَفَادَ لَفْظُ (كُلِّ) الْمُفِيدُ لِلْعُمُومِ"¹.

وفي هذا المشهد حوار مباشر مكثف مرصن بالأسلوب الإنشائي في صيغ الاستفهام والنداء والنفي والنهي، هذا الحوار المباشر منح الشخصيات (موسى، قومه، هارون، السامري) ظهوراً جلياً مباشراً دونما حواجز، "وهو حوار استعمل المحادثة لإظهار الحركة والخطاب"² وجعل المشهد حياً واقعاً أمام المتلقي.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص: 301.

² - محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، ص: 271.

المشهد الثالث:

مشهد رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل:

بعد أن انتهى موسى -عليه السلام- من العجل وهدأ الغضب عنه، أخذ ألواح التوراة ودعا قومه إلى العهد والإيمان بما فيها، فرفض بنو إسرائيل، فحذّرهم موسى -عليه السلام- فسمعوا وعصوا، عندها اهتزّ جبل الطور ثم ارتفع في السماء وصار فوقهم، ولما رأوا الهلاك قالوا سمعنا وأطعنا. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ¹﴾.

ثم اختار موسى -عليه السلام- سبعين رجلاً من قومه لم يعبدوا العجل للقاء الله والاعتذار منه، فلما وصلوا جبل الطور اهتزّ بهم فجعل موسى -عليه السلام- يدعو الله طالباً المغفرة حتى سكن الجبل. قال الله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْسُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ²﴾.

ثم جاءت غمامة غطت المكان، وجعل موسى -عليه السلام- يكلم ربه وهم يسمعون، فلما فرغ أخبروه أنهم لن يؤمنوا ويطيعوا حتى يروا الله جهرة، فترل غضب الله بهم وبصاعقة قتلوا جميعاً، ثم دعا موسى -عليه السلام- الله تعالى وتضرّع فهؤلاء خيار بنو

¹ - سورة الأعراف، الآية: 171.

² - سورة الأعراف، الآية: 155، 156.

إسرائيل، فأحياهم الله جميعاً. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تُنْظَرُونَ⁽⁵⁵⁾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ⁽⁵⁶⁾﴾¹.

أ/ توصيف المشهد الثالث:

في هذا المشهد ثلاثة أحداث:

ح1- رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل.

ح2- اختيار موسى -عليه السلام- من قومه سبعين رجلاً لطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى.

ح3- عناد القوم وعقاب الله سبحانه لهم ثم عفوه.

ب/ أدبية التصوير في المشهد الثالث من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

في الآية الأولى من المشهد إضمار فعل القول، لوجود ما يدل عليه في السياق، "ولهذا الأسلوب من أساليب الحذف حضور كبير في القرآن الكريم بشكل عام، وفي القصص القرآني بشكل خاص"².

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَنْقُضَ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ⁽¹⁷¹⁾﴾³. في الآية حذف والتقدير: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم). وحذف فعل القول الذي يدل عليه

¹ - سورة البقرة، الآيتان: 55، 56.

² - احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآن "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى -عليه السلام-"، ص: 51، 52.

³ - سورة الأعراف، الآية: 171.

نظم الكلام شائع في العربية¹. و"ضمائر الجمع كلها هنا مراد بها بنو إسرائيل الذين كانوا مع موسى، بقرينة المقام"².

"﴿نتقنا﴾ أي: قلعنا ورفعنا، وأتى بنون العظمة لزيادة الترهيب ﴿الجبل﴾ عرفه لمعرفةهم به، وعبر لدلالة لفظه على الصعوبة والشدة دون (الطور) - كما في سورة البقرة- لأن السياق لبيان نكدهم بإسراعهم في المعاصي الدالة على غلظ القلب. ولما كان الجبل مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم، حذف الجار فقال: ﴿فوقهم﴾ ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله: ﴿كأنه ظلة﴾ أي: سقف، [وُفِّسَتْ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّهَا كُلُّ مَا عَلَا وَأَظْلَّ لِأَجْلِ حَرْفِ التَّشْبِيهِ]³ وحقق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله: ﴿وظنوا﴾ هو على حقيقته [أي: تيقنوا]⁴ ﴿أنه واقع﴾ ولما كان ما تقدم قد حقق العلو، لم يحتج إلى حرف الاستعلاء، فقال مشيرا إلى السرعة واللصوق: ﴿بهم﴾⁵، "وعدي ﴿واقع﴾ بالباء: للدلالة على أنهم كانوا مستقرين في الجبل فهو إذا ارتفع وقع ملابسا لهم ففتّهم، فهم يرون أعلاه فوقهم وهم في سفحه، وهذا وجه الجمع بين قوله فوقهم وبين باء الملاسة"⁶.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بعظمتنا، وهنا "مقول قول محذوف تقديره: (قائلين لهم خذوا)، وذلك هو الذي أخذ الميثاق عليه. والأخذ مجاز عن التلقي والتفهم. والقوة مجاز في الإيعاء

¹ - ينظر: احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآن، ص: 52.

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 165.

³ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج5، ص: 92.

⁴ - المصدر نفسه، ج5، ص: 92.

⁵ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص: 150.

⁶ - محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ج9، ص: 165.

وإتقان التلقي والعزيمة على العمل به¹، "فهو جدير بالإقبال عليه وأن يعتقد فيه الكمال، وأكد ذلك بقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: عزم عظيم على احتمال مشاقه؛ ولما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسيه في وقت، قال: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: من الأوامر والنواهي وغيرهما فلا تنسوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون حالكم حال من يرجى تقواه². "وجملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ علة للأمر بقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ ولذلك فصلت بدون عطف. والرجاء الذي يقتضيه حرف (لعل) مستعمل في معنى تقريب سبب التقوى بحضهم على الأخذ بقوة، وتعهّد التذكّر لما فيه، فذلك التقريب والتبيين شبيه برجاء الراجي³. وهذا تشديد من الله تعالى للحرص على حفظها والاهتمام بأمرها.

في الآية الثانية من المشهد ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلِئِنِّي أَتْلُو لَكَ مَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾¹⁵⁵ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الذِّكْرِ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ⁴. "الاختيار تمييز المرغوب من بين ما هو مخلوط من مرغوب وضده (...). فبناء نظم الكلام على ذكر القوم ابتداء دون الاختصار على سبعين رجلا اقتضاه حال الإيجاز في الحكاية، وهو من مقاصد القرآن⁵، وهو من باب الاعتناء بالمقدم (قوم) والتشويق إلى المؤخر (سبعين). وفي قوله: (سبعين رجلا) "إشارة إلى أن من عداهم

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 542.

² - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص: 151.

³ - المصدر السابق، ج1، ص: 542.

⁴ - سورة الأعراف، الآية: 155، 156.

⁵ - المصدر السابق، ج9، ص: 123.

عدم، لا يطلق عليهم اسم القوم في المعنى الذي أراده"¹، فقد اختار سيدنا موسى -عليه السلام- لميقات ربه من يصلح أن يكون في الحضرة الربانية عند الجبل. "والأخذ مجاز في الإصابة الشديدة المتمكنة تمكن الآخذ من المأخوذ"². قال موسى -عليه السلام- "أهلكتهم وإياي ولم يقل: أهلكتنا، للتفرقة بين الإهلاكين لأن إهلاك السبعين لأجل سكوتهم على عبادة العجل، وإهلاك موسى قد يكون لأجل أن لا يشهد هلاك القوم"³. "ولم يقل: (لأهلكتهم) مع أن الغالب في جوابها الماضي المثبت أن يقترب باللام فحذف اللام هنا لنكتة أن التلازم بين شرط (لو) وجوابها هنا قوي لظهور أن الإهلاك من فعل الله وحده"⁴.

"والاستفهام في قوله: (أهلكنا) مستعمل في التفجع أي: أخشى ذلك؛ لأن القوم استحقوا العذاب ويخشى أن يشمل عذاب الله من كان مع القوم المستحقين وإن لم يشاركهم في سبب العذاب (...). وإنما جمع الضمير في قوله: (أهلكنا) لأن هذا الإهلاك هو الإهلاك المتوقع من استمرار الرجفة، وتوقعه واحد في زمن واحد، بخلاف الإهلاك المتقدم ذكره [في أهلكتهم] فسببه مختلف فناسب توزيع مفعوله."⁵

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾. في هذه الآية قصر بأداة النفي (إن) والاستثناء بـ (إلا)، والخبر

في قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ الآية: مستعمل في إنشاء التمجيد بسعة العلم والقدرة، والتعريض

¹ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص: 100.

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 125.

³ - المصدر نفسه، ج9، ص: 125.

⁴ - المصدر نفسه، ج9، ص: 125.

⁵ - المصدر نفسه، ج9، ص: 126.

بطلب استبقائهم وهدايتهم"¹. والضمير في (إنْ هي) راجع إلى ما فعل السفهاء، والتقدير: ليست الفتنة الحاصلة بعبادة العجل إلا فتنة منك، أي: من تقديرِكَ وخلق أسباب حدوثها، مثل سخافة عقول القوم، وإعجابهم بأصنام الكنعانيين، وغيبة موسى، ولين هارون، وغير ذلك مما يعلمه الله².

"والفتنة ما يقع به اضطراب الأحوال، ومرجها، وتشتت البال"³، وكاف الخطاب العائد على الله تعالى في قوله: (فتنتك) يدل على أنه من تقديرِكَ وخلق أسباب حدوثها ولإنشاء التمجيد بسعة العلم والقدرة⁴.

وقوله: ﴿تضل بها من تشاء﴾ هو في موضع الحال من فتنتك فالإضلال بها حال من أحوالها. ثم عرض بطلب الهداية لهم بقوله: ﴿وتهدي من تشاء﴾ والمجرور في قوله: (بها) متعلق بفعل (تُضل) وحده ولا يتنازعه معه فعل (تَهدي) لأن الفتنة لا تكون سبب هداية بقرينة تسميتها فتنة، فمن قدر في التفسير: وتهدي بها أو نحوه، فقد غفل⁵. "والباء: إما للملابسة، أي تضل من تشاء ملابسا لها، وإما للسببية، أي: تضل بسبب تلك الفتنة، فهي من جهة فتنة، ومن جهة سبب ضلال"⁶.

"والقصد من جملة ﴿أنت ولينا﴾ الاعتراف بالانقطاع لعبادة الله تعالى، تمهيدا لمطلب المغفرة والرحمة؛ لأن شأن الولي أن يرحم مولاه وينصره. والولي: الذي له ولاية على أحد، والولاية حلف أو عتق يقتضي النصرة والإعانة، فإن كان من جانبيين متكافئين فكلا المتعاقدين يقال له

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 127.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 126.

³ - المصدر نفسه، ج9، ص: 127.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 127.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 127.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 127.

مولي، وإن كان أحد الجانبين أقوى قيل للقوي ولي وللضعيف مولى وإذ قد كانت الولاية غير قابلة للتعدد؛ لأن المرء لا يتولى غير مواليه، كان قوله ﴿أنت وليّنا﴾ مقتضيا عدم الانتصار بغير الله، وفي صريحه صيغة قصر. والتفريع عن الولاية في قوله: ﴿فاغفر لنا﴾ تفريع كلام على كلام وليس المراد أن الولي يتعين عليه الغفران. وقدم المغفرة على الرحمة لأن المغفرة سبب لرحمات كثيرة، فإن المغفرة تنهية لغضب الله المترتب على الذنب، فإذا انتهى الغضب تسنى أن يخلفه الرضا. والرضا يقتضي الإحسان¹. "والفاء [في قوله: فاغفر لنا] لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية، كأنه قيل: فمن شاء الوليُّ المغفرةَ والرحمة"².

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ "اعتراض تذييلي" مقرر لما قبله من الدعاء، وتخصيص المغفرة بالذكر؛ لأنها الأهم بحسب المقام³.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدِّينِ الْحَسَنَةَ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾

الفعل "اكتب" مستعار لمعنى العطاء المحقق حصوله، المحدد مرة بعد مرة؛ لأن الذي يريد تحقيق عقد، أو عدة، أو عطاء، ويعلقه بالتجدد في المستقبل يكتب به في صحيفة، فلا يقبل النكران، ولا النقصان، ولا الرجوع، وتسمى تلك الكتابة عهدا (...). ولو كان العطاء أو التعاقد لمرة واحدة لم يحتاج للكتابة؛ لأن الحوز أو التمكين مغن عن الكتابة (...). [فمعنى الآية]: آتينا الحسنة تلو الحسنة في أزمان حياتنا وفي يوم القيامة، دل على هذا المعنى لفظ (اكتب) ولولاه

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 127.

² - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2، ص: 412.

* - الاعتراض التذييلي: هو اعتراض يقع آخر الكلام لقصد التذييل لمضمون ما قبله. (ينظر: صلاح أحمد رمضان حسين جاد المولى: مصطلح الاعتراض التذييلي بين الرفض والقبول، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقم، جامعة الأزهر، مج7، ع2، 2005، ص: 427 وما بعدها).

³ - المصدر السابق، ج2، ص: 412.

لكان دعاء صادقاً بإعطاء حسنة واحدة، فيحتاج إلى الاستعانة على العموم بقرينة الدعاء، فإن النكرة يراد بها العموم في سياق الدعاء"¹.

"و﴿الحسنة﴾: الحالة الحسنة، وهي: في الدنيا المرضية للناس والله تعالى، فتجمع خير الدنيا والدين، وفي الآخرة حالة الكمال"².

﴿هُدُنَا﴾ مَعْنَاهُ تُبْنَا، يُقَالُ: هَادَ يَهُودُ إِذَا رَجَعَ وَتَابَ. وَجُمْلَةُ ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ مسوقة مساق التعليل للطلب والاستجابة، ولذلك فصلت* ولأن موقع حرف التأكيد في أولها موقع الاهتمام، فيفيد التعليل والربط³.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 128.

² - المصدر نفسه، ج9، ص: 127.

* - الفصل في اصطلاح أهل المعاني: ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه، إمّا لأن الجملتين متحدثتان مبنى ومعنى، أو بمترلة المتحدثين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما في المعنى. (ينظر: عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة "المعاني- البيان- البديع"، ص: 297).

³ - ينظر: المصدر السابق، ج9، ص: 128.

المشهد الرابع:

مشهد دخول الأرض المقدسة:

أمر الله موسى -عليه السلام- أن يسير ببني إسرائيل إلى بيت المقدس، وهناك كان يعيش في القدس قوم عماليق فرفض بنو إسرائيل الاستجابة لموسى -عليه السلام- ودخول بيت المقدس طالما هؤلاء الناس فيه، حاول معهم فرفضوا وأصرّوا وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا. قال الله تعالى: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبُرِكُمْ فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾⁽²¹⁾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ⁽²²⁾ قَالَ رَجُلَيْنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَلِبْتُمُوهُ وَعَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ⁽²³⁾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ⁽²⁴⁾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ⁽²⁵⁾¹.

هنا دعا عليهم موسى -عليه السلام-، فحرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة، وكتب عليهم التّيه والشتات في الأرض يسرون بلا مأوى. قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾⁽²⁶⁾².

¹ - سورة المائدة، الآيات: 21 - 25.

² - سورة المائدة، الآية: 26.

أ/ توصيف المشهد الرابع:

في هذا المشهد ثلاثة أحداث:

- ح1- دعوة موسى -عليه السلام- بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة، ورفضهم الدعوة.
- ح2- دعوة الرجلين الصالحين بني إسرائيل التوكل على ودخول الأرض المقدسة.
- ح3- إصرار بني إسرائيل على الرفض ودعاء موسى -عليه السلام- بفراق بني إسرائيل وشتاتهم.

ب/ أدبية التصوير في المشهد الرابع من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

تحديدا الأرض بصفة (المقدسة) فيه دلالة على الطهر والتطهير.

في قوله تعالى: ﴿يَقْوَمُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾¹ أضاف القوم إلى نفسه إضافة تشريفية "اهتماما بشأن الأمر، ومبالغة في حثهم على الامتثال به"¹. والتقديس التطهير، "ووصفت تلك الأرض بذلك إما لأنها مطهرة من الشرك حيث جعلت مسكن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أو لأنها مطهرة من الآفات، وغلبة الجبارين عليها لا يخرجها عن أن تكون مقدسة، أو لأنها طهرت من القحط والجوع، وقيل: سميت مقدسة؛ لأن فيها المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب"².

ومعنى ﴿كُتِبَ اللَّهُ﴾ "قضى وقدر، وليس ثمة كتابة ولكنه تعبير مجازي شائع في اللغة، لأن الشيء إذا أكدته الملزم به كتبه"³.

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود آلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3، ص: 276.

² - المصدر نفسه، ج3، ص: 277.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص: 162.

وقوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ نهي وتحذير مما يوجب الانهزام، و"عُدِّي [الفعل: تَرْتَدُّوا] بـ (على) الدالة على الاستعلاء، أي استعلاء طريق السير، نُزِّلَتِ الأدبار التي يكون السير في جهتها مَرْتَلَةً الطريق الذي يُسار عليه"¹.

وبعد كلام سيدنا موسى -عليه السلام- المحرك للنفوس وترغيبه المشوق؛ وترهيبه المقلق "﴿قَالُوا﴾؛ معرضين عن ذلك كله بهمم سافلة؛ وأحوال نازلة؛ مخاطبين له باسمه جفاء وجلافة وقلة أدب ﴿يا موسى﴾ وأكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم، فقالوا مخاطبين بجرأة وقلة حياء لأعلم أهل زمانه: ﴿إِنَّ فِيهَا﴾ أي دون غيرها ﴿قوما جبارين﴾؛ أي عتاة قاهرين لغيرهم مكرهين لهم على ما يريدون ﴿وإِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ خوفا منهم ﴿حتى يخرجوا منها﴾ ثم صرحوا بالإتيان بالجملة الاسمية المؤكدة بتهالكهم على الدخول وأنه لا مانع لهم إلا الجبن فقالوا: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي بأي وجه كان، وعبروا بأداة الشك مع إعلام الله لهم بإهلاكهم على أيديهم جلافة منهم؛ وعراقاة طبع في التكذيب ﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾"².

ثم يظهر نقض بني إسرائيل العهد مع الله، بل والإصرار على نقض الميثاق بدلالة التعبير بالنفي المؤكد في قوله: ﴿وإِنَّا لَنَدْخُلُهَا﴾ ثم تكرر وتأكيدُهُ ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾ غير مبالين بالناصحين ولا بموسى -عليه السلام-³ يشحذ لهم أعظم المشجعات فيذكّرهم بالنبوة والملك والمجد، وهي أعظم تطلعاتهم الاجتماعية، كما يشحذ أشد التحذيرات ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ويستخدم أسلوب الملاينة واللفظ البالغين ﴿وَمَا لَكُمْ لِمَا يُمُوتُ أَحَدًا

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص: 163.

² - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص: 75، 76.

³ - ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج6، ص: 285.

مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ولكنهم لا يعرفون سوى النكوص ونقض الميثاق، وتأمل التعبير بـ (كَنَبَ) ودلالته على أن هذه الأرض يقين والنصر مؤكد، وهو تعبير مجازي؛ فالشيء إذا أكدته الملتزم به كتبه، وإنما يريد منهم تكاليف النصر والوفاء بالعهد وحسب¹.

وفي قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَغَلَبُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)

"يجوز أن يكون المراد بالخوف في قوله: "يخافون" الخوف من العدو؛ فيكون المراد باسم الموصول بني إسرائيل جعل تعريفهم بالموصولية للتعريض بهم بمذمة الخوف وعدم الشجاعة، فيكون (مِن) في قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ اتصالية وهي التي في نحو قولهم: لستُ منك ولستَ مني، أي ينتسبون إلى الذين يخافون. وليس المعنى أنهم متصفون بالخوف بقريئة أنهم حرّضوا قومهم على غزو العدو، وعليه يكون قوله: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أن الله أنعم عليهما بالشجاعة، فحذف متعلق فعل (أَنعَمَ) اكتفاء بدلالة السياق عليه².

"ويجوز أن يكون المراد بالخوف الخوف من الله تعالى، أي كان قولهما لقومهما ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ ناشئا عن خوفهما الله تعالى، فيكون تعريضا بأن الذين عصوهما لا يخافون الله تعالى، ويكون قوله: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ استئنفا بيانيا لبيان منشأ خوفهما الله تعالى، أي

¹ - منى بنت فهد أحمد النصر: أسرار المناسبة في القصة القرآنية "قصة موسى نموذجاً"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم

الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، س: 6، ع: 13، 1438هـ، ص: 709.

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج: 6، ص: 164، 165.

الخوف من الله نعمة منه عليهما. وهذا يقتضي أن الشجاعة في نصر الدين نعمة من الله على صاحبها"¹.

والجملة من ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ "صفة لقوله: رجلا، وصفا أولا بالجار والمجرور، ثم ثانيا بالجملة. وهذا على الترتيب الأكثر في تقديم المجرور، أو الظرف على الجملة إذا وصفت بهما، وجُوزَ أن تكون الجملة حالا على إضمار (قد) [أي: قالا مُحَاطِبِينَ لَهُمْ وَمُشَجِّعِينَ]²، وأن تكون اعتراضا، فلا يكون لها موضع من الإعراب"³.

وتقديم الجار والمجرور (عليهما) عَلَى المفعول به (الباب) "للاهتمام به؛ لأن المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي باغثوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصَّحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا"⁴.

وبعد ذلك ذِيلاً بقولهما: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ "لأن الشك في صدق الرسول مبطل للإيمان"⁵، لذلك علّق الرجلان التوكل على الله بشرط الإيمان.

وفي الآية: ﴿قَالُوا يَمْؤُومُونَ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾

هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿24﴾

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص: 165.

² - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2، ص: 36.

³ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج3، ص: 470.

⁴ - المصدر السابق، ج2، ص: 36.

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ج6، ص: 165.

قال بنو إسرائيل بعد مخاطبة الرجلين غير مباليين بهما وبمقاتلتهما، مخاطبين موسى -عليه السلام-
مُصْرِّين ومُصْرِّحِينَ بمخالفتهم له -عليه السلام- ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَن نَدْخُلَهَا﴾ "أي أرض
الجبابرة، فضلا عن الدخول عليهم وهم في بلدهم"¹. ﴿أَبَدًا﴾ "أي دهرًا طويلاً، أو فيما
يستقبل من الزمان كله" ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ أي في تلك الأرض، وهو بدل من (أَبَدًا) بدل
البعض، وقيل: بدل الكل من الكل، أو عطف بيان لوقوعه بين النكرتين"².

لقد "أكدوا نفيهم للإقدام عليهم بقولهم: ﴿إِنَّا﴾؛ وعظموا تأكيدهم بقولهم: ﴿لَن نَدْخُلَهَا﴾؛
وزادوه تأكيداً بقولهم: ﴿أَبَدًا﴾ وقيدوا ذلك بقولهم: ﴿مَا دَامُوا﴾ أي الجبابرة ﴿فِيهَا﴾ أي
لهم اليد عليها"³.

﴿فَاذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾ "أي فقاتلاهم وأخرجاهم حتى ندخل الأرض؛ وقالوا ذلك
استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله -عليه السلام- وعدم مبالاة، وقصدوا ذهابهما حقيقة
كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم"⁴. وفي قولهم: ﴿وَرَبُّكَ﴾ إنكار على إحسان الله
إليهم وتخصيصه لموسى -عليه السلام- وفي ذلك دلالة على سوء طباعهم وجفاء قلوبهم وغلظ
أكبادهم، "وهذا القول إن لم يكن قائلوه يعتقدون التجسيم فهم مشارفون له"⁵.

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3،
ص: 278.

² - المصدر نفسه، ج3، ص: 278.

³ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج6، ص: 77.

⁴ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: ج3، ص: 278.

⁵ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: المصدر السابق، ج6، ص: 77.

وفي قولهم: ﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ تأكيد على ثبوتهم وعدم حركتهم "فالمقعد في القرآن الكريم يدلّ على ثبوت في حين تجد المجلس متغيراً؛ لأن أمره إلى الزوال، وكيفما قلبنا القعود دلّ على اللبث والاستقرار"¹.

وفي قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (25)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ "كأنه في هذا الحصر لم يثق بالرجلين اللذين قالوا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾، ولم يطمئن إلى ثباتهما لما عاين من أحوال قومهم وتلونهم مع طول الصحبة، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في ثباته"².

﴿وَأَخِي﴾ "هارون -عليه السلام- وهو عطف على (نفسي) أي: لا يجيئني إلى طاعتك، ويوافقي على تنفيذ أمرك سوى ﴿نَفْسِي وَأَخِي﴾، ولم يذكر الرجلين اللذين أنعم الله تعالى عليهما -وإن كانا يوافقانه إذا دعا- لما رأى من تلون القوم، وتقلب آرائهم، فكأنه يثق بهما، ولم يعتمد عليهما. وقيل: ليس القصد إلى القصر، بل إلى بيان قلة من يوافقه، تشبيهاً لحاله بحال من لا يملك إلا نفسه وأخاه"³.

"ويجوز في (أخي) وجوه آخر من الإعراب:

¹ - محمد ياس خضر الدوري: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 125.

² - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر الحبيب، ج3، ص: 472.

³ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود آلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3، ص: 279.

الأول أنه منصوب بالعطف على اسم (إنّ).

الثاني أنه مرفوع بالعطف على فاعل (أملك) للفصل.

الثالث أنه مبتدأ خبره محذوف.

الرابع أنه معطوف على محل اسم (إنّ) البعيد؛ لأنه بعد استكمال الخبر، والجمهور على جوازه

حينئذ. الخامس أنه مجرور بالعطف على الضمير المجرور على رأي الكوفيين.

ثم لا يلزم على بعض الوجوه الاتحاد في المفعول، بل يقدر للمعطوف مفعول آخر، أي وأخي إلا

نفسه، فلا يرد ما قيل: إنه يلزم من عطفه على اسم (إنّ) أو فاعل (أملك) أن موسى

وهارون -عليهما السلام- لا يملكان إلا نفس موسى -عليه السلام- فقط، وليس المعنى على

ذلك كما لا يخفى¹.

﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ يريد نفسه وأخاه -عليهما الصلاة والسلام- والفاء

لترتيب الفرق، والدعاء به على ما قبله، و(الفاسقين): الخارجين عن طاعتك، بأن تحكم لنا بما

نستحقه، وعليهم بما يستحقونه².

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3،

ص: 279.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 279.

المشهد الخامس:

مشهد بقرة بني إسرائيل:

ورد ذكر هذا المشهد في سورة البقرة الآيات (من 67 إلى 74)، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^{٦٧}﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ^{٦٨}﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ^{٦٩}﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ^{٧٠}﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ^{٧١}﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرِكْهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ^{٧٢}﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوه بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُؤْيِيكُمُ الْآيَةَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^{٧٣}﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فِيْخُرْجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^{٧٤}﴾^١

أ/ توصيف المشهد الخامس:

في هذا المشهد ثلاثة أحداث:

ح1- حوار موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل حول البقرة. (الآيات: 67 - 71).

^١ - سورة البقرة، الآيات: 67 - 74.

ح2- ضرب الرجل ببعض البقرة وإحياءه. (الآيتان: 72 - 73).

ح3- قسوة قلوب بني إسرائيل بعد هذه المعجزة. (الآية: 74).

ب/ أدبية التصوير في المشهد الخامس من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

يدل هذا المشهد على سوء تلقي بني إسرائيل الشريعة، والتلکي في تنفيذ أوامر الوحي، فإنها أعظم حادثة تدل على التوائهم، وترسم لجاتهم وتعنتهم في الاستجابة لأوامر الله، ومن خصائصها الدالة:

- تنكير البقرة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فإنهم لو ذبحوا بقرة أجزأهم، لكن سؤالهم للتباطئ والتلکي، واختص البقر من سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله فاختبروا بذلك البلاء العظيم.¹

- البدء بالمشهد من وسطه لا من أوله، فالمشهد يلخص حادثة قتل، أمر الله بذبح بقرة وضرب الميت ببعضها ليحيى القتل، ويكشف عن هوية القاتل، ولكن المشهد لم يسرد القصة حسب الوقائع، "فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها...."².

لقد وقف المفسرون وقفة تأمل طويلة عند تفسير هذه الآيات، وذلك لسردها حادثتين متصلتين، جاء في تفسير (الكشاف) بيان العبرة من القصتين، واللطفة الناتجة عن تقديم قصة الأمر بذبح البقرة عن قصة القتل ما نصّه: " كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قصّ

¹ - ينظر: محمد بن يوسف الشهير بأي حيان الأندلسي: تفسير البحر الحيط، ج1، ص: 414.

² - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 83.

تعيدا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدّ فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع، وإن كانتا متصلتين متحدتين. فالأولى: لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانية: للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآفة العظيمة، وإنما قُدمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل لأنّه لو عمل على عكسه لكانت قصّة واحدة، ولذهب الغرض في تشيئة التقريع، ولقد رُوِيَت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصّة برأسها إن وُصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: ﴿أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتشبيّه بإخراج الثانية مخرَج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصّة واحدة بالضمير الرَّاجع إلى البقرة¹.

- الاستفهام الدال على الاستخفاف بنبيهم ﴿أَلَنَخَذُ نَاهِرُؤَا﴾ الدال على تكذيبهم وكفرهم بما طلب منهم، "فهم يستفهمون استفهاما حقيقيا لظنهم أنّ الأمر بذبح البقرة استهزاء بهم"²، لذلك نفى الجهل عنه -عليه السلام- لنفي ملزومه وهو الاستهزاء ﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وأخرجه بلفظ الاستعاذة استفظاعا له، وتعرضا بأنهم جاهلون³. وهذه "كناية عن نفي المزح بنفي ملزومه (...). وبالغ في التّرهّ بقوله (أعوذ بالله) أي منه لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى"⁴.

¹ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 83.

² - محمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني، ص: 165.

³ - ينظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج1، ص: 415.

⁴ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 548.

- إضافة الربّ إلى موسى -عليه السلام- في كل مرة ﴿ادْعُ لِنَارِكَ﴾ مشعر بضعف إيمانهم بالله، فألحقوا (رب) بـ (كاف الخطاب) العائد على موسى -عليه السلام-.

- دلالة الأمر في قوله: ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ على الحث على الامتثال والزجر عن المراجعة، وفيه "تأكيد وتنبيه على ترك التّعنت"¹.

- قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ كناية عن تعسر الفعل وثقله عليهم، وتعريض بهم لسوء تلقيهم الشريعة، وإنهم لفرط تطويلهم، وكثرة مراجعاتهم ما كادوا ينفذون الأمر².

- ودلالة (ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ على استبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يوجب لينها³.

- ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ تشبيه القلوب بالحجارة دلالة على استحالة صدور الخير منهم، فقد "استعيرت [القسوة] لنبوّ قلوبهم عن التأثير بالعظاات والقوارع التي تميمع منها الجبال، وتلين لها الصخور"⁴. وإيراده بصيغة الفعل (قَسَتْ) المفيد لتجدد الحدوث؛ للدلالة على بلوغها مرتبة حادثة مخصوصة من مراتب القسوة⁵، "فإن القلوب بعد أن شبّهت بالحجارة وكان الشأن أن يكون المشبه أضعف في الوصف من المشبه به يُبنى على ذلك ابتداء التشبيه بما هو أشهر ثم

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج2، ص: 184.

² - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 556.

³ - ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 83.

⁴ - محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص: 193.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 193.

عقب التشبيه بالترقي إلى التفضيل في وجه الشبه¹، أي فاقت قلوب اليهود الحجارة وشدة قسوتها لأن من الحجارة - كما حكى القرآن الكريم - لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء لكن قلوب اليهود فقدت أي مظهر من مظاهر الحياة فانغلقت عن سماع الحق وامتنعت عن الانقياد لأوامر الله تعالى².

- التفضيل بالفعل (أشد) مع إمكان (أقسى) في قوله: ﴿أَوَاشَدُّ قَسْوَةً﴾ لأجل المبالغة، يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل: (أشد قسوة) وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل، وفعل التعجب؟ قلت: لكونه أئين وأدل على فرط القسوة (...) ووصفها بالشدة، كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة، وقلوبهم أشد قسوة"³، وإبراز قساوة قلوبهم في معرض العيوب الظاهرة تنبيهها على أنها من أعظم العيوب التي تصد عن علام الغيوب⁴. لقد جعلت القصة قصتين لقصد الإسهاب وزيادة التقرير، ولذلك جاء التعقيب عليها بأسلوب الاستفهام الإنكاري ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾⁵ لتحذير المسلمين من انحرافاتهم واستبعاد إيمانهم⁶.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 563.

² - ينظر: نيهان حسون السعدون ويوسف سليمان الطحان: مشاهد من قصة موسى - عليه السلام - "دراسة أسلوبية"،

مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، مج6، ع: 12، 2012، ص: 111.

³ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 83.

⁴ - ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

ج1، ص: 295.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 75.

⁶ - ينظر: المصدر السابق، ج1، ص: 298.

في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ مساواة* بين اللفظ والمعنى، وبعده إطناب للتشديد والتعريض بغاوة بني إسرائيل، فقد فصل موسى -عليه السلام- في تعداد أوصاف البقرة المطلوب ذبحها عندما حاوره قومه وراجعوه¹. سألوه عن ماهيتها في المرة الثانية فقال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (68). وأجابهم عندما سألوه عن لونها: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (69). وفي المرة الرابعة عرض بغاوتهم بوضوح قائلاً: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (71).

حلل المفسرون الإطناب في وصف البقرة وأرجعوه إلى سببين:

الأول: التشديد على بني إسرائيل، جزاءً وفاقاً لتعتتهم، وعدم طاعتهم لنبي الله موسى -عليه السلام- "ولو امتثلوا الأمر وذبحوا أي بقرة كانت، لحصل المقصود، لكنهم شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم"².

* - المساواة: "أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض". (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ص: 179).

¹ - ينظر: أحمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآن، ص: 72.

² - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج2، ص: 181.

الثاني: التعريض^{**} بغباوتهم، حيث إنه كان في الإمكان أن يقول من أول الجواب: إنَّها عوان، لكنَّه لجأ إلى تكثير التوصيف تعريضاً بغباوتهم، وحتى لا يترك له مجالاً لإعادة السؤال¹.

في هذا المشهد كثرة الفصل في حوار موسى-عليه السلام- مع قومه، وهو ما يقتضيه الحوار؛ لأن المستمع تتبادر إلى ذهنه أسئلة لا يجب عنها إلا الحوار والإجابات التي جاءت مفصولة عما قبلها. واعلم أن الذي تراه في التتريل من لفظ (قال) مفصولا غير معطوف، جاء -والله أعلم- على تقدير السؤال والجواب². فلما كان السامع منا إذا سمع الخبر عن موسى -عليه السلام- بأنه قال لقومه: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" وقع في نفسه أن يقول: فما قال قومه له؟ أتى قوله: "قَالُوا أَلَنَخَذُنَا هَٰذَا" "مأتى الجواب مُبتدأً مفصولا غير معطوف. وهكذا التقدير والتفسير أبدا في كل ما جاء فيه لفظ (قال) هذا الجيء، وقد يكون الأمر في بعض ذلك أشد وضوحاً³.

^{**} - التعريض: قسم من أقسام الكناية، وهو "إطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر يفهم من السياق. (...) كقولك لمن تجاوز حدّه: رحم الله امرأ عرف حدّه فوقف عنده. كناية من قبيل التعريض بأن صاحبك لم يعرف حدّه". (ينظر: عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية، ص: 543، 544).

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص: 551.

² - ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 240، 241.

³ - المصدر نفسه، ص: 241.

المشهد السادس:

مشهد طالوت وجالوت:

ورد ذكر هذا المشهد في سورة البقرة الآيات (من 246 إلى 252)، قال الله عز وجل:

﴿لَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَنَا مُلْكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ
وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾^١

أ/ توصيف المشهد السادس:

في هذا المشهد ثلاثة أحداث:

ح1- طلب الملاء من نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا.

ح2- إعلام النبي الملاء بالملك المبعوث إليهم وآية ملكه.

ح3- امتحان الله لجنود طالوت وغلبة داوود جالوت.

ب/ أدبية التصوير في المشهد السادس من خلال معاني الآيات ودلالاتها:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ "الملاء من القوم: وجوهمهم وأشرافهم، وهو

اسم للجماعة، لا واحد من لفظه (...)، وإنما سمي الأشراف بذلك؛ لأن هيبته تملأ الصدور،

أو لأنهم يتمالئون؛ أي: يتعاونون بما لا مزيد عليه، و(من) للتبعيض، والجار والمجرور متعلق

بمحدوف، وقع حالا من الملاء ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي من بعد وفاته -عليه السلام- و(من)

للابتداء، وهي متعلقة بما تعلق به ما قبله، ولا يضر اتحاد الحرفين لفظاً؛ لاختلافهما معنى"².

¹ - سورة البقرة، الآيات: 246 - 252.

² - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

ج1، ص: 556.

فلما كان الإخلال من الشريف أقبح قال: ﴿إِلَى الْمَلَأِ﴾، ولما كان ذلك من أولاد الصُّلحاء أشنع قال: ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، ولما كان ممن تقرر له الدين واتضحت له المعجزات واشتهرت عنده الأمور الإلهيات أفحش قال ﴿مَنْ بَعْدَ مُوسَى﴾ ولما كان الإخلاف مع الأكابر لا سيّما مع الأنبياء أفظع قال: ﴿لَنِي لَهُمْ﴾¹.

وفي هذا "إشارة إلى أنهم أضاعوا الانتفاع بالزمن الذي كان فيه رسولهم بين ظهرانيهم"².

"و(إذ) متعلقة بمضمر يستدعيه المقام؛ أي: (ألم تر) قصة الملائكة أو حديثهم حين ﴿قَالُوا لَنَبِيٍّ

لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾"³. "وتنكير (نبيء لهم) للإشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبيء فلا حاجة إلى تعيينه، وإنما المقصود حال القوم وهذا دأب القرآن في قصصه"⁴ لا يركّز على ذكر أسماء بعض الشخصيات لأن العبرة بأحوالهم لا بأسمائهم.

وفي قوله تعالى: ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الفعل (نقاتل) "مجزوم بالأمر، وقرئ بالرفع على أنه حال مقدرة؛ أي: ابعثه لنا مقدرين القتال، أو مستأنف استئنافا بيانيا؛ كأنه قيل: فماذا تفعلون مع الملك؟ فأجيب: نقاتل، وقرئ: يقاتل -بالياء- مجزوما ومرفوعا على الجواب للأمر والوصف لـ (ملكا)"⁵.

¹ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 407، 408.

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 485.

³ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص: 556.

⁴ - المصدر السابق، ج2، ص: 485.

⁵ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: المصدر السابق، مج1، ص: 556.

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ "عسى من النواسخ، وخبرها (أن لا تقاتلوا) وفصل بالشرط اعتناء به، والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم، والمراد: تقرير أن المتَّوَقَّع كائن وتبتيته على ما قيل، واعتراض بأن عسيتم أن لا تقاتلوا معناه: توقع عدم القتال. و(هل) لا يُستفهم بها إلا عما دخلته، فيكون الاستفهام عن التَّوَقُّع لا المتَّوَقَّع، ولا يلزم من تقرير الاستفهام أن المتَّوَقَّع ثابت، بل إن التَّوَقُّع كائن، وأين هذا من ذاك؟! وأجيب بأن الاستفهام دخل على جملةٍ مشتملةٍ على تَوَقُّعٍ ومتَّوَقَّعٍ، ولا سبيل إلى الأوَّل؛ لأنَّ الرجل لا يُستفهم عن تَوَقُّعه، فتعيَّن أن يكون عن المتَّوَقَّع، ولما كان الاستفهام على سبيل التقرير؛ كان المراد أن المتَّوَقَّع كائن، وقيل: لما كانت عسى لإنشاء التَّوَقُّع، ولا تخرج عنه؛ جعل الاستفهام التقريري متوجِّهاً إلى المتَّوَقَّع، وهو الخبر الذي هو محلُّ الفائدة، فقرَّره وثبته، وكون المستفهم عنه يلي الهمزة ليس أمراً كلياً، وقيل: إنَّ (عسى) ليست من النواسخ، وقد تضمنت معنى (قارب)، وأنَّ ما بعدها مفعول لها، وهذا معنى قول بعضهم: إنها خبر لا إنشاء، واستُبدِلَ على ذلك بدخول الاستفهام عليها، ووقعها خبراً في قوله:

أَكْثَرْتَ فِي الْعَدْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنَّ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا*

ولا يخفى ما فيه، وإنما ذكر في معرض الشرط كتابة القتال دون ما التمسوه، مع أنه أظهر تعلقاً بكلامهم؛ مبالغةً في بيان تخلفهم عنه، فإنهم إذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم، بإيجاب الله تعالى؛ فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى، ولأنَّ ما ذكره ربُّهم أن سبب تخلفهم هو المبعوث، لا نفس القتال، ويُحتمل أنه أقام هذا مقام ذلك؛ إيماءً إلى أن ذلك البعث المترتب عليه

* - هذا بيت مجهول، لم ينسبه الشراح إلى أحد. (محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار

الطلائع، للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2009، ج1، ص: 257).

القتالُ إذا وقع فإنما يقع على وجهٍ يترتب عليه للفرضية"¹، "وهذا من أبدع الإيجاز: فقد حكى جملاً كثيرة وقعت في كلام بينهم، وذلك أنه قرّره على إضمارهم نية عدم القتال اختباراً وسيراً لمقدار عزمهم عليه، ولذلك جاء في الاستفهام بالنفي"². والغرض من قوله هذا هو العناية بتأديب السائلين والتنبيه على سؤال العافية والبعد عن التعرض للبلاء"³.

ولما علّم أن بعض الناس يترك القتال عن ضعف عنه وبعضهم يتركه عن قوة نفى الفعل (تقاتلوا) ولم يقل: أن تعجزوا"⁴.

"والمقصود من هذا الكلام التحريض: لأنّ ذا المهمة يأنف من نسبته إلى التقصير، فإذا سُجّل ذلك عليه قبل وجود دواعيه كان على حذر من وقوعه في المستقبل، كما يقول من يوصي غيره: افعل كذا وكذا وما أظنّك تفعل"⁵.

وفي قول الحق سبحانه: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ "دخلت الواو لتدل على ربط هذا الكلام بما قبله، ولو حذفت لجاز أن يكون منقطعاً عنه، -قاله أبو البقاء-^{*}، وجوّز أن

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص: 556، 557.

² - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 485.

³ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 410.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 411.

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ج2، ص: 485، 486.

^{*} - هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أحد قضاة الأحناف، ولد في مدينة كَفّة بتركيا سنة 1028هـ، تضرّع في الفقه والأصول وعلم الكلام وعلوم العربية، له مصنفات منها: (الكليات) على وفق اللغة في بيان فنون شتى، وكتاب (تحفة شاهان) بلسان الترك في علم العقائد والفقه والأخلاق، وكتاب (شرح بردة البوصيري). توفي سنة 1094هـ (ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص: 86، 87).

تكون عاطفة على محذوف؛ كأنهم قالوا: عدم القتال غير متوقع منا -وما لنا أن لا نقاتل- وإنما لم يصرحوا به تحاشياً عن مُشافهة نبيهم بما هو ظاهر في رد كلامه¹.

وعند قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَنْبَاءَنَا﴾ "إفراؤ الأبناء بالذكور؛ لمزيد تقوية أسباب القتال"²، فخلطوا بذلك ما لله بما لغيره وهو أغنى الشركاء لا يقبل إلا خالصاً، فأنبأ سبحانه وتعالى أنهم أسندوا ذلك (القتال) إلى غضب الأنفس على الإخراج وليس لإعلاء كلمة الله³.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (246). جاء أسلوب الشرط في هذه الآية لإثبات زيف ما ادعى بنو إسرائيل، فبعد أن ألحوا في الطلب من نبي* لهم بعد سيدنا موسى -عليه السلام- أن يجعل لهم قائداً ليمضوا معه إلى القتال⁴، ويرفعوا ما وقعوا فيه من ذل واستضعاف وإخراج من الديار، بعد أن كانوا في ديارهم أعزة، "وهذا شأن الأمم المتنعة المائلة إلى الدعة، تتمنى الحرب أوقات الأنفة،

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص: 557.

² - المصدر نفسه، مج1، ص: 557.

³ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 412.

* - التي في هذه الآية "قيل: هُوَ شَمُوِيلُ بْنُ بَالٍ بْنِ عَلْقَمَةَ وَيُعرفُ بابن العجوز. ويقال فيه: شَمْعُون، قاله السدي. وإنما قيل: ابن العجوز؛ لأنَّ أُمَّهُ كَانَتْ عَجُوزًا، فَسَأَلَتِ اللَّهَ الْوَلَدَ، وَقَدْ كَبِرَتْ وَعَقِمَتْ، فَوَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا. وَيُقَالُ لَهُ: سَمْعُونُ؛ لِأَنَّهَا دَعَتْ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهَا الْوَلَدَ، فَسَمِعَ دُعَاءَهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ "سَمْعُون"، تَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ دُعَائِي، وَالسَّيْنُ تُصِيرُ شَيْئًا بِلُغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ وَلَدٍ يَعْقُوبَ. (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج4، ص: 228، 229).

⁴ - ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص: 141.

فإذا حضرت الحرب كعّت وانقادت لطبعها"¹، "ولما كان إخلاف الوعد مع قرب العهد أشنع قال: ﴿فلما﴾ بالفاء المؤذنة بالتعقيب"².

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ "بالذين يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد دفاعاً عنها، وحفظاً لحقوقها، فيصبحون في الدنيا أذلاء مستضعفين، وفي الآخرة أشقياء معذبين، وفي هذا وعيد لأمثالهم لا يخفى"³.

وقال: ﴿بالظالمين﴾ ولم يقل: (بالمتولين) معلماً بأنهم سألوا البلاء وكان من حقهم سؤال العافية، ثم لما أُجيبوا إلى ما سألوا أعرضوا عنه فكفوا حيث ينبغي المصضاء ومضوا حيث كان ينبغي الكف فعصوا الله الذي أوجبه عليهم، فجمعوا بين عار الإخلاف وفضيحة العصيان وخزي النكوص عن الأقران وقباحة الخذلان للإخوان"⁴.

وموضع العبرة في هذا المشهد "هو التحذير من الوقوع في مثل حالهم، بعد الشروع في القتال، أو بعد كتبه عليهم، فله بلاغة هذا الكلام، وبراعة هذا الأسلوب"⁵.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج4، ص: 230.

² - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 412.

³ - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1946، ج1، ص: 217.

⁴ - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: المصدر السابق، ج3، ص: 413.

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 484.

أَصْطَفَيْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

أعاد الفعل (قال)، في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ "للدلالة على أن كلامه هذا ليس من بقية كلامه الأول، بل هو حديث آخر متأخر عنه: وذلك أنه بعد أن حذّرهم عواقب الحكومة الملكية، وحذّرهم التّولي عن القتال، تكلم معهم كلاماً آخر في وقت آخر"¹.

وتأكيد الخبر بـ(إِنَّ) و(قَدْ) في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ﴾ "إيذان بأنّ من شأن هذا الخبر أن يُتلقّى بالاستغراب والشكّ، كما أنبأ عنه قولهم: ﴿أَتْنِي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾"²، و(أَتْنِي) بمعنى (كيف)، وهو استفهام مستعمل في التعجب، تعجبوا من جعل مثله ملكاً، وكان رجلاً فلاحاً من بيت حقير، إلاّ أنه كان شجاعاً، وكان أطول القوم"³.

وسبب استغرابهم وإنكارهم أن يكون (طالوت) ملكاً عليهم: أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بني إسرائيل وهوسبط (لاوي بن يعقوب) ومنه موسى هارون -عليهما السلام-، والمملكة مخصوصة بسبط (يهوذا) ومنه داود وسليمان، وأنّ (طالوت) ما كان من أحد هذين السبطين⁴.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 489.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 489.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص: 490.

⁴ - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج6، ص: 186.

والفرق بين الواوَيْن في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَأْتِ﴾ "الأولى للحال، والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا، والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به"¹.

فكان جواب النبيّ عن استفهامهم وردّ تعليلهم بأمرين:

1/ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾

2/ ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

(اصطفاه) أي أخذ الملك من غيره صافيا له، والمراد أنه تعالى خصّه بالملك والإمرة، وعلى هذا الوجه وصف تعالى نفسه بأنه اصطفى الرسل ووصفهم بأنهم: المصطفون الأخيار. فهذه الآية تدل على بطلان قول من يقول: إن الإمامة موروثة، وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة، فأعلمهم الله تعالى أن هذا ساقط، والمستحقّ لذلك من خصّه الله تعالى بذلك².

و(البسطة): الوفرة والسعة في أمر من الأمور. وتشمل هنا رجحان العقل وقوة الجسم وسلامته من العاهات، والآفات وقوة البأس³، "فأعلمهم نبئهم أنّ الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي، وقوة البدن؛ لأنه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيما في وقت المضائق، وعند تعذر الاستشارة، أو عند خلاف أهل الشورى، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش، وقدّم النبيّ في كلامه العلم على القوة لأنّ وقعه

¹ - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 186.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 187.

³ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج8، ص: 206.

أعظم¹، "وهذا منه تعالى تنبيه على أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف وأكمل من الفضائل الجسمية"².

ولم يُجبههم نبئهم عن قوله ﴿وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ اكتفاءً بدلالة اقتصاره على قوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾؛ "فإنه ببسطة العلم وبالنصر يتوافر له المال؛ لأن المال تجلبه الرعية، ولأن الملك ولو كان ذا ثروة، فثروته لا تكفي لإقامة أمور المملكة ولهذا لم يكن من شرط ولاية الأمور من الخليفة فما دونه أن يكون ذا سعة"³.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ "والله واسع التصرف والقدرة، إذا شاء أمرا اقتضته حكمته في نظام الخليفة فإنه يقع لا محالة، عليم بوجوه الحكمة، فهو يضع لهم من السنن والنظم ما هو في منتهى الإبداع والإتقان، وليس في الإمكان أبدع مما كان"⁴.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨)

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ "الإتيان على هذا مجاز؛ لأنه أُتي به ولم يأت هو فنُسب إليه توسعاً"⁵.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 491.

² - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 188.

³ - المصدر السابق، ج2، ص: 491.

⁴ - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج2، ص: 218.

⁵ - محمد الرازي فخر الدين: المصدر السابق، ج6، ص: 190.

(والتابوت): "من التَّوب، وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتُودعه، فلا يزال يَرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مُودَعَاتِهِ"¹.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كلمة (في) كما تكون للظرفية فقد تكون للسببية، أي بسببه تحصل السكينة².

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ "(إن) شرطية والجواب محذوف اعتماداً على ما قبله، وليس المقصود حقيقة الشرطية إذا كان المخاطب من تحقق إيمانه، وقيل: هي بمعنى إذ"³، فهذه الآية معجزة باهرة لمن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق المدعي⁴.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَكُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فَتَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِئَتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (249)

¹ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص: 142.

² - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 192.

³ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص: 560.

⁴ - ينظر: المصدر السابق، ج6، ص: 193.

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ قيل: "الكلام على حذف مضاف؛ أي: فمن شرب من مائه مطلقاً"¹.

﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ "من أشياعي، أو ليس بمتصل بي، ومتّحد معي، فمن اتّصالية"². وجملة ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ في حكم المتّصلة بالاستثناء (إلا من اغترف)، إلا أنّها قدّمت في الذكر للعناية³.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ "أي: من لم يذقه؛ من طعم الشيء: إذا ذاقه مأكولاً كان أو مشروباً"⁴. واختير هذا اللفظ (يطعمه) لوجهين من الفائدة:

أحدهما: أن الإنسان إذا عطش جداً، ثم شرب الماء وأراد وصف ذلك الماء بالطيب واللذة، فيصفه بالطعوم اللذيذة.

والثاني: أن من جعل الماء في فمه وتمضمض به ثم أخرج من الفم، فإنه يصدق عليه أنه ذاقه وطعمه، ولا يصدق عليه أنه شربه، فلو قال: (ومن لم يشربه فإنه مني) كان المنع مقصوراً على

* - في هذه الآية مسألة فقهيّة، وهي "أنه تعالى قال في أوّل الآية: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ثم قال بعده: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ وكان ينبغي أن يُقال: (ومن لم يطعم منه) ليكون آخر الآية مطابقاً أوّلها، إلا أنه ترك ذلك اللفظ، واختير هذا لفائدة، وهي أن الفقهاء اختلفوا في أنّ من حلف لا يشرب من هذا النهر كيف يَحْنُثُ؟ قال أبو حنيفة: لا يحنث إلا إذا كَرَعَ من التّهر، حتى لو اغترف بالكؤز ماء من ذلك التّهر وشربه لا يحنث، لأنّ الشّرْب من الشّيء هو أن يكون ابتداءً شُرْبِهِ متّصلاً بذلك الشّيء، وهذا لا يحصل إلا بأن يشرب من التّهر، وقال الباقر إذا اغترف الماء بالكؤز من ذلك التّهر وشربه يحنث، لأنّ ذلك وإن كان مجازاً إلا أنّه مجاز معروف مشهور". (محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 195).

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص: 561.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 561.

³ - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 196.

⁴ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: المصدر السابق، ج2، ص: 561.

الشرب، أما لما قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ كان المنع حاصلًا في الشرب وفي المضمضة، ومعلوم أن هذا التكليف أشقّ، وأن الممنوع من شرب الماء إذا تمضمض به وجد نوع خِفّة وراحة¹.

﴿إِلَّا مَنْ إِغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ "استثناء من الموصول الأول، أو ضميره في الخبر، فإن فُسِّرَ الشَّرب بالكُرُوع كان الاستثناء منقطعًا وإلاّ كان متّصلاً، وفائدة تقديم الجملة الثانية الإيذانُ بأنها من تَتِمّة الأولى، وأنّ الغرضَ منها تأكيدُها وتتميمُها؛ نهيًا عن الكُرُوع من كلّ وجه، وإفادة أنّ المغترَفَ ليس بذائقٍ حُكماً، فيؤكِّدُ ترخيصَ الاغتِرافِ، ولو أُخِّرَت لم تُفِدْ هذه الفوائد، ولاختلَّ النّظم لدلالة الاستثناءِ إذ ذاك على أنّ المغترِفَ متّحدٌ معه، ودلالة الجملة الثانية بمفهومها على أنّه غيرُ متّحدٍ معه، ولا يصحُّ في الاستثناء أن يكون من أحدِ الضّميرين الرَّاجعين إلى الموصولين في الصلّة؛ للفصل بين أجزاء الصلّة حينئذٍ بالخبر، وأداء المعنى في الأوّل إلى أنّ المجترئ في الشَّرب بغُرْفَةٍ واحدةٍ ليس متّصلاً به متّحداً معه"².

والعُرْفَةُ بالفتح الفعل، وهو الاغتِراف مرة واحدة، والعُرْفَةُ بالضّم اسمٌ ملء الكَفِّ أو ما اغترِفَ به³، "ففي قراءة فتح الغين إعراب عن معنى إفرادها أخذة ما أخذت من قليل أو كثير، وفي الضم إعراب مملؤها"⁴. "والمقصود من هذا الاستثناء الرّخصة للمضطر في بلال ريقه"⁵.

¹ - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 196.

² - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص: 561.

³ - ينظر: المصدر السابق، ج6، ص: 196.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 428.

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 497.

﴿فَشْرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ عطف على مُقَدَّر يقتضيه المقام؛ أي: فابتلوا به فشرَبوا، والمراد إما كَرَعُوا -وهو المتبادر-، أو أفرطوا في الشَّرب إلا قليلا منهم لم يكرَعُوا، أو لم يُفرطوا في الشَّرب، بل اقتصروا على العَرَفَة باليد، وكانت تكفيهم لشربهم¹.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ وصفهم بذلك "تنويها بشأنهم، وإيماء إلى أن من عداهم بمعزل عن الإيمان"².

﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لا قدرة لنا بمحاربتهم ومقاومتهم، فضلا عن الغلبة عليهم، وهو إظهار ضعف لا تُكوص، لما شاهدوا من الأعداء ما شاهدوا من الكثرة والشدة³.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ

فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁴⁹⁾ "أطلق لفظ الظَّنّ على اليقين على سبيل المجاز لما بين الظَّنّ واليقين من المشابهة في تأكُّد الاعتقاد"⁴، وفي ذلك "إشارة إلى أنّه يكفي في الخوف من الله والرجاء له الظَّنّ لأنّه يوجب فرار العقل ممّا يَظُنُّ أنّه يكرهه سبحانه وتعالى إنقاداً لنفسه من الهلاك"⁵. "فلقاء الله هنا كناية عن الموت في مرضاة الله شهادة"⁶، و"(كم) هنا خبرية، ومعناها كثير، و(من) زائدة، و(فئة) تمييز، وجوّز أبو البقاء أن يكون (من فئة) في

¹ - ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص: 561.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 562.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 562.

⁴ - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 199.

⁵ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 434.

⁶ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 499.

موضع رفع صفة لـ (كم) كما تقول: عندي مائةٌ من درهم ودينار¹. وقالوا: ﴿غَلَبَتْ﴾
 "ولم يقولوا (أَطَاقَتْ) حسبما وقع في كلام أصحابهم؛ مبالغة في تشجيعهم، وتسكين قلوبهم،
 وإذا حُمِلَ التَّوْنين في (فئة) الأولى للتَّحْقير، وفي (فئة) الثانية للتَّعْظِيم؛ كان أبلغ في التشجيع،
 وأكْمَلَ في التَّسْكِين"².

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ المراد منه المعية بالنصر والإحسان؛ أُتي به تكميلاً للتشجيع، وترغيباً
 بالصبر³.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
 أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (250)

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ وظف الفعل (برز) دون غيره لأنَّ "الْبُرُوزُ هو الخروج عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُوَارَى
 فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ وهو الذي لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر"⁴.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ استعارة حيث "استعير الإفراغ هنا للكثرة
 مع التعميم والإحاطة وثبتت الأقدام استعارة لِعَدَمِ الْفِرَارِ شَبَّهَ الْفِرَارَ وَالْخَوْفَ بِزَلْقِ الْقَدَمِ"⁵.
 ودعائهم هذا "يدل على المبالغة في طلب الصبر من وجهين: أحدهما: أنه إذا صبَّ الشيء في
 الشيء فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه، وهذا يدل على التأكيد. والثاني: أن إفراغ الإناء هو

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2،
 ص: 562.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 562.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 562.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 435.

⁵ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 499.

إخلاؤه، وذلك يكون بصبّ كلّ ما فيه، فمعنى: أفرغ علينا صبرا: أي أُصِّبْ علينا أَنَّمْ صبّ وأَبْلَغَهُ¹.

﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ "أعنا عليهم بقهرهم وهزمهم، ووضع (الكافرين) موضع الضمير [عليهم] العائد إلى جالوت وجنوده؛ للإشعار بعلّة النصر عليهم، وفي هذا الدعاء من اللطافة وحسن الأسلوب والنكات ما لا يخفى؛ أما أولا: فلأن فيه التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال، وأما ثانيا: فلأن فيه الإفراغ، وهو يؤذن بالكثرة، وفيه جعل الصبر بمتزلة الماء المنصب عليهم؛ لثلج صدورهم، وإغنائهم عن الماء الذي منعوا عنه، وأما ثالثا: فلأن فيه التعبير بـ(على) المشعر يجعل ذلك كالظرف، وجعلهم كالمظروفين، وأما رابعا: فلأن فيه تنكير (صبرا) المفصح عن التفخيم، وأما خامسا: فلأن في الطلب الثاني وهو تثبيت الأقدام ما يرشح جعل الصبر بمتزلة الماء في الطلب الأول؛ إذ مصاب الماء مزلق، فيحتاج فيها إلى التثبيت، وأما سادسا: فلأن فيه حسن الترتيب؛ حيث طلبوا أولا: إفراغ الصبر على قلوبهم عند اللقاء، وثانيا: ثبات القدم والقوة على مقاومة العدو، حيث إن الصبر قد يحصل لمن لا مقاومة له، وثالثا: العمدة والمقصود من المحاربة وهو النصر على الخصم، حيث إن الشجاعة بدون النصر طريق عتبه عن النفع خارجة، وقيل: إنما طلبوا أولا: إفراغ الصبر؛ لأنه ملاك الأمر، وثانيا: التثبيت؛ لأنه متفرع عليه، وثالثا: النصر؛ لأنه الغاية القصوى، واعترض هذا بأنه يقتضي حينئذ التعبير بالفاء؛ لأنها التي تفيد الترتيب، وأجيب بأن الواو أبلغ؛ لأنه عول في الترتيب على الذهن، الذي هو أعدل شاهد"².

¹ - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 201.

² - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص: 563.

وفي قول الحق سبحانه: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ "الباء إما للاستعانة والسببية، وإما للمصاحبة"¹.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ "وجه الإشكال فيه أن المُدافعة مُفاعلة، وهي عبارة عن كون كل واحد من المدافعين دافعا لصاحبه ومانعا له من فعله، وذلك من العبد في حق الله تعالى محال، وجوابه أن لأهل اللغة في لفظ (دفاع) قولين: أحدهما: أنه مصدر لـ (دَفَعَ)، تقول: دَفَعْتُهُ دَفْعًا ودِفَاعًا، كما تقول: كَتَبْتُهُ كِتَابًا وكِتَابًا، قالوا: وَفِعَالٌ كثيرا ما يجيء مصدرا للثلاثي من فَعَلَ وفَعِلَ، تقول: جَمَحَ جِمَاحًا، وَطَمَحَ طِمَاحًا، وتقول: لَقِيتُهُ لِقَاءً، وَقُمْتُ قِيَامًا، وعلى هذا التأويل كان قوله: (ولولا دفاع الله) معناه ولولا دَفْعُ اللَّهِ. والقول الثاني: قول من جعل (دِفَاعُ) من دَفَعَ، فالمعنى أنه سبحانه إنما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين على أيدي أنبيائه ورسله وأئمة دينه وكان يقع بين أولئك الْمُحِقِّينَ وأولئك الْمُبْطِلِينَ مُدَافَعَاتٍ ومُكَافَحَاتٍ، فحسن الإخبار عنه بلفظ المدافعة"² الذي هو مبالغة في دَفْعٍ لا للمفاعلة، وإضافته إلى الله مجاز عقلي، لأن الذي

¹ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2،

ص: 563.

² - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 205.

يدفع حقيقة هو الذي يباشر الدفع في متعارف الناس وإنما أُسند إلى الله لأنه الذي قدره وقدر أسبابه¹.

وفي هذه الآية إشارة إلى المدفوع (الناس بعضهم)، وإلى المدفوع به (بعض)، "فأما المدفوع عنه فغير مذكور في الآية، فيحتمل أن يكون المدفوع عنه الشرور في الدين ويحتمل أن يكون المدفوع عنه الشرور في الدنيا، ويحتمل أن يكون مجموعهما"².

"ومعنى فساد الأرض: إما فساد الجامعة البشرية. كما دلّ عليه تعليق الدفاع بالناس، أي لفسد أهل الأرض، وإما فساد جميع ما يقبل الفساد، فيكون في الآية احتباك* والتقدير: ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض: أي من على الأرض ولفسد الناس"³.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (251) "استدراك مما تضمنته (لولا) من تقدير انتفاء الدفاع؛ لأن أصل (لولا) (لو) مع (لا) النافية: أي لو كان انتفاء الدفاع موجودا لفسدت الأرض وهذا الاستدراك في هذه الآية أدل دليل على تركيب (لولا) من (لو) و(لا): إذ لا يتم الاستدراك على قوله: ﴿لفسدت الأرض﴾ لأن فساد الأرض غير واقع بعد فرض وجود الدفاع، إن قلنا (لولا) حرف امتناع لوجود"⁴.

وفائدة الاستدراك هنا "هو أنه لما قسم الناس إلى مدفوع به ومدفوع، وأنه بدفعه بعضهم ببعض امتنع فساد الأرض، فيهجس في نفس من غلب وقهر عن ما يُريد من الفساد في الأرض أن الله

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 500.

² - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 205.

* - الاحتباك: هو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، ويذكر في الكلام الآخر ما يدل عليه. (ينظر:

برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص: 263).

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 503.

⁴ - المصدر نفسه، ج2، ص: 503.

تعالى غير متفضل عليه، إذ لم يُبلِّغه مقاصده ومآربه، فاستدرك الله، وإن لم يبلِّغ مقاصده هذا الطالب للفساد أن الله لذو فضل عليه ويحسن إليه، واندرج في عموم العالمين¹.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ

الْمُرْسَلِينَ

قال (تلك) ولم يقل (هذه) مع أن (تلك) يُشار بها إلى غائب لا إلى حاضر، لأن هذه القصص لما ذكرت صارت بعد ذكرها كالشيء الذي انقضى ومضى، فكانت في حكم الغائب فلهذا التأويل قال: (تلك)².

وفي قوله (نتلونها) "جعل [الله تعالى] تلاوة جبريل -عليه السلام- تلاوة لنفسه، وهذا تشریف عظيم لجبريل -عليه السلام-"³.

وقال ﴿بالحق﴾ ولم يقل (بالصدق) لأن "الحق الحكم المطابق للواقع، يُطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل، وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تُعتبر في الحق من جانب الواقع. وفي الصدق من جانب الحكم؛ فمعنى صدق الحكم مطابقتها للواقع. ومعنى حقيته مطابقة الواقع إياه"⁴، فلما كان الله سبحانه عالماً بالواقع من هذه الآيات أتى بعبارة يطابقها ذلك الواقع لا يزيد عنها ولا ينقص.

¹ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج2، ص: 279.

² - ينظر: محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 208.

³ - المصدر نفسه، ج6، ص: 208.

⁴ - برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج3، ص: 445.

ثم قال: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾¹ "يفهم من تأكيده هنا بـ (إنّ واللام) أنّ الكفار يُنكرون رسالته"¹ -صلى الله عليه وسلم- ، و"ذكر هذا عقيب ما تقدّم لوجه: أحدها: أنّك أخبرت عن هذه الأقايص من غير تعلّم ولا دراسة، وذلك يدلّ على أنه -عليه الصلاة والسلام- إنما ذكرها وعرفها بسبب الوحي من الله تعالى. وثانيها: أنّك قد عرفت بهذه الآيات ما جرى على الأنبياء -عليهم السلام- في بني إسرائيل من الخوف عليهم والردّ لقولهم، فلا يَعُظَمَنَّ عليك كفر من كفر بك، وخلاف من خالف عليك، لأنّك مثّلهم، وإنّما بعث الكلّ لتأديّة الرسالة ولامثال الأمر على سبيل الاختيار والتطوُّع، لا على سبيل الإكراه، فلا عُتِبَ عليك في خلافهم وكُفّرهم، والوبالُ في ذلك يرجع عليهم فيكون تسلية للرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما يظهر من الكفار والمنافقين"². "وجيء بقوله (من المرسلين) دون أن يقول: (وإنّك لرسول الله)، للردّ على المنكرين بتذكيرهم أنّه ما كان بدعاً من الرسل، وأنّه أرسله كما أرسل من قبله، وليس في حاله ما يُنْقَصُ عن أحوالهم"³.

وفي ختام قصص بني إسرائيل بهذه القصة -كما يرى المفسّرون- فيه من واضح الدلالة على صحة دعوى النبي -صلى الله عليه وسلم- الرسالة لأنّها (القصص) مما لا يعلمه إلا القليل من حُذّاق علماء بني إسرائيل ثم عقبها بآية الكرسي التي هي العَلَمُ الأعظم من دلائل التوحيد.

ولعلّ المتدبّر في هذه المشاهد يستنتج أمرين نشير إليهما في هذا المقام:

- هدف كل مشهد يختلف عن آخر.
- اختلاف سرد كل مشهد تبعاً للهدف الذي سيق من أجله.

¹ - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشر: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1980، ج1، ص: 262.

² - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج6، ص: 209.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص: 503.

ثمَّ إنّ التأمّل في هذه المشاهد يجد حضور ظرف الزمان (إذْ) متكرراً، وتوجيه هذا الاستعمال يعود إلى أن هذه الآيات مسوّقة لتوضيح موضع العبرة، وبيان موطن النعمة، وكلها تذكر بني إسرائيل المعاصرين لمحمد -صلى الله عليه وسلم- بالنعم الجسيمة، والمنح العظيمة التي منّ الله بها على أسلافهم ممن عاصروا موسى وهارون -عليهما السلام-، ويكاد يتفق قول المفسرين بأنّ (إذْ) في مثل هذه المواطن يقدرّ فعل قبلها تقديره: واذكروا إذ¹.

وكثيراً ما يتكرر نداء موسى -عليه السلام- لقومه بقوله: (يا قوم)، وهو نداء غرضه التحبّب فموسى -عليه السلام- يريد "ليبين لهم مكنونات قلبه وعواطفه تجاههم. فهم قومه، وهو لهم ناصح، وعليهم مشفق. كل ذلك ليلفت إليه أذهانهم، ويستصغي أسماعهم، ويستميل عواطفهم"²، لكن بني إسرائيل قوم قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة تصعب استمالتها.

4-3- بلاغة الحوار في مشاهد قصص بني إسرائيل

اكتسب الحوار أهميته في مشاهد قصص بني إسرائيل من خلال تسليط الضوء على الشخصيات بنحو مباشر، ومن ثمّ إطلاع المتلقي بملاحظاتها النفسية وأفكارها لاحتوائه على كم معلوماتي عن الأحداث القصصية ومجرياتها. فهو مندمج بالسرد، ومتصل به، ومطلع على مستوى الخلاف بين الشخصيات، فيظهر عملية التجاذب والتنافر فيما بينهما، ومن هنا فهو يخلق مشهد دراماتيكيًا كله حركة وحيوية³.

في هذه المشاهد حوار خارجي جسده فعل القول، لبيان أفكار وأسرار تتطلب أن يتحدث الطرفان ولتوفير عنصر الإقناع وتحقيق المتعة الفنية التي يتطلبها سرد المشهد، ليعيش المتلقي

¹ - ينظر: احمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني، ص: 158، 159.

² - المرجع نفسه، ص: 177.

³ - ينظر: هادي عبد الحسن لعيبي: جمالية السرد المشهدي في القرآن الكريم "سورة طه نموذجاً"، مجلة كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، العراق، مج3، ع1، 2019، ص: 71، 72.

أجواء المشهد الحوارى مندهشا ومتأثرا من عقلية وحمق بني إسرائيل وجراًتهم على الله ونبيه موسى -عليه السلام-، فقد انماز هذا الحوار بالصدق الدلالي، وتكثيف المعاني، إنه حوار جدي قائم على الحجة والدليل، فضلا عن بيان الحالة النفسية للأطراف المتحاوره، وقد ارتقى هذا الحوار ليرسم لنا مشهد النهاية المقدرة والمتوقعة لفعل مشين سيئ، فينغلق الحوار دون إطالة في الكلام والردود، وقد كان الحوار متميزا ناجحا لأن الجمل ابتعدت عن التطويل والتركيب المعقد، رغم أنها كانت مبيّنة معللة، مما زادها تعالقا نصيا بينها وبين الجمل السردية؛ بأسلوب ملخص دون الخوض في التفاصيل وهو ما يوحي بالتكثيف*، وسرعة إيقاع الزمن في سرد المشهد.

هذا الحوار مبني على الاستئناف البياني الذي تعد جملة واقعة جوابا لسؤال مقدر، وهذا النوع من الاستئناف كثير في القصص القرآني، وصفه عبد القاهر الجرجاني بأنه "الذي تراه في التزليل من لفظ (قال) مفصولا غير معطوف"¹، وهو بذلك "ضرب من الإيجاز قوامه: حذف السؤال وذكر الجواب للقارئ أو السامع، ليفهما منه السؤال الذي يتناسب معه"².

* - **التكثيف**: "هو التوسّع في دلالات المفردات والتراكيب القرآنية المجيدة، ليس كما يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة من أنه عدم وضوح في المعنى، أو أنه غموض في الدلالة؛ بل هو على العكس من ذلك تماما؛ لأن العبارة كلما كانت أغزر معنى، وأعمق دلالة؛ كانت مكمّن إيجاء، ومبعث جمال؛ ولا سيما إذا كانت هذه السعة في المعاني راجعة إلى صورة كلية مؤكدة من جوانب شتى يعضد بعضها بعضا لرسم مشهد تصويري في أداء فني رائع". (حيدر علي نعمة وأحمد علي نعمة: تكثيف المعنى في القرآن الكريم، مجلة الجامعة العراقية، الجامعة العراقية، العراق، مج32، ع3، 30 يونيو/حزيران 2014، ص: 173).

¹ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 240.

² - يونس فرج سبهان الجبوري: الاستئناف البياني في القرآن الكريم "دراسة في تفسير ابن عاشور"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص: 26.

4-4- الرؤية السردية* في مشاهد قصص بني إسرائيل:

تقوم الرؤية السردية في النص على إدراك السارد عناصر عالمه السردية، ومن ثم تنظيمها بكيفية دقيقة مشوّقة، تتم عن علاقة متينة بين السارد ونصه، وبهذا تعرف الرؤية السردية بأنها "الطريقة التي ينظر بها الراوي إلى الأحداث عند تقديمها أو هي وجهة نظره"¹، ومن ثم "فلا رآو دون رؤية ولا رؤية دون رآو"²، ففي أي قصة يبرز المغزى البعيد الذي ينسج من حوله الأحداث وتطور الزمن وحوار الشخصيات مع بعضها.

ويمكن التمثيل للرؤية السردية في مشاهد قصص بني إسرائيل من خلال النقاط الآتية:

1- السرد القرآني وهو يقدم الأحداث يحذف التفاصيل التي لا تخدم الهدف من وراء القصة، ويركز على الأهم منها وفق إرادة الله سبحانه (السارد).

ومن أمثلة التخلي عن التفاصيل الزائدة في مشاهد قصص بني إسرائيل عدم ذكر أحداث ما بعد

النجاة من البحر قال الله تعالى: ﴿وَجَنَوزْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى

أَصْنَامِهِمْ﴾³ وعطف على النجاة من البحر وإتيان القوم بحرف العطف (الفاء) التي من

معانيها التعقيب، دونما تفصيل لما حدث بعد النجاة. فالمشهد القصصي يقدم لنا الحدثين

المهمين، الأول: نجاة بني إسرائيل، والثاني: إتيانهم القوم، لإشراك المتلقي في الحكم على هؤلاء

القوم بأنهم لم يقدرُوا نعمة الله الذي أنجاهم وطلبوا من موسى -عليه السلام- إلها آخر بعد

زمن يسير من النجاة.

*- عرفت الرؤية السردية تسميات كثيرة منها: وجهة النظر، زاوية النظر، بؤرة السرد، التحفيز، حصر المجال، التبئير.

¹- محمد عزام: شعرية الخطاب السردية "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2005، ص:

93، 94.

²- المرجع نفسه، ص: 94.

³- سورة الأعراف، الآية: 138.

2- أحداث السرد القرآني حقيقية لا خيالية، يقدمها السارد بواقعية صادقة أمينة، إذ إن كل حركة تجريء في أوانها في الصورة الواقعة لها.

ومن أمثلة الأحداث الواقعية الصادقة ما حدث بين موسى وأخيه هارون -عليهما السلام-:

﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَتَلْتَبِعُنِي ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ قَالَ يَبْتَنُونَ لَا تَأْخُذْ

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ﴾¹

يعرض المشهد ما كان بين الأخوين بواقعية صادقة، إذ إن موسى -عليه السلام- وهو في حال الغضب، "أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله وكان -عليه السلام- حديدًا مُتصلبًا غَضُوبًا لِلَّهِ تَعَالَى وقد شاهد ما شاهد وغلب على ظنه تقصير في هارون -عليه السلام- يستحق به وإن لم يُخرجه عن دائرة العصمة الثابتة للأنبياء -عليهم السلام- التأديب ففعل به ما فعل وباشَرَ ذلك بنفسه ولا محذور فيه أصلاً ولا مخالفة للشرع"²، إذ "إنَّ موسى -عليه السلام- أجرى أخاه مَجْرَى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان به عند شدة الغضب"³.

وبهذا نرى أن السرد القرآني يعرض المشهد بكل أمانة وصدق بعيداً عن الترميز والإيحاء أو الخيال.

3- السرد القرآني لا يغفل القوى الخفية الغيبية للمعجزات التي ترد في القصة القرآنية، والتي تعتبر عنصراً فعالاً لما تثيره من تفاعل في نفس المتلقي.

¹ - سورة طه، الآيات: 92 - 94.

² - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود آلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8،

ص: 561.

³ - المصدر نفسه، ج5، ص: 64.

ومن أمثلة ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ

خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾¹. تدل الآية الكريمة على معجزة

عظيمة وهي رفع الجبل فوق بني إسرائيل أتى بُنُونِ الْعَظَمَةِ في الفعل (نُنَقِّنَا) لزيادة الترهيب وكان الجبل مُسْتَعْرِقًا لجميع الجهة الموازية لِعَسَاكِرِهِمْ، بدليل قوله: (فَوْقَهُمْ) بل كان أكبر منهم بدليل (كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ) ولما كان كذلك لَمْ يَحْتَجْ إِلَى حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ، فقال الله سبحانه مُشِيرًا إِلَى السَّرْعَةِ وَاللَّصُوقِ: (بِهِمْ)².

4- مصدر الرؤية السردية في القرآن الكريم هي رؤية الله سبحانه، وهي تختلف عن الرؤية الوصفية، إنها تحيط على نحو قاطع التاريخ بأبعادها الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. وبعدها الرابع الذي يغور في أعماق النفس البشرية، فهي رؤية واقعية شاملة.

ومن أمثلة الرؤية الواقعية الشاملة فيما يتعلق بالماضي قوله عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ

بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّهِمْ ائْتِنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّسُولُ الْكَافِي

تبيين الآية الكريمة عن الرؤية التي تعبر عن الماضي فيما يتعلق بمألاً بني إسرائيل. فالتعبير بـ (ألم تر) الموجه إلى الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- نستدل منه أن السرد الإلهي قد مزق حجاب الماضي وكشف عنه ليطلعنا على أحداث وقعت في ذلك الزمن.

¹ - سورة الأعراف، الآية: 171.

² - ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص: 150.

³ - سورة البقرة: الآية: 246.

ومن أمثلة الرؤية الواقعية الشاملة فيما يتعلق بالحاضر قوله تعالى: ﴿وَانْظُرِ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي

ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾¹، يعبر السرد القرآني في قوله:

(لنُحَرِّقَنَّهُ) و(لننسفَنَّهُ) عن رؤية سردية تتعلق بالحاضر من أحداث موسى -عليه السلام-

والسَّامِرِيِّ، الذي أخبره موسى -عليه السلام- أنه سيحرق الإله الذي صنعه ويذريه في البحر،

فوظف الفعلين بصيغة المضارع الذي يجعل المتلقي يعيش الحدث حاضرا أمام ناظره.

ومن أمثلة الرؤية الواقعية الشاملة فيما يتعلق بالمستقبل قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ

غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾² تعبر الآية الكريمة عن رؤية سردية تتعلق بالمستقبل فيما يتعلق بالغضب

والعذاب الذي سيحلّ ببني إسرائيل -ووقع فيما بعد- لعدم ثباتهم على العهد وهو رفع الجبل

فوق بني إسرائيل.

من هنا نجد أن السرد القرآني يتبع في عرض المشاهد القصصية رؤية سردية وفق مقومات

معجزة لا تلبس بها شائبة تصرف فكر المتلقي عن التدبر والاعتبار.

¹ - سورة طه، الآية: 97.

² - سورة طه، الآية: 86.



خاتمة البحث

- لا يمكننا في نهاية هذا البحث أن ندّعي أننا ألمنا بجميع ما يتعلّق بأدبيّة سرد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم، لكننا سنوجز أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة في الآتي:
- أدبية الخطاب القرآني تتضح بصورة جلية في السرد القرآني لأنه يجمع عديد القيم، التي تتوزع في آي القرآن الكريم.
 - السرد القصصي في القرآن يجمع بين الإمتاع الفني والإبلاغ النفعي.
 - يجمع السرد القرآني بين الجمال الفني والغرض الديني.
 - السرد القرآني بناء فني جمالي معجز، يعجّ بالفجوات التي تتيح للمتلقّي أعمال خياله.
 - جاء سرد قصص بني إسرائيل في أكثر من موضع من القرآن الكريم لكشف غوامض هذه الشخصية ونقاشها العقائدي.
 - اعتمد الخطاب القرآني في سرد قصص بني إسرائيل على المشاهد الحوارية التي جعلته حيّا حسن الصياغة، قويّ الفكرة، جيّد الاتساق ما جعله أكثر إقناعاً وتأثيراً.
 - التصوير المشهدي تقنية السرد القرآني لجعل الأحداث حيّة تذكّي أحاسيس المتلقّي ومشاعره.
 - براعة التصوير القرآني يضيف على المشاهد الإمتاع والإقناع.
 - الحوار في سرد قصص بني إسرائيل يثير دافعية المتلقّي فيتحرك خياله وتتأثر عواطفه.
 - الحوار في سرد قصص بني إسرائيل محكم البناء، مليء بالدلالات العميقة التي تكشف نفسية الشخصيات المتحاورّة.
 - الحوار في سرد قصص بني إسرائيل واقعي وموضوعي يحمل المعنى بلغة دقيقة وأسلوب شيق وهو ما منحه التأثير العميق.
 - الحوار في سرد قصص بني إسرائيل نابض بالحياة يكشف حقيقة نفسية بني إسرائيل التي تتصف بالسّفاهة والحمق.
 - السرد القرآني لقصص بني إسرائيل موضوعه الرئيس: الدعوة إلى الله.

- ورد سرد تاريخ بني إسرائيل في السور المكية أما بيان عقيدتهم وكشف نفسياتهم في السور المدنية.
- برز صوت بني إسرائيل في السور المدنية من خلال ذكر جدالهم وعنادهم بينما تبرز حركتهم في السور المكية من خلال ذكر تاريخهم.
- جاء ذكر عجلتهم واندفاعهم في المواضع المكية من خلال ذكر مُسارعهم في الكفر بينما جاء ذكر تقاعسهم في المواضع المدنية من خلال التركيز على صفاتهم كالجبن والخيانة.
- قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم تؤكد نصره الله للمستضعفين في الأرض، وتبعث الطمأنينة في نفوسهم.
- توزعت مشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم تبعاً للمقاصد التي يوحى بها السياق والموضوع العام للسورة التي ترد فيها.
- الحوار في مشاهد قصص بني إسرائيل يعتبر آلية من آليات الحجاج القرآني من أجل الإقناع.
- توزع مشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن يحمل عبراً ومواعظ خاصة بكل مشهد وتخدم موضوع السورة التي يرد فيها.
- السرد القرآني لقصص بني إسرائيل يكشف نفسية بني إسرائيل المتزعزعة فهي تتميز بالجبن والنفاق.
- كشف السرد القرآني لقصص بني إسرائيل أنهم أناس مادّيون لا يؤمنون إلا بالحسوسات، وأن قلوبهم فارغة من الإيمان.
- بنو إسرائيل لا يستحيون سيئوا الأدب مع الله تعالى ومع أنبيائهم.
- بنو إسرائيل مستكبرون معتدّون بأنفسهم.
- حينما جاء الحديث عن سماهم لم يأتِ بالتعميم بل اختص بالحديث عن فريق منهم.
- مناسبة المشهد القصصي لسياق السورة وهدفها العام.

- قصص بني إسرائيل عبرة للمسلمين مفاده الانتباه إلى أحوالنا مع الإسلام وما جاء به.
- كشف السرد القرآني لقصص بني إسرائيل أكاذيب العهد القديم وأباطيله وأنها محرّفة عن الواقع الحقّ.

ولا شكّ أن البحث في أدبية السرد القرآني ورصد جمالياته يتطلب من الباحث عدّة إجراءات تجمع بين التراث والحداثة دونما تعدّد على قداسة الخطاب القرآني، وأشير بأننا لم نُلمّ بكلّ ما يقصده عنوان البحث ويبقى المجال للباحثين من بعدنا لإضاءة بعض زواياه التي لم نتطرق إليها أو لم نتوسع فيها. والله الموفق وهو من وراء القصد.

تيارت يوم: الجمعة 25 صفر 1446هـ

الموافق لـ 30 أوت 2024م



قائمة مصادر البحث ومراجعته

قائمة مصادر البحث ومراجعته

• القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر والمراجع.

- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1976.
- إبراهيم عوضين: البيان القصصي في القرآن الكريم، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط1، 1977.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: دلائل الإعجاز، قر وتغ: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- أبو الحسن علي بن عيسى الرّمّاني: النُّكت في إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطابي والجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.
- أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، تح: عبد القادر أحمد عطا، د.ط، د.ت.
- أبو الطيب صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، د.ط، 1957.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965.

- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1952.

- أبو يحيى زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

- أحمد أبو سعد: فن القصة، دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، د.ط، 1959.

- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط10، 1994.

- أحمد بن إبراهيم الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التزويل، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

- أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.

- أحمد جمال العمري: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1986.
- أحمد سيد عمار: نظرية الإعجاز وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- أحمد قوفي: مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم "القصص نموذجاً"، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018.
- أحمد كمال زكي: النقد الأدبي الحديث "أصوله واتجاهاته"، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
- أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1946.
- أحمد مومن: اللسانيات "النشأة والتطور"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.
- محمد محمد صافي المستغامي: تصريف القول في القصص القرآني "دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام"، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2018.
- أمين محمد عطية باشا: التكرار في القصص القرآني "دراسة تطبيقية على قصة موسى -عليه السلام-"، د. دار نشر، د.ط، د.ت.
- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998.

- بدر الدين بن جماعة: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1990.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2006.
- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- بسام بركة وماتيو قويدروهاشم الأيوبي: مبادئ تحليل النصوص الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، القاهرة، مصر، د.ط، 2002.
- بشار إبراهيم نايف: البنية الزمنية في القصة القرآنية "الاسترجاع والاستباق"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
- بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1973.
- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994.
- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، 1974.
- توفيق الزبيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ط، 1984.
- توفيق الزبيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط2، 1987.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.
- جان يياجيه: البنيوية، تر: عارف منيمه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985.

- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2002.
- جمال شحید: فی البنیویة التکوینیة "دراسة فی منهج لوسیان غولدمان"، دار ابن رشد، بیروت، لبنان، د.ط، 1986.
- جوناثان كولر: مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- جیرار جنیت: عودة إلى خطاب الحکایة، تر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- جیهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر، القاهرة، مصر، د.ط، 1978.
- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- حسن نجمي: شعرية الفضاء "المتخيل والهوية في الرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- حصّة المنصوري: مقاربات سردية، دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، د.ط، 2021.
- حمید لحداني: بنية النص السردی من منظور النقد الأدبی، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بیروت، لبنان، ط1، 1991.
- دیماس محمد راشد: فنون الحوار والإقناع، دار ابن حزم، بیروت، لبنان، ط1، 1999.
- رشاد رشدي: فن القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1964.
- رنيه وليك وأوستن وآرن: نظرية الأدب، تعر: عادل سلامة، دار المریخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1992.
- رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002.

- زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2014.
- زكريا إبراهيم: مشكلة البنية أو أضواء على "البنوية"، مكتبة مصر، مصر، د.ط، د.ت.
- سامح عبد الفتاح القليبي: إعجاز التكرار في قصص القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 2018.
- سعد رياض: الشخصية "أنواعها- أمراضها وفن التعامل معها"، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- سعد مصلوح: الأسلوب "دراسة لغوية إحصائية"، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1992.
- سعيد بنكراد: السيميائيات السردية "مدخل نظري"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2001.
- السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم: الأسلوب القصصي وتوظيفه في الخطاب الدعوي، دار لاندلس للطباعة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- سعيد يقطين: الكلام والخبر "مقدمة للسرد العربي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
- سليمان عشراي: الخطاب القرآني "مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي"، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سورية، ط1، 2012.
- سيد حامد النساج: اتجاهات القصة المصرية القصيرة، مكتبة غريب للنش، القاهرة، مصر، ط2، 1988.
- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط17، 2004.
- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط8، 2003.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003.

- سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط16، 2006.
- سيد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1960.
- شارف مزارى: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية "دراسة"، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
- شاهر ذيب أبو شريخ: المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.
- شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1981.
- شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1978.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، د.ت.
- صابر حسن محمد أبو سليمان: غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001.
- صباح عباس عنوز: إعجازية التكوين الأسلوبي في النص القرآني ومهمتا البيان التفسيرية والتأويلية، المركز الإسلامي الثقافي، حارة حريك، لبنان، ط1، 2017.
- صلاح الدين محمد عبد التواب: النقد الأدبي "دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2003.

- صلاح رزق: أدبية النص "محاولة التأسيس منهج نقدي عربي"، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 2001.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمان، عمان، الأردن، ط1، 2000.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن "تعريف وبيان"، دار القلم، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات ومصير"، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان، الأردن، ط1، 2016.
- صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، سورية، ط5، 2007.
- صلاح فضل: قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- طلال محمد إبراهيم خلف: قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر، دار آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، ط1، 2001.
- طه بن محمد بن طه القيسي: نظرية النظم القرآني "دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة وأول سورة البقرة"، دار مكتبي للطباعة، بغداد، العراق، ط1، 2018.
- طه وادي، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1989.

- عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي "دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقد العرب"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، سورية، ط25، 2007.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: البشرى بالنسخة المسندة من الخصائص الكبرى، تح: نبيل هاشم بن عبد الله الغمري، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2019.
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1998.
- عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1992.
- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- عبد الرحمن محمد عبد الرحمن: أسلوب القرآن في دعوة أهل الكتاب، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 2009.
- عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط3، 2005.
- عبد الرزاق جعنيدي: المصطلح النقديّ "قضايا وإشكالات"، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 2011.

- عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، فُصِّلَت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، سورية، ط1، 2001.
- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.
- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006.
- عبد العالي بشير: تحليل الخطاب السردي والشعري، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2002.
- عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1992.
- عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، 1988.
- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1975.
- عبد الكريم جدري: التقنية المسرحية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط2، 2002.
- عبد الكريم حسين: فضاءات المفردة في الخطاب القرآني، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018.
- عبد الكريم زيدان: الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

- عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2016.
- عبد الله إبراهيم، السردية العربية "بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- عبد الله التطاوي: الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2002.
- عبد الله الغدامي: الخطيئة و التكفير "من البنيوية إلى التشريفية، نظرية وتطبيق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973.
- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- عبد الملك مرتاض: الكتابة من موقع العدم "مساءلات حول نظرية الكتابة"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، د.ت.
- عبد الملك مرتاض: أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1992.
- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردية "معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1995.
- عبد الملك مرتاض: شعرية القص وسيميائية النص "تحليل مجهري لمجموعة تفاحة الدخول إلى الجنة"، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998.

- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د.ط، 1999.
- عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1989.
- عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط3، 1992.
- عبده عبد الله الحميدي: الحوار في القرآن الكريم "دراسة في ضوء التفسير الموضوعي والتحليلي للقرآن الكريم"، د. دار النشر، ط1، 2007.
- العراقي لخضر: أغراض القصص القرآني عند السيد قطب، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2005.
- العراقي لخضر: مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د.ط، 2004.
- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط6، 1976.
- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر "قضايا وظواهره الفنية والمعنوية"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.
- عزيزة مريدن: القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1980.
- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- علي أبو المكارم: الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2008.

- علي القاسمي: علم المصطلح "أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- عمارة ناصر: اللغة والتأويل "مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي"، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2007.
- عمر حسن القيّام: أدبية النص القرآني "بحث في نظرية التفسير"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2011.
- عمر محمد عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية، ط1، 1993.
- عيسى علي العاكوب: المفصل في علوم البلاغة العربية "المعاني-البيان-البديع"، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، سوريا، د.ط، 2000.
- فاروق محمد عبد الرحمن: القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من شبهات، دار الأندلس للطباعة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006.
- فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التزليل، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 2003.
- فتحي أحمد عامر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم "صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس"، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2010.
- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط15، 2007.

- فوزي محمد أبو زيد: بنو إسرائيل ووعد الآخرة، دار الإيمان والحياة، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
- قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، الأسطورة..توثيق حضاري، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2009.
- كاظم الظواهري: بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، د. دار النشر، ط1، 1991.
- كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1، 1974.
- لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
- مجيد حميد الجبوري: البنية الداخلية للمسرحية "دراسات في الحبكة المسرحية عربيا وعالميا"، دار ضفاف للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- مجيد عبد الحميد ناجي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن "نزوله-كتابه-جمعه-إعجازه-جدله-علومه-تفسيره-حكم الغناء به"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1934.
- محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، سينا للنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1999.
- محمد الأمين الخضري: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1989.

- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1980.
- محمد الأمين بن محمد خلادي: من تجليات الإعجاز الفني وجمالياته في القصص القرآني "دراسة في منهاج الإعجاز السردي"، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.
- محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
- محمد الصادق عفيفي: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي "مدارسه، طرائقه، قضاياها"، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1971.
- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984.
- محمد الطيب إبراهيم: إعراب القرآن الكريم الميسر، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- محمد العبد: المفارقة القرآنية "دراسة في بنية الدلالة"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1994.
- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي: درّة التزئل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط4، 1981.
- محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

- محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي: حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2010.
- محمد بوعزة: تحليل النص السردي "تقنيات ومفاهيم"، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.
- محمد حسين علي الصغير: الصورة الفنية في المثل القرآني "دراسة نقدية وبلاغية"، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، 1981.
- محمد خير محمود العدوي: معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1988..
- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، 1947.
- محمد زايد: أدبية النص الصوفي بين الإبداع النفعي والإبداع الفني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة "أصولها، اتجاهاتها، أعلامها"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
- محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن "تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل"، دار الفارابي للمعارف، دمشق، سورية، ط3، 2007.
- محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، مصر، ط2، 2000.
- محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات "فصول في الفكر الغربي المعاصر"، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

- محمد عباس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1999.
- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط3، 1943.
- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن"، دار القلم، الكويت، د.ط، د.ت.
- محمد عزام: شعرية الخطاب السردى "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2005.
- محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسورة يوسف-عليه السلام- "دراسة نقدية إبداعية"، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1985.
- محمد علي الشوابكة: السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1997.
- محمد قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط7، 1993.
- محمد كريم الكوَّاز: القصص القرآني "محاضرات جامعية"، د.دار النشر، د.ط، د.ت.
- محمد لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية "الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه"، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ط، 1992.
- محمد محمود حجازي: التفسير الواضح، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، مصر، ط5، 1964.
- محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2009.

- محمد مشرف خضر: بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، دار نور للنشر، الإمارات العربية المتحدة، د.ط، 2016،
- محمد مشرف خضر: تجليات الإعجاز السردى في قصص القرآن، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، محافظة دسوق، مصر، د.ط، 2024.
- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- محمد مفتاح: دينامية النص "تنظير وإنجاز"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.
- محمد ناجي مشرّح: الآفاق الفنية في القصة القرآنية "رؤية تربوية لإعداد الدعاة"، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992.
- محمد ياس خضر الدوري: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- محمود السيد حسن مصطفى: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1981.
- محمود بن حمزة بن نصر الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- محمود محمد محمد عمارة: أصول الدعوة من قصة إبراهيم -عليه السلام-، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997.
- مختار عطية: الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز "دراسة بلاغية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1995.
- مصطفى شاهر خلوف: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط1، 2009.

- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1973.
- مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- مصطفى علي عمر: القصة وتطورها في الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د.ت.
- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1996.
- منذر عياشي: الكتابة الثانية وفتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- ميساء سليمان الإبراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د.ط، 2011.
- ناصر الدين أبو الخير عبد الله البيضاوي: أنوار التزليل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1997.
- ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي "المكونات، والوظائف، والتقنيات"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2003.
- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1982.
- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2010.

- نورة بنت محمد بن فهد الرشيد: شخصية المرأة في القصص القرآني "دراسة أدبيّة تحليليّة"، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ.
- الهادي الجطلاوي: قضايا اللغة في كتب التفسير "المنهج- التأويل- الإعجاز"، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 1998.
- هاشم ميرغني: بنية الخطاب السرد في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، السودان، ط1، 2008.
- هنري بلكن تشارلتن: فنون الأدب، تع: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1945.
- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، د.ط، 1914.
- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- يونس فرج سبهان الجبوري: الاستئناف البياني في القرآن الكريم "دراسة في تفسير ابن عاشور"، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
- ثانيا: الرسائل العلمية.**
- أفنان محمد عدنان شريف الشيخ: القصة القرآنية عند الشيخ فضل عباس -رحمه الله- (دراسة تحليلية مقارنة)، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد سليمان البشايرة، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، 2015.
- الصادق أبو حسن أبو: العناصر القصصية في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: د. عوض السيد موسى عوض السيد، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2010.

- آمنة عشاب: الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني "سورة يوسف أنموذجا"، رسالة ماجستير، إشراف: د. عميش عبد القادر، كلية الآداب واللغات، جامعة حسنية بن بو علي، الشلف، الجزائر، 2006-2007.

- إيمان محمود الشاويش: جماليات المكان في القصة القرآنية، رسالة ماجستير، إشراف: د. شكري عزيز الماضي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، نيسان (أفريل) 2011.

- بن ذهبية لطروش: إشكالية الزمن في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. حبيب مونسي، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017.

- رشيد بن يمين: جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. محمد عباس، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2008-2009.

- سفيان الثوري: أسلوب القصص في القرآن الكريم "بلاغة وتعليل"، رسالة ماجستير، إشراف: أ. أحمد طيب رايا، كلية التربية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكرتا، إندونيسيا، 2019.

- سليم سعداني: العدول الأسلوبي في القصة القرآنية، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد موساوي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2015-2016.

- سليمان محمد علي الدقور: اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. فضل حسن عباس، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2005.

- عبد الرحمن محمد الشهري: التكرار مظهره وأسراره، رسالة ماجستير، إشراف: أ. علي محمد حسن العماري، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1983.

- عبد العزيز ثابت: مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني "دراسة تحليلية نقدية"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. سامي الكناني، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2013-2014.

- عبد القادر بدلة: توظيف القصة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة يالوا، تركيا، 2017.

- عميش عبد القادر: أدبيّة النصّ في كتابات أبي حيان التوحيدي "الخصائص النصية والتنظيمية"، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. سليمان عشراي، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2000-2001.

- فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى -عليه السلام-، رسالة ماجستير، إشراف: أ. محمد بن عمر بازمول، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005.

- فوزية بنت عبد الله بن سند العصيمي: الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، رسالة ماجستير، إشراف: أ. عبد العزيز أبو سريع ياسين، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420هـ.

- مريم عبد القادر عبد الله السباعي: القصة في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. أحمد أحمد غلوش، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1404هـ.

- مسفر بن أحمد بن مسفر آل عاطف الوادعي: معايير الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في تدريس التربية الإسلامية في الصفوف العليا بالمرحلة الابتدائية بمدينة أبها، إشراف: أ. سليمان بن محمد الوابلي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427هـ.

- هويدا حسن عثمان كنه: القصة في العصر العباسي مع العناية بأهم الأشكال السردية، رسالة ماجستير، إشراف: أ. فؤاد شيخ الدين عطا، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2003.

ثالثا: المجلات والدوريات.

- إخوان عملي: معنى "ثعبان" "حية" و"جان" في قصة موسى (دراسة دلالية)، Journal of Islamic Studies، جامعة أكسفورد، إنجلترا، المملكة المتحدة، مج1، ع1، 2018.

- البخاري سباعي: المثل القصصي في القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والحضارة، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، مج:1، ع:1، 2012.

- الحبيب شبيل: من البنية إلى المعنى "المقامة المضيرية"، مجلة الآداب، بيروت، لبنان، ع: 1-3، 01 يناير 1990.

- الشاذلي الهيشري: الالتفات في القرآن، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ع32، 01 يناير 1991.

- بشرى موسى صالح: المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، مج:10، ع:40، المملكة العربية السعودية، جوان 2001.

- بكوش جميلة: حجاجية اللغة في الحوار القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج2، ع2، 2013.

- تامر سلوم يوسف سلوم: ظاهرة الالتفات في كشف الزمخشري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، مج 71، ع2، 1 أبريل 1996.

- جان-ماري كلينكينبرغ: من الأسلوبية إلى الشعرية، تق وترج: فريدة الكتاني، مجلة نوافذ، المملكة العربية السعودية، ع:9، سبتمبر 1999.

- حيدر علي نعمة وأحمد علي نعمة: تكثيف المعنى في القرآن الكريم، مجلة الجامعة العراقية، الجامعة العراقية، العراق، مج32، ع3، 30 يونيو/حزيران 2014.
- دودية عبد القادر: إشكالية المصطلح "المكان، الفضاء، الحيز"، مجلة النقد و الدراسات الأدبية واللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجيلالي اليااس -سيدي بلعباس-، الجزائر، مج:06، ع: 01، 2018.
- دودية عبد القادر: قراءة في مصطلح السرد، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مج:2، ع:3، جوان 2020.
- رحمان غركان: في بواعث التأويل وآلياته، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، العراق، مج:1، ع: 1و2، أيلول 2012.
- رشيد سلطاني: البنية السردية والدلالية في الشعر الأيوبي "ابن سناء الملك أمودجا"، مجلة المدونة، جامعة البليدة2، الجزائر، مج08، ع04، ديسمبر 2021.
- رياض الناصري: المكان وأفضيته في القصة القرآنية، صحيفة المثقف، ع: 4853، ديسمبر 2012.
- زروقي عبد القادر: الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت "قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم"، مجلة فصل الخطاب، مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ع: 7، مج: 2، سبتمبر 2014.
- زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء و المكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، الجزائر، العدد السادس، جانفي 2010.
- زينب الأحدي عبد الفتاح خليل: عناصر القصة في القرآن الكريم، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مصر، مج: 6، ع: 28.

- سعاد قمومية وهاجر حاج شريف: خصائص الصورة الفنية في القرآن الكريم "كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب أنموذجا"، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، جامعة حسنية بن بوعلي ، الشلف، الجزائر، مج9، ع1، فيفري 2023.
- سليمة لو كام: موت تزيفتان تودوروف "أحاديث مختارة"، مجلّة أبولّيوس، جامعة سوق أهراس، الجزائر، ع:7، جوان 2017.
- صلاح أحمد رمضان حسين جاد المولى: مصطلح الاعتراض التذييلي بين الرفض والقبول، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، مج7، ع 2، 2005.
- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 164، آب 1992.
- طيب نسالي: الصورة الفنية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، جامعة حسنية بن بوعلي ، الشلف، الجزائر، مج9، ع1، مارس 2023.
- عبد الحليم ريوقي: بلاغة تكرار القصص في القرآن الكريم، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجمع الجزائري للغة العربية، الأبيار، الجزائر العاصمة، مج14، ع1، 25 جوان 2018.
- عبد العليم محمد إسماعيل علي: السرد ونظرياته، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الجزيرة، السودان، مج: 11، ع: 02، 2014.
- عبد القادر سي أحمد: علم السرد، مجلة موازين، جامعة حسنية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، مج: 03، ع: 02، ديسمبر 2021.
- علي أحمد عمران: البنية السردية في رواية "دعاء الكروان" لطف حسين، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، مج2، ع2، ديسمبر 2020.

- علي علوش: الالتفات وأثره في اتساق القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، مجلة الموروث، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، مج9، ع2، ديسمبر 2021.

- علي كنجيان ختاري وزهرا ياك- نهاد: السرد واللغة في رواية "التلصص" لصنع الله إبراهيم، مجلة إضاءات نقدية، جامعة آزاد، إيران، السنة: 01، ع: 03، يوليو 2011.

- عماد الدين نايف الشمري وعاطف عادل المحاميد: دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن، مج15، ع1، 2019.

- عمر رحمن حميد الأركي: جمالية الأسلوب القرآني الكامنة في صور الحذف، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، العراق، مج: 19، ع: 09، أيلول 2012.

- عمر فارس الكفاوين: دور الشخصيات غير الإنسانية في بناء القصص القرآني "الحيوانات أنموذجاً"، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، الجزائر، مج: 15، ع: 02، 2018.

- فاطمة أيوبي وآخرون: جمالية التكرار في القصة القرآنية، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، جامعة البعث، سوريا، مج39، ع17، س2017.

- فاطمة قطب مصطفى معوض: البنية الزمكانية في القصص القرآني "سورة الكهف نموذجاً"، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية، جامعة أسيوط، مصر، ع: 41، ج: 02، أكتوبر 2022.

- فراس يحيى عبد الجليل: تكرار ألفاظ النصوص القرآنية وأثرها في تنوع المعنى، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، الرمادي، العراق، مج10، ع 40، س 10، 2019.

- فريدة مولى: شعرية الإيقاع في خطاب النَّقْري، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مج: 13، ع: 2، أبريل 2021، س: 13.

- كمال عبد الرحمن: جماليات السرد في القصة النسوية الأردنية، مجلة أفكار، الأردن، ع: 276، 01 يناير 2021.

- كبرى روشن فكر وآخران: الدور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية على ضوء البنيوية التكوينية "قصة نبي الله موسى -عليه السلام- أنموذجاً"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، قسنطينة، الجزائر، ع: 43، يوليو (جويلية) 2018.

- لحذاري سعد: نظرية التأويل في النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، مج: 09، ع: 01، س: 2020.

- محسن تيموري ومحمد حسن معصومي: صراع البطل في القصة القرآنية "شخصية النبي موسى -عليه السلام- أنموذجاً"، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، إيران، ع: 1، س: 19، 1437هـ.

- محمد شفيق: الفن القصصي في القرآن ومكانته في القصص العربية، مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة، كيرلا، الهند، مج: 9، 2017.

- محمد نبي أحمددي: الالتفات في القرآن الكريم "دراسة دلالية"، مجلة اللغة العربية وآدابها، مجمع الفارابي، جامعة طهران، إيران، مج: 15، ع: 4، 31 ديسمبر 2019.

- مشهور فواز: الصورة الشعرية وظاهرة التمرد في الشعر العربي الحديث، مجلة: إبداع، الهيئة المصرية العامة لكتاب، مصر، ع: 2، س: 18، مارس 2000.

- منى بنت فهد أحمد النصر: أسرار المناسبة في القصة القرآنية "قصة موسى نموذجاً"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، س: 6، ع: 13، 1438هـ.

- منى عبد الواحد عثمان مصطفى: ألفاظ الميراث في القرآن الكريم "دراسة لغوية"، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مصر، مج: 30، ع: 4، 2014.

- نبهان حسون السعدون ويوسف سليمان الطحان: مشاهد من قصة موسى -عليه السلام-
"دراسة أسلوبية"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، مج6، ع: 12،
2012.

- هادي عبد الحسن لعيبي: جمالية السرد المشهدي في القرآن الكريم "سورة طه نموذجاً"، مجلة
كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة، العراق، مج3، ع1، 2019.
- هاني أحمد منصور: عجل بني إسرائيل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق،
مج16، ع3، آذار 2009.

- هشام بن سعدة: التقاطبات المكانية في رواية "شعلة المائدة" لمحمد مفلح، مجلة فصل
الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج: 4، ع: 2، جوان
2015.

- وسام مرزوقي، قوتال فضيلة: القصيدة وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مجلة إشكالات في
اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، مج: 08، ع: 01، 2019.
- يوسف يوسف: القصة القرآنية وسؤال إسلامية الأدب، مجلة الميدان للدراسات الرياضية
والاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مج3، ع10، مارس 2020.

رابعاً: المعاجم والقواميس:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4،
2004.

- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون،
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1979.

- الحسين بن محمد المعروف بـ "الراغب الأصفهاني": مفردات غريب القرآن، تح: صفوان
عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط4، 2009.

- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1300هـ.
- جيرالد برنس: المصطلح السردي "معجم مصطلحات"، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- جيرالد بيرنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "عرض وتقديم وترجمة"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.
- علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية "عربي-إنكليزي-فرنسي"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط6، 1998.
- محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010.

- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1989.

- محمد علي التهانوي: موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تر: عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي "إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

خامساً: المواقع الإلكترونية.

- diffah.alaraby.co.uk

- www.al-jazirah.com

- <http://almothaqaf.com>

- <https://tafsir.app>

- <https://www.academia.edu>

- <https://www.balagh.com>

- www.alukah.net

الفهارس الفنية

فهرس الأشكال

فهرس الموضوعات

فهرس الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	بواعث التأويل	28
02	موقع السرديات وموضوعه	36
03	جزئية السرديات وكليتها	37
04	مدلولات القصة	42
05	خطاطة تشمل مكونات الخطاب السردى	65
06	عناصر القصة فى القرآن الكريم	66
07	الأمكنة فى القرآن الكريم	106
08	مرکبات السرد القصصى	135
09	مشاهد قصص بنى إسرائيل فى القرآن الكريم	225

فهرس الموضوعات

الإهداء.....	11
كلمة شكر.....	15
مقدمة.....أ	17

مدخل البحث

1- مفهوم الأدبية: Lalittéararité	11
1-1- مستويات تحليل النصّ الأدبي في ضوء الأدبية.....	15
1-1-أ/ الذات المبدعة ومقصديّتها الظاهرة والمضمرة.....	17
1-1-ب/ النصّ الإبداعيّ من خلال مكوّناته اللسانية.....	19
1-1-ج/ التلقّي وما يطرحه من إشكالات التأويل.....	25
2- مفهوم السّرد: La Narration	29
2-1 السّرد - الحكّي.....	32
2-2 السّرد - السردية.....	33
2-3 بنية السّرد.....	37
3- مفهوم القصة L'histoire	40
3-1 أنواع القصة.....	43
3-2 عناصر القصة.....	44
3-2-1/ العناصر البنائية للقصة.....	45
3-2-2/ العناصر الفنيّة للقصة.....	47

الفصل الأول: تجليات القصة في القرآن الكريم

- 1- مفهوم القصة القرآنية.....50
- 1-أ/ بين القصة القرآنية والأساطير.....54
- 1-ب/ بين القصة القرآنية والمثل القرآني.....56
- 2- عناصر القصة في القرآن الكريم.....61
- 2-1- الأحداث.....62
- 2-1-أ/ خصائص أحداث القصة في القرآن الكريم.....63
- 2-1-ب/ البنية العميقة لأحداث القصص في القرآن الكريم.....67
- 2-2- الشخصيات.....67
- 2-3- الحوار.....72
- 2-3-أ/ أنواع الحوار في القصص القرآني.....74
- 2-3-ب/ بين الحوار والجدل (الجدال).....79
- 2-4- الصراع.....81
- 2-4-أ/ أنواع الصراع ومساراته داخل القصة في القرآن الكريم.....82
- 5- الزمن.....87
- 6- المكان.....91
- 6-1- الأمكنة في القرآن الكريم.....99
- 6-1-أ/ المكان الصريح.....100
- 6-1-ب/ المكان الضمني.....102
- 3- أنواع القصص في القرآن الكريم.....105

4- أبعاد القصة في القرآن الكريم.....	110
4-1- الأبعاد الرسالية.....	110
4-2- الأبعاد التربوية.....	114
4-3- الأبعاد الاجتماعية والتاريخية.....	115
5- الخصائص الذاتية للقصة في القرآن الكريم.....	119
5-1- مصدرها الرباني.....	120
5-2- الانتخاب من القصة بما يتناسب وأهدافه ومقاصده للعبارة والعظة.....	120
5-3- الإنسان المستخلف هو موضوع القصة القرآنية وهو نفسه المتلقي.....	121
5-4- احتواؤها على المعجزات.....	121
5-5- أنها من أنباء الغيب.....	121
5-6- بث العظات والتوجيهات الإلهية في سياق القصة.....	122
5-7- الثبات.....	123
6- الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي (الفني).....	124
6-1/ أوجه التشابه.....	124
6-2/ أوجه الاختلاف.....	124

الفصل الثاني: بنية السرد القصصيّ وبلاغته في القرآن الكريم

1- مفهوم البنية السردية.....	129
1-1- البنية: structure.....	129
1-2- البنية السردية.....	134
2- الخصائص الفنية للقصة في القرآن الكريم.....	138

- 139.....1-2- التنوع في طريقة عرض الأحداث
- 141.....2-2- تنوع طريقة المفاجأة
- 143.....3-2- حذف مشاهد من القصة
- 145.....4-2- أصالة أسلوب القصص القرآني وورصاته
- 145.....5-2- الاهتمام بالجانب القيمي والبعد التربوي
- 145.....6-2- الالتزام
- 146.....7-2- دقة الإيجاز والابتعاد عن الإطناب
- 146.....8-2- حسن الصياغة والبعد عن التكلف
- 146.....9-2- الاعتماد على التصوير
- 147.....10-2- الاستئناس أحيانا بلفظة من البيئة التي تجري فيها أحداث القصة
- 147.....11-2- الجمع بين الإمتاع والإقناع
- 148.....3- بلاغة اللغة السردية في القصص القرآني
- 149.....1-3- بلاغة الحذف في القصص القرآني
- 154.....1-3-أ/ حذف الحرف
- 158.....1-3-ب/ حذف الكلمة
- 160.....1-3-ج/ حذف الجملة (التركيب)
- 163.....2-3- بلاغة التقديم والتأخير في القصص القرآني
- 169.....3-3- بلاغة الالتفات في القصص القرآني
- 173.....4- بلاغة التصوير الفني في القصص القرآني
- 175.....1-4- نماذج من التصوير الفني في القصص القرآني

5-	بلاغة تكرار السرد القصصي وأسواره في القرآن الكريم.....	180
5-1-	نماذج لبلاغة تكرار السرد القصصي في القرآن الكريم.....	187
5-1-أ/	مشهد رؤية سيدنا موسى -عليه السلام- النار.....	188
5-1-ب/	مشهد وصول سيدنا موسى -عليه السلام- إلى النار.....	190
5-1-ج/	مشهد رؤية فرعون وملئه معجزة العصا.....	190
الفصل الثالث: أدبيّة السرد القصصي في مشاهد قصص بني إسرائيل		
1-	التعريف ببني إسرائيل.....	196
2-	مواضع ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم.....	198
3-	بحث الأدبيّة في درس الإعجاز القرآني.....	203
4-	البنية الأسلوبية لمشاهد قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم.....	218
4-1-	دراسة مشهديّة قصص بني إسرائيل.....	219
4-2-	التدرج المشهدي لقصاص بني إسرائيل في القرآن الكريم.....	223
	المشهد الأول: مشهد نجاة بني إسرائيل من فرعون وملئه.....	223
	أ/ توصيف المشهد الأول.....	224
	ب/ أدبية التصوير في المشهد الأول من خلال معاني الآيات ودلالاتها.....	225
	المشهد الثاني: مشهد السّامري والعجل.....	238
	أ/ توصيف المشهد الثاني.....	239
	ب/ أدبية التصوير في المشهد الثاني من خلال معاني الآيات ودلالاتها.....	239
	المشهد الثالث: مشهد رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل.....	254
	أ/ توصيف المشهد الثالث.....	255

255.....	ب/ أدبية التصوير في المشهد الثالث من خلال معاني الآيات ودلالاتها
262.....	المشهد الرابع: مشهد دخول الأرض المقدسة
263.....	أ/ توصيف المشهد الرابع
263.....	ب/ أدبية التصوير في المشهد الرابع من خلال معاني الآيات ودلالاتها
270.....	المشهد الخامس: مشهد بقرة بني إسرائيل
270.....	أ/ توصيف المشهد الخامس
271.....	ب/ أدبية التصوير في المشهد الخامس من خلال معاني الآيات ودلالاتها
277.....	المشهد السادس: مشهد طالوت وجالوت
278.....	أ/ توصيف المشهد السادس
278.....	ب/ أدبية التصوير في المشهد السادس من خلال معاني الآيات ودلالاتها
297.....	4-3- بلاغة الحوار في مشاهد قصص بني إسرائيل
299.....	4-4- الرؤية السردية في مشاهد قصص بني إسرائيل
304.....	خاتمة البحث
308.....	قائمة مصادر البحث ومراجعته

الفهارس الفنية

339.....	فهرس الأشكال
340.....	فهرس الموضوعات

الملخص:

تناول هذا البحث القصص القرآني بشكل عام، وأدبية السرد القرآني لقصص بني إسرائيل بشكل خاص، فقد تناول القصص القرآني من حيث عناصره وخصائصه الذاتية التي جعلته سردا إعجازيا، ثم ركز في جانبه التطبيقي على مشاهد السرد القرآني لقصص بني إسرائيل فبين براعة أسلوبه وإعجاز لغته التصويرية التي تضافر فيها الصوت والتركيب مع المعنى، فحصل بذلك الإمتاع والإقناع، وتحققت فريدة السرد القرآني الأدبية.

الكلمات المفتاحية: الأدبية، السرد القرآني، القصص القرآني، بنو إسرائيل.

Résumé :

Cette recherche porte sur les récits coraniques en général et substantiellement sur le récit littéraire des histoires des enfants d'Israël. Elle aborde les récits coraniques en termes d'éléments et de caractéristiques intrinsèques qui en font un récit miraculeux, tout en jetant une lumière crue sur les scènes du récit coranique des histoires des descendants d'Israël, dévoilant l'ingéniosité de son style et la virtuosité de son langage pictural dans lequel la sonorité et la structure sont en alchimie avec le sens, atteignant ainsi la délectation et la persuasion, d'où la mise en exergue de l'indéniable unicité du récit coranique en terme littéraire.

Mots-clés: Littérature, récit coranique, histoires coraniques, Descendants d' Israël.

Abstract:

This research focuses on Qur'anic narratives in general and substantially on the literary narrative of the stories of the offspring of Israel. It approaches the Qur'anic narratives in terms of the intrinsic elements and characteristics that make them a miraculous narrative, while at the same time casting a forceful light on the scenes in the Qur'anic narrative of the stories of the descendants of Israel, enlightening the ingenuity of Its style and the virtuosity of Its pictorial language in which sound and structure are in alchemy with meaning, thus achieving delectation and persuasion, hence highlighting the undeniable uniqueness of the Qur'anic narrative in literary terms.

Key words : Literature, Qur'anic narrative, Qur'anic stories, Descendants of Israel.